

This is a digital copy of a book that was preserved for generations on library shelves before it was carefully scanned by Google as part of a project to make the world's books discoverable online.

It has survived long enough for the copyright to expire and the book to enter the public domain. A public domain book is one that was never subject to copyright or whose legal copyright term has expired. Whether a book is in the public domain may vary country to country. Public domain books are our gateways to the past, representing a wealth of history, culture and knowledge that's often difficult to discover.

Marks, notations and other marginalia present in the original volume will appear in this file - a reminder of this book's long journey from the publisher to a library and finally to you.

Usage guidelines

Google is proud to partner with libraries to digitize public domain materials and make them widely accessible. Public domain books belong to the public and we are merely their custodians. Nevertheless, this work is expensive, so in order to keep providing this resource, we have taken steps to prevent abuse by commercial parties, including placing technical restrictions on automated querying.

We also ask that you:

+ *Make non-commercial use of the files* We designed Google Book Search for use by individuals, and we request that you use these files for personal, non-commercial purposes.

+ *Refrain from automated querying* Do not send automated queries of any sort to Google's system: If you are conducting research on machine translation, optical character recognition or other areas where access to a large amount of text is helpful, please contact us. We encourage the use of public domain materials for these purposes and may be able to help.

+ *Maintain attribution* The Google "watermark" you see on each file is essential for informing people about this project and helping them find additional materials through Google Book Search. Please do not remove it.

+ *Keep it legal* Whatever your use, remember that you are responsible for ensuring that what you are doing is legal. Do not assume that just because we believe a book is in the public domain for users in the United States, that the work is also in the public domain for users in other countries. Whether a book is still in copyright varies from country to country, and we can't offer guidance on whether any specific use of any specific book is allowed. Please do not assume that a book's appearance in Google Book Search means it can be used in any manner anywhere in the world. Copyright infringement liability can be quite severe.

About Google Book Search

Google's mission is to organize the world's information and to make it universally accessible and useful. Google Book Search helps readers discover the world's books while helping authors and publishers reach new audiences. You can search through the full text of this book on the web at `http://books.google.com/`

Digitized by Google

Digitized by Google

A. Garbushian
1884.
Jerusalem

تذكاراً
من جرجي السبط
الى
اخيهِ العزيز فرح
كربوشيان
بسنة
١٨٦٨
م

Digitized by Google

Digitized by Google

كتاب

سياحة المسيحي

الى

[illegible]

١٨٦٨

Digitized by Google

بسم الاب والابن والروح القدس

الحمد لله الذي لا تدركهُ عيون الانام في يقظةٍ ولا منام ۞ اما بعد فهذا كتاب سهل العبارات جيد الاشارات . قد وضعهُ يوحنا بنيان احد الكهنة المخلصين في العمل والنية كما وُضِعَت المقامات الحريرية . الآن تلك لتنزيه النواظر وتسلية الخواطر . وهذا للتنبيه على سلامة الحيوة الروحية واحتمال التجارب ورفض المكايد الشيطانية وحفظ النعمة في القلب لنوال الحيوة الابدية . وكان هذا المؤلف يومئذٍ مسجونًا كما سُجِن يوسف الصدّيق . فذكر تلك الاحلام التي نجا بها من ذلك الضيق . فكنى عن ذلك السجن بمغارةٍ اوى اليها في دار هذه الدنيا . وذكر ما جال في

خاطرهِ من فوائد الاخرة على سبيل الرؤيا. فقال
بينما انا عابرٌ في تيه هذا العالم وجدتُ كهفًا في
مكانٍ فاستظللت بهِ. ثم اخذتني سِنَة النوم فنمت
واذا برجلٍ قد تراءى لي في الحلم لابسًا ثيابًا رثَّة ووجههُ
منحرفٌ عن بيتهِ وعلى ظهرهِ حملٌ ثقيل[1] وفي يدهِ كتابٌ
قد فتحهُ وطفق يقرأ فيهِ. وعند ذلك بكى مرتعدًا ولم
يقدر ان يضبط نفسهُ فصرخ مولولاً وقال ماذا اعمل[2]
ثم مضى الى بيتهِ وضبطَ نفسهُ بكل جهدهِ لئلا
تشعر زوجتهُ واولادهُ باضطرابهِ غير انهُ لم يملك نفسهُ

(١) لو ١٤:٢٢ (٢) اع ٢:٣٧ هذا هو حال صراخ الخاطي المنتبه على خطاياهُ الذي يرى برَّ نفسهِ كخرقةٍ نجسة ويرى نفسهُ في حال الشقاء مستعدَّة للهلاك الابدي فيصرف وجههُ عن بيتهِ وعن ذاتهِ وعن كل آمالهِ الكاذبة متوجهًا بكليتهِ نحو الملجأ الامين. وياخذ كتاب الله بيدهِ دليلاً يهديهِ الى طريق ذلك الملجأ ليهرب اليهِ. وعلى قدر ما يتلوهُ يطَّلع على شقاء نفسهِ الغير المايتة وعلى لزوم الهرب الى المسيح طلبًا للحيوة الابدية والخلاص. وعند ذلك يبكي ويرتعد

ان يثبت على تجلّدهِ. فكاشفهم بما في نفسهِ وقال اني
قد تلاشيت من جرّ حملٍ ثقيلٍ قد شقّ عليَّ
وايقنتُ ان مدينتنا هذه ستُحرَق بنارٍ من السماء واننا
نهلك جميعًا ان لم نجد طريقًا للهرب وهذا لا اطمع ان
نظفر بهِ. فتعجّب اهل بيتهِ من كلامهِ وظنّوا ان بهِ
خيالًا قد ازعجهُ. ولما كان الليل اخذوهُ الى مضجعهِ
يرجون ان يصحو. فما ازداد الّا قلقًا وأرقًا واحيى ذلك
الليل بالنوح والبكاء. ولما اصبحوا ارادوا ان يعلموا
حالهُ فقال قد عظم الخطب عليَّ واشتدَّ الامر. وعاد
الى ما كان من حديثهِ بالامس. فاحتالوا عليهِ
بالعبوسة في وجههِ ثم بالهزءِ عليهِ ثم بالتهديد لهُ فلم
يُغنِ ذلك شيئًا. وجعل الرجل يختلي في مخدعهِ
ويطلب من الله الرحمة لهم وينوح على شقائهِ. وكان
احيانًا يتمشّى في البساتين. وهو يقرأ تارةً ويصلّي
اخرى[1]

(١) كما ان الذين كانوا في ايام الانبياء والرسل والسيد

فدام على ذلك اياماً . وقد رايتهُ مرةً يتمشّى هناك مُكتئبًا وهو يقرأُ في كتابهِ . ثم أعولَ بالبكاء وقال ماذا اعمل لاخلص[1] . ورايتهُ ايضًا متلفتًا الى هنا وهناك كانهُ يريد ان يركض لكنهُ ثبت مكانهُ لانهُ كما ظننتُ لم يكن

المسيح كانوا برونهم كانَّ بهم خيالات . كذلك الناس في كل زمانٍ ومكانٍ متى راوا رجلاً ينفر عن ملاهي العالم التي يستأنسون بها منهيبًا في نفسهِ من عواقبها يتهمونهُ بوسواسٍ في ضميرهِ ولا سيّما الاقربآء الادنى اليهِ فانهم غالبًا يظنُّون بهِ فساد المخيّلة ويخترعون لهُ علاجاتٍ مختلفة لكي يسكّنوا قلق ضميرهِ فيقدّمون لهُ الملاهي والولائم وذويهِ الفكاهة من الاصحاب ويبعدونهُ عن احبابهِ المخلصين ويمنعونهُ عن الكتب . ولكن الذي يكون قد وقف على ساجة الخطية ورای عظم شرورها لا تقدر هذه الحيل ان تسكّن انزعاجهُ بل تزيدهُ بالحري رغبةً واجتهادًا في تخليص نفسهِ وانفس الاخرين . وذلك يجعل في قومهِ قساوةً ويولّد عنادًا وعوض الشفقة يداخلهم السخط الذي يحملهم على الاهانة والطرد لهُ . فيكون حينئذٍ المومن قد اضطرَّ ان يخلي بنفسهِ فياخذ يجتهد في تخفيف حمل ضميرهِ بتلاوة الكتب الالهية مصلّيًا بحرارةٍ لاجل من يظلمهُ . وعلى هذه الحال يزرع بالدموع ذلك الزرع الذي منهُ يحصد اخيرًا الفرح الابدي (١) اع ١٦ : ٣٠

يعرف الى اين يمضي. ورايت عند ذلك رجلاً يقال لهُ
الانجيلي قد اتى اليهِ وقال لهُ ما بالك تبكي. فقال قد
استبان لي يا سيدي من الكتاب الذي في يدي وقوع
الحكم عليَّ بالموت ثم بالذهاب الى الدينونة فالاول
لا اريدهُ والثاني لا اقدر عليهِ[1]. قال لماذا لا تريد ان
تموت وانت تعلم ان هذه الحيوة ممتزجة بشرور كثيرة.
قال اخاف ان يحدرني حملي هذا الثقيل الى مكان
اعمق من القبر فاهبط الى تفتة[2] وان لم اكن مستعدًّا
للحبس فلا اكون مستعدًّا للدينونة والهلاك. والتفكر
بهذا هو الذي يجعلني ابكي. قال ان كنت هكذا فلماذا
تقف. قال لاني لا اعرف الى اين امضي. فاعطاهُ
دِرْجًا ملفوفًا مكتوبًا فيهِ اهرب من الغضب الآتي[3]

(١) عب ٩:٢٧ اي ١٦:١ و٢٢ حز ٢٢:١٤ (٢) اش
٣٠:٣٣ ان حلول روح الله في قلب الانسان يجعلهُ يشعر
بحمل الخطايا الغير المحتمل الموضوع على ظهرهِ ويرتعد من سخط
الله المنصبّ من السماء ضدّ الخطية (٣) مت ٣:٧

فقراهُ والتفت الى الرجل وقال الى اي مكانٍ اهرب. فاشار الى ما وراءَ بقعةٍ واسعة وقال انتظر ذلك الباب الضيّق(١). قال لا. قال انتظر ذلك الضوءَ المنير(٢). قال نعم كما اظن. قال فاذهب مستقيمًا اليهِ وهناك ترى الباب فاذا قرعتهُ تعلم ما يجب ان تعملهُ

قال صاحب الرؤيا ثم رايت ذلك الرجل وكان يقال لهُ المسيحي قد اخذ في الركض وما ابعد الا قليلاً عن دارهِ حتى راتهُ زوجتهُ واولادهُ فصاحوا بهِ يريدون ان يردُّوهُ فسدَّ اذنيهِ واشتدَّ في عدوهِ وهو

(١) متى ٧: ١٣ و١٤ (٢) مز ١١٨: ١٠٥ و٢ بط ١: ١٩ ان الخاطي المنتبه على نفسهِ قد يبقى زمانًا لا يقدر ان يرى طريق الخلاص بالايمان بالمسيح. لان الانارة الالهية مرارًا كثيرة تكون بالتدريج. فان هذا السائح مثلاً لم يقدر ان يرى الباب الذي اشار اليهِ الانجيلي لكنهُ ظن انهُ يرى الضوءَ المنير لان المفتشين المستقيمين يصغون الى تعاليم الكتب الالهية وينظرون رحمة الله العميمة التي تقودهم شيئًا فشيئًا الى معرفة المسيح والايمان بهِ

يقول الحيوة الحيوة حيوة الابد[١] ولم يلتفت الى ورايهِ[٢] بل هرب الى وسط تلك البقعة. واتى ايضًا جيرانهُ لينظروهُ وهو يركض[٣] وكان منهم من يسخر بهِ ومنهم من يتهدَّدهُ ومنهم من يدعوهُ ان يرجع[٤]. وكان منهم رجلان يقال لاحدهما المعاند وللاخر المذعن فطلباهُ يريدان ان يردَّاهُ كرهًا. وكان قد تباعد عنهما فادركاهُ بعد قليلٍ فقال لهما يا جاريَّ لماذا تطلباني. قالا نريد ان تعود معنا. قال هيهات ان ذلك لا يمكن لانكما تسكنان مدينة الهلاك[٥] التي ارى انها

(١) لو ١٤: ٢٦ (٢) تك ١٩: ١٧ (٣) ار ٢٠: ١٠

(٤) مت ١٠: ٣٣ و ٣٦ ان الخاطي حينما ياخذ في الهرب من الهلاك ياخذ اقرباؤهُ من اهل العالم في صدّهِ عنهُ. ولكن الافضل ان نسدَّ اذاننا لكي لا نسمع احتجاجات اللحم والدم. وتلك العواطف الجسدية لا تغلب الاقناعات الروحية. والخاطي الراغب الخلاص لا يبالي بمن يدعوهُ ليرجع عن رغبتهِ وبمقدار ما يزدادون لجاجًا في ارجاعهِ يزداد اسراعًا في الفرار منهم

(٥) مدينة الهلاك كنايةٌ عن هذا العالم الشرير كمحكومٍ

هالكة لامحالة واذا متمّ فيها تهبطان الى مكانٍ اعمق
من القبرِ ملتهب بالنار والكبريت. فارى لكما ان
تطاوعاني وتتبعاني ايضًا[١] قال المعاند اترك اهلنا
ومنازلنا وتتبعك[٢] قال ان كل ما تتركانهِ لا يوازيه
جزًا صغيرًا مما اطلبهُ[٣] واذا تبعتماني وتمسكتما بذلك
فتشاركاني في نصيبي لانهُ حيث انا منطلقٌ يوجد كفايةٌ
وزيادةٌ[٤] فهلمّ وامتحنا كلامي. قال وما هو الذي
تطلبهُ وقد تركتَ العالم وما فيهِ لتجدهُ. قال اني اطلب

عليهِ بالنار او عن حال الخطاة المنهمكين في مهمات هذا العالم
ولذاتهِ والغافلين عن العواقب الابدية. فهم مستعدُّون للنار
الجهنّمية التي لا تُطفأُ في يوم القضاء وهلاك المنافقين

(١) هذه سريرة الخاطي الشاعر بالخطية والهارب من الهلاك.
فانهُ يرغب بحرارةٍ ان يقنع غيرهُ من الخطاة المساكين لكي
يذهبوا معهُ في طريق النجاة فان اصغر شرارةٍ من نعمة الله في
القلب تكشف ذاتها بارادةٍ صالحةٍ للناس

(٢) ما دام حب هذا العالم مستوليًا على القلب لا تقدر
النصايح ولا البراهين ان تقنع الانسان ليطلب ميراثًا افضل

(٣) ٢كو٤: ١٨ (٤) لو١٥: ١٧

ميراثاً لا يُبلى ولا يتدنّس ولا يضمحلّ وهو مذخورٌ في
السماء بامنٍ (١) ليُعطَى في الوقت المعيّن لمن يطلبهُ
باجتهادٍ . وان كنت في ريبٍ من ذلك فافحص عنهُ
في كتابي هذا تجدهُ . فقال اسكت ودعنا من كتابك
اترجع معنا امر لا (٢) . قال كلّا لاني وضعت يدي على
المحراث (٣) . فقال المعاند لصاحبهِ اذن نرجع وحدنا
لانهُ يوجد جماعةٌ من هولاء المجانين الذين اذا تخيّلوا
شيئاً يكونون عند انفسهم احكم من سبعة رجالٍ
متفلسفين . فقال يا اخي لا تشتمهُ لانهُ ان صدق في
دعواهُ فقد طلب افضل مما نحن فيهِ وانا اميل الى
رفقتهِ . قال المعاند يا عجبًا قد كثرت الحمقى ارجع بنا

(١) ١ بط ١ : ٤ عب ١١ : ١٦

(٢) اذا جادلت الناس الدنيويين حسب طريقتهم فانهم يتعبونك بالاعتراضات والحجج . واما اذا اتيت بهم الى الكتاب الالهي فانهم حالاً يفحمون لانهُ لا الشيطان ولا الذين يطغيهم من الناس يقدرون ان يقاوموا قوة كلمة الله (٢) لو ٩ : ٦٢

وتعقّل فمن يعلم الى اين يقتادك هذا الاحمق[١]. فقال المسيحيُّ للمذعن رافقني يا مولاي فتصيب فوق ما اخبرتُ عنهُ وان كنت لا تصدّقني فانظر تفصيل ذلك في كتابي الذي لحقيقة ما حواهُ قد ثبّت بدم من انزلهُ[٢]. فقال المذعن للمعاند اني قد صرت اقنع بقول المسيحي واريد ان ارافق هذا الرجل الصالح واجعل نصيبي معهُ . والتفت الى المسيحي وقال لهُ يا صاح اتعرف الطريق الى هذا المكان البهج. قال ان رجلاً يقال لهُ الانجيلي امرني بالمبادرة الى بابٍ صغير امامنا حيث نستدلُّ على الطريق. فقال المذعن اذهب بنا. وانطلقا معًا. اما المعاند فقال ارجع من حيث اتيت ولا ارافق احمقين مثلكما[٣]

قال ورايت في تلك الرويا ذينك الرجلين عند

(١) من لا يصر احمق في اعين الناس لا يكن فقه صار حكيمًا في امر الخلاص بالايمان بيسوع المسيح (٢) عب ٩: ١٧ الى ٢٢ (٣) اعتبر هنا اختلاف مفاعيل حقايق الانجيل في

رجوع المعاند قد عبرا الى البقعة والمسيحي يقول
للمذعن كيف حالك يا اخي انني مبتهج بصاحبتك
لي ولو كان المعاند يشعر بما شعرت بهِ في نفسي من
المخاوف الغير المنظورة وسطوتها المريعة لما رجع
مستخفًّا بنا كما رايت. فقال المذعن اخبرني الان على
خلاء ما هي الطيّبات الموجودة حيث نمضي وكيف
نتلذّذ بها. قال المسيحيُّ ان تصوُّرها بالفكر ايسر عليَّ من
وصفها باللسان ولكن لاجل اهتمامك في معرفتها
اقرأ لك شرحها في كتابي. قال المذعن اتظن كلمات
كتابك صادقةً بالحقّ. قال المسيحي نعم لانهُ منزلٌ
ممن لا يمكن ان يكذب[1] قال المذعن احسنت فما هي
هذه الاشياء. قال المسيحي مملكةٌ بغير انتهاء وحيوةٌ

الناس حسب الطبيعة. فان المعاند يرفضها على الخط المستقيم
خلافًا للمذعن فانهُ يسمعها بفرحٍ ويصدّق بعضها الى زمان
ويرافق المسيحي بعض المسافة

(١) تي ١ : ٢ اذا كانت الكتب الالهية كلام الله يجب ان

نُعطاها لنسكن تلك المملكة الى الابد[1]. المذعن وماذا يوجد غير ذلك. المسيحي اكاليل المجد نُعطاها وحلل نتلألأ بها كالشمس في جَلَد السماء[2]. المذعن نعمّا ذلك[3]

تكون صادقة لا محالة ولكن كيف يكون الوصول الى معرفة ذلك. فان الفلاسفة يبرهنونهُ ببراهين فلسفية لا يقدر اكثر الناس المنتبهين على خطاياهم ان يطّلعوا عليها. لان الانجيل يُبشّر بهِ على الخصوص الاميّون الساذجون. غير ان هولاء عندهم البرهان الاثبت والاكفى وهو حكم هذا الكتاب الشريف واستيلاؤهُ على ضمايرهم وموافقتهُ لاحوالهم في مخاوفهم ومطامعهم وحاجاتهم واشواقهم والرسم الذي يجدونهُ فيهِ لكل ما يجري في قلوبهم والنور الذي يتجلّى بهِ على كل ما ينوط بهم فان كل ذلك يشهد لهم بانهُ موحى بهِ من الله

(١) اش ٦٥: ١٧ يو ١٠: ٢٧ الى ٢٩ (٢) ٢ تي ٤: ٨ رؤ ٢٢: ٥ مت ١٣: ٤٣ (٣) ان التعبير عن السماء بكونها مملكةً وحيوةً ونحوها قد يؤثّر تاثيرًا عارضًا في القلب الذي يسرُّ بالاكاليل والحلل البهيّة والالحان الشجيّة والحالة البريّة من الالام والاحزان. ولكن من كانت هذه حالهُ فلا معرفة لهُ بغبطة السماء الحقيقيّة التي تقوم بالنظر الى مجد يسوع المخلّص وبمماثلتهِ في القداسة والمحبّة. ولا ريب ان الخاطي اذا لم يتجدّد

ثم ماذا . المسيحي انهُ لا يوجد هناك بكاءٌ ولا حزنٌ لان ربَّ المكان يمسح كل دمعةٍ من اعيننا[١] . المذعن ومع من نكون هناك . المسيحي اننا نكون مع السارُوفيم والكارُوبيم[٢] الذين تبهرُ عيناك من نظرهم ونجتمع مع الوفٍ والوف الوفٍ ممن تقدَّمونا الى ذلك المكان وهم عشيرةٌ مباركةٌ انيسةٌ لا يلحقنا منهم اذىً ولا سوءٌ وكلٌّ منهم يتردَّد امام الله ويقف بحضرتهِ ملحوظاً بعين الرأفة والقبول الى دهر الداهرين . وبالاختصار اقول اننا سوف نعاين الشيوخ باكاليلهم الذهبيَّة والعذارى القدّيسات بقيثاراتهنَّ الذهبيَّة[٣] والذين قطَّعتهم الامم واحرقتهم بالنار واكلتهم الوحوش وطُرِحُوا في البحار لمحبتهم سيِّد ذلك المكان[٤] يتمتَّعون متسربلين

بالنعمة لا يكون مغبوطاً في السماء ولو كان فيها لان سماءهُ هي على الارض التي قد تعلَّق قلبهُ بلذاتها ونعيمها

(١) اش ٢٥ : ٨ رؤ ٧ : ١٦ و ١٨ و ٢١ : ٤ (٢) اش ٦ : ٢ انس ٤ : ١٦ و ١٧ رؤ ٥ : ١١ (٣) رؤ ١٤ : ١ الى ٥ (٤) يو ١٢ : ٢٥

كلهم بالحيوة الابدية[١]. المذعن حقًّا ان سماع هذه الاحاديث يخلب الالباب. فهل يمكننا امتلاك هذه الخيرات وما هو السبيل الى اشتراكنا بها. المسيحي ان ربَّ المكان ومدبرهُ قد رسَم ذلك في هذا الكتاب. وخلاصتهُ انهُ يعطينا اياهُ مجانًا اذا كنا نريد امتلاكهُ من كل قلوبنا[٢]. المذعن قد سررت يا اخي باستماعي هذه المواعيد فلنسرع متقدّمين نحوها. المسيحي لا يمكنني الاسراع كما اريد لسبب هذا الحمل الواقع عليَّ[٣]

قال ورايتهما في ذلك الحلم بعد ان فرغا من حديثهما قد قربا من بالوعةٍ موحلةٍ جدًّا في وسط تلك البقعة يقال لها بالوعة اليأس. فلبثا ان سقطا

(١) ٢كو٥: ٢ الى ٤ (٢) رؤ٢١: ٦ و٢٢: ١٧ اش٥٥: ١ الى ٨ (٣) ان من لا يشعر بشرّ الخطية ولا يخبث قلبهِ قد يكون الى حينٍ اكثر غيرةً من المسيحي بالحق الذي يمشي متمهّلاً ولكن بطمانينةٍ وذلك لاجل ما يناله من الحزن والاضطراب لاجل خطيتهِ وتوبيخ ضميرهِ لهُ

فيها على غفلةٍ وجعلا يتقلّبان فيها متمرّغين بتلك الحمأة[1]. وغاص المسيحي من جرى حملهِ فوقعت الريبة في نفس المذعن وغضب نادمًا وقال لصاحبهِ اهذه هي الغبطة التي حدّثتني بها كل هذا الزمان ان كان هذا اول نعيمٍ افتتحنا بهِ السفر فاذا ننتظر في الخاتمة. ليتني اخرج من هنا حيًّا ودع هذا الملك الكبير لك وحدك. ثم اجتذب نفسهُ جذبةً منكرةً حتى تخلّص من تلك الورطة ووافق خروجهُ جهة بيتهِ فانطلق هايمًا على وجههِ ولم يرهُ المسيحي بعد ذلك[2] واقام

(١) بالوعة اليأس كناية عن المخاوف التي تقطع رجاءنا من الخلاص والشكوك التي توقفنا في حال القنوط. ولا ريب ان ذلك يصيبنا من عدم تصديقنا لما قالهُ الله في كتابهِ ومن وساوس الشرّير وتملّقات طبيعتنا المجبولة على الفساد ونفورها عمّا اوحى بهِ الله من الحقايق وتكذيبها لمواعيدهِ الصادقة. ولا يخفى ان ذلك مما يثلم صدق يقيننا وخلوص ايماننا

(٢) يتّضح من ذلك ان الاذعان لا يكفي بدون الثبات لان اوّل مشقّةٍ اصابت المذعن جعلتهُ ينكص على اعقابهِ مخذلاً

المسكين يختبط في تلك الهاوية وحدهُ وكان مع كل
ذلك يجتهد ملتمساً ان يتحوَّل الى جهة الباب الضيّق
المشار اليهِ دون جهة بيتهِ[1] وما زال كذلك الاَّ انهُ لم
يقدر على الخروج لسبب حملهِ

قال وبينما هو في ذلك الجهاد اذ اقبل عليهِ
رجلٌ يقال لهُ المُنجِد وقال لهُ ما شانك ههنا[2]. قال
ان رجلاً يقال لهُ الانجيلي قد امرني ان اسلك هذه
الطريق ودلَّني على ذلك الباب لانجو من الغضب
الآتي وبينما انا ماضٍ الى هناك سقطت ههنا. قال

لانها اخمدت حرارة عزمهِ واماتت ايمانهُ فرجع الى مدينة الهلاك

(١) ان المسيحي ولو وقع في بليَّةٍ لا يزال يطلب الفرار من بيتهِ والابتعاد عنهُ. وهذا هو الفرق بين من يشعر بخطاياهُ ومن لا يشعر بها. فان الذي يشعر بخطاياهُ ينظر دائمًا الى المسيح طالبًا منهُ المعونة والامداد. واما الذي لا يشعر بها فانهُ يرجع الى مدينة الهلاك طمعًا في التعزية

(٢) المراد بالمنجد هنا نعمة المسيح الفايقة التي تنشل الخطاة من غرق الهلاك بيدٍ قوية

ولماذا لم تلاحظ طريقك. قال قد غلب عليَّ خوف شديد فهربت في الطريق الاقرب وسقطت هنا. فتقدَّم اليهِ المُنجد وقال لهُ امدد يدك فمدَّها واخرجهُ واقامهُ على ارضٍ يابسة وامرهُ ان يمضي في طريقهِ[1]

قال فتقدَّمتُ الى ذلك المُنجد وقلت لهُ يا مولاي اذا كانت هذه العثرة في طريق مدينة الهلاك الى الباب الضيّق فلماذا لم يُنظَر في تمهيدها ليأمن المسافرون في عبورهم عليها. فقال انها قد خُلقت على وجهٍ لا يقبل الاصلاح لانها سربٌ تنصبُّ اليهِ دائمًا الادناس والاقذار الصادرة عن آلام الخطية ولذلك يُقال لها بالوعة اليأس لان الخاطي عندما يستفيق على حال هلاكهِ تتولَّد في نفسهِ مخاوف وشكوك كثيرة واوهام مريعة تجتمع وترسُب في هذا المكان وهذا هو السبب في سماجتهِ فلا يسرُّ الملك ببقاء هذا المكان هكذا[2] بل

(١) مز ٢٩: ٣ (٢) اش ٣٥: ٣ و ٤ و ٨

1 Tobogan
2 plaid
3 Le mire
4 ooze
1 filth
2 Habitat
tends
3 conviction
4 Slough
5 Despond
6 Apprehensions
7 and settle
8 reason
1 badness

ان اهل الصناعة بامر مهندسيهِ قد اشتغلوا اكثر من
الف وستماية سنةٍ في هذه الارض لعلها تجفُّ
ويستقيم امرها[1] وعلى ما اعلم انها قد ابتلعت اقلَّ ما
يكون عشرين الف حملٍ من التعاليم الشافية المجلوبة
كل وقتٍ من كل مملكة الملك. وذوو الخبرة يقولون
ان مثل هذه الاحمال افضل ما يكون لاصلاح هذا
المكان ومع ذلك لم يزل كذلك ولا يزال ولو بذلوا
كل جدٍّ وجهدٍ الى ما شآء الله من الزمان[2] وقد
يُوجَد بامرُ الشرعُ بعض صخور قد نُصِبت في وسط
هذه البالوعة[3] الا انها اذا تناوشت الرياح تلك

(١) ذلك من الميلاد الى وقت كتابة هذه الرؤيا الكاينة سنة الف وستمأية وستين للمسيح

(٢) يبين من ذلك ان طبيعة الانسان الساقط لا يُرجَى منها الاَّ السقوط ولا يُنتَظَر الاَّ قطع الرجآء من النهوض ولهذا مهما عملنا من الوسايط لا نقدر من تلقآء انفسنا ان نخرج من وحلة اليأس (٣) هذه الرموز تشير الى مواعيد الله للخطاة بخلّصهم يسوع المسيح

الاوضار غمرتها فلا تكاد تبين[1] واذا بانت لا يتمالك الجائزان يصيبها لما ياخذهُ من الدوار فيتلطخ بتلك الاوحال. ولكنهُ متى دخل الباب فتكون الارض جيّدة[2]

قال ثم رايت المذعن قد وصل الى بيتهِ واتى جيرانهُ يفتقدونهُ. وكان منهم من يصفهُ بالحكمة لانهُ نظر في امرهِ ورجع عن تلك الهلكة. ومنهم من يصفهُ بالحمق لانهُ خاطر بنفسهِ في مصاحبة المسيحي. ومنهم من يهزأ بهِ لانهُ نكص منخذلاً بعد جسارتهِ لاجل مشقّةٍ يسيرة. وكان بينهم خجلاً منكسرًا الاّ انهُ تجلّد في المحاورة فكفّوا عنهُ واخذوا يثلبون المسيحي ويلومونهُ

(١) هبوب هذه الرياح كناية عن احاطة البلايا والآلام من قبل الخطايا بضمائر المرتدّين حديثًا وهي التي لاجلها يسقطون في وحلة اليأس ويغوصون فيها لعدم ثقتهم بمواعيد الله

(٢) ذلك يدل على السيّد المسيح فانهُ لا سبيل لنا الى وجود ارض جيّدة ولا موقف سليم ولا طريق سهل الاّ بدخولنا الى مملكتهِ بالايمان والقاء انفسنا عليهِ لانهُ الصخرة الوطيدة

قال ثم رايت المسيحي وهو يمشي منفردًا قد التقى في مفرق الطريق برجلٍ قد عبر البقعة مقبلاً اليهِ. وكان ذلك الرجل يُقال لهُ الحكيم الدنيوي كان يسكن في بلدةٍ عظيمة يُقال لها الفطنة الجسديَّة مجاورة للمكان الذي اتى منهُ المسيحي[1]. وكان خروج المسيحي قد شاع خبرهُ في تلك الاطراف وتحدَّثت بهِ الناس وبلغ هذا الحكيم. فلما التقى بالمسيحي ورأى انزعاجهُ وسمع تنهُّدهُ قال الى اين تذهب يا اخي في هذه الحالة المنكرة. فقال المسيحي نعم ان هذه الحالة منكرةٌ لا اظنُّ احدًا احتمل اشدَّ منها. لكنني ذاهبٌ الى ذلك الباب الضيّق وهناك اهتدي الى طريقةٍ بها أُعتَق من ثقل

(١) ان مشورة الحكيم الدنيوي على المسيحي رسمٌ حقيقي للواعظين المبرّرين انفسهم بانفسهم الذين يزعمون ان الشعور بالخطايا يدلُّ على ضعف العقل وان طرق الله شاقَّة بعيدة المسافة عادمة البهجة ويتوهمون ان ممارسة الآداب تكفي للتقرُّب الى نعمة الله

حلي . قال الحكيم هل لك زوجة واولاد . قال المسيحي نعم الاَّ انني مرتبك بهذا الحمل فلا يأنس قلبي بهم ولا تطيب نفسي فانا كمن لا زوجة لهُ ولا اولاد[1] . قال الحكيم اتقبل مشورتي اذا اشرت عليك . قال المسيحي نعم ان كانت صالحة لانني محتاجٌ الى مثلها . الحكيم انّي انصحك ان تلقي عنك هذا الحمل اذ لا يمكن ان تصحو ولا تتنعَّم بالخيرات التي اسبغها الله عليك الاَّ بعد ذلك . المسيحي ليس لي مطلوبٌ سوى القاء هذا الحمل عني لكنني لا اقدر ان القيهُ بنفسي وليس في بلدنا احدٌ يقدر ان يلقيهُ عني ولذلك انا منطلق في هذه الطريق لأُعتَق منهُ . الحكيم من امرك ان تمضي في هذه الطريق لتُعتَق منهُ . المسيحي رجلٌ جليلٌ يقال لهُ الانجيلي . الحكيم تبًّا لهُ انهُ لا يوجد في الدنيا اعسر ولا اخطر من هذه الطريق التي دلَّك عليها وسوف تتحقَّق ذلك ان

(١) ١كو ٧ : ٢٩

تقدَّمت وانا ارى انك قد صادفت بعض ما ذكرت لك فاني انظر عليك وحل بالوعة اليأس. ولكن اعلم ان هذه البالوعة هي اوَّل الشدايد وايسرها فاقبل نصيحتي لانني اكبر منك سنًّا وانا انذرك بانك ستصادف في هذه الطريق تعبًا وألَمًا وجوعًا وعريًا وسيفًا ونابًا ومخلبًا وظلامًا وبالاجمال انك تكابد الموت الاحمر وكل طارقةٍ من البلايا والاهوال وكل هذا قد تثبَّت وتقرَّر عن ألسنة الثقات فلماذا تلقي نفسك في هذه المهالك باستماعك من رجل غريب. المسيحي يا سيّدي ان هذا الحمل اشدُّ عليَّ من كل هذه الشدايد فلا ابالي بها ان اصبت بعدها من يعتقني منهُ. الحكيم اخبرني من اين اتاك هذا الحمل. المسيحي من قرآءة هذا الكتاب الذي في يدي. الحكيم هكذا ظننتُ وقد اصابك مصاب اناس ضعفآء العقول يتداخلون في امورٍ فوق اطوارهم فيسقطون في ما

لايحتملونهُ طمعاً في امتلاك ما لايعلمون[1]. المسيحي اني اعلم ما اريد ان امتلكهُ وهو الراحة من هذا الحمل. الحكيم وكيف تطلب هذه الطريق للراحة وانت ترى اخطارها ومخاوفها. ولو اطعتني لاهديتك الى سبيل الظفر بما تريد هنيئًا مريئًا سالمًا من هذه المخاطر والاهوال وهو حاضرٌ ميسورٌ لديك. المسيحي انشدك يا مولاي ان تكشف لي هذه السريرة. الحكيم هوذا في تلك القرية التي يُقال لها الآداب[2] رجلٌ يُقال لهُ

(١) الحكيم الدنيوي لا يرتضي بكون الناس وَرِعين في تلاوة الكتاب المقدّس

(٢) قرية الآداب كناية عن الجماعة الكبيرة التي تجتنب الرذايل الذميمة وتمارس الفضايل الممدوحة ولكن بدون تقوى الله ومحبتهِ. ومن المعلوم ان هذا السلوك معيبٌ في مبداه وقياسهِ ومقصودهِ. لانهُ ينتج من محبّة الذات وينحصر في العوايد الخارجيّة والمقصود منهُ اكتساب الاسم الحسن والمنافع الزمنيّة مع التفاتٍ يسيرٍ الى جهة العواقب الاخيرة. ولذلك يختلف اختلافًا عظيمًا عن الطاعة الخالصة المقترنة بالتواضع والتجرُّد عن العالميّات ولا يُؤهّل احدًا للنعيم السموي

الناموسي وهو شهمٌ ثاقب العقل حسن السيرة خبير برفع الاحمال عن اكتاف من كان مثلك . وانا اعلم انهُ قد اصطنع اجوراً كثيرة في هذا العمل وهو فضلاً عن ذلك بصيرٌ في علاج من تزعزعت عقولهم بسبب احمالهم . فبادر اليهِ كما اشرت عليك ولك منهُ كل ما تحبُّ . وهو لا يبعد عنك اكثر من مسافة ميلٍ فان ظفرت بهِ والاَّ فان لهُ ولدًا يقال لهُ اللطف ستجدهُ هناك وهو من الوداعة واللطافة على جانبٍ عظيم ولهُ يدٌ في مساعدتك كأَبيهِ وهناك تستريح من حملك وتطمئنُّ . وان كنت بعد ذلك لا تريد الرجوع الى وطنك القديم كما لا اريد لك فاحضر زوجتك واولادك اليك وأَقِم بهم هناك . فانهُ مكانٌ طيّب فيهِ ديارٌ فسيحةٌ وجيرةٌ كرامٌ لا يغالون في ثمنٍ ولا اجرةٍ ولا يُنكَر عليهم شيءٌ من عوايدهم واخلاقهم (١)

(١) الحكيم الدنيوي يختار الآداب على الباب الضيق المرموز بهِ عن المسيح . ولا شك ان ذلك من حق الجسد الذي

قال فاشتغل قلب المسيحي عند سماعهِ ذلك الحديث وقال ان كان ذلك كذلك فالاجدر بي قبول النصيحة. وقال للحكيم اين الطريق يا مولاي الى منزل هذا الرجل الجليل. فقال الحكيم اقصد تلك التلّة التي تراها واول منزلٍ تصل اليهِ فهو اياهُ. فاكذّب المسيحي أن عرّج عن طريقهِ الاولى واخذ في طريق الناموسي(١) حتى دنا من تلك التلّة واذا هي شامخةٌ جدًّا وراء لها مُنحنًى يتّصل بالطريق معلّقًا فوقها فخشي ان يمرَّ بهِ فيهبط عليهِ فوقف مرتبكًا لا يدري ماذا يصنع. وترآءى لهُ ان حملهُ قد صار اثقل مما كان

يضادُّ الحق الروحي وان وهمنا باننا نتبرَّر بطاعة شريعة الله يقيم على مضادَّة طريقة التبرُّر بطاعة المسيح. والتبرُّر الذاتي يضادُّ ايمان المسيح كمضادَّة التمتُّع بشهوات الجسد لهُ على حدٍّ سوى

(١) صار ذلك الرجوع عندهُ محزنًا لانهُ ارتدَّ عن عمل المسيح لاجل نجاتهِ الى اعمالهِ وطاعتهِ. فخاف من سقوط تلك التلة المكنّى بها عن طور سينا اي جميع لعنات الشريعة المهولة على راسهِ

وخرج ايضًا من تلك التلَّة جمرات نار[1] خاف ان يحترق بها ومن شدَّة خوفهِ كان يعرق ويرتعش فندم على انصياغهِ الى مشورة الحكيم وامتلأَت نفسهُ من الكآبة[2]. وبينما هو كذلك واذا بالانجيلي قد اقبل عليهِ فسقط في يدهِ وخجل. ودنا الانجيلي منهُ ونظر اليهِ نظر العبوسة والغضب. وقال لهُ ما تصنع هنا ايها المسيحي. فلم يعرف بماذا يجيبهُ ووقف صامتًا امامهُ. فقال لهُ الانجيلي اما انت الرجل الذي وجدتهُ صارخًا عند مدينة الهلاك. قال المسيحي بلى انا هو يا سيّدي. قال الانجيلي اما اهديتك الى طريق الباب الضيّق. قال المسيحي بلى يا مولاي. قال الانجيلي فكيف

(١) خر ١٩: ١٦ الى ١٨ عب ١٢: ٢١

(٢) لا بدَّ للمسيحي ان يجتاز بجبل سينا وهو منطلق الى قرية الاداب لان النايب الامين يرى كل محاولةٍ في اقامة برّ نفسهِ باطلة بالكلّية وبمقدار ما يجتهد في مقابلة سلوكهِ واخلاقهِ مع شريعة الله بمقدار ذلك يخاف ويرتعد خشيةً من ان تسقط عليهِ حالاً جميع لعناتها بنقمةٍ شديدة

رجعت عنها عاجلاً. قال المسيحي انني لما خرجت من بالوعة اليأس صادفت رجلاً اقنعني اني اجد في القرية التي امامي من يعتقني من حملي. الانجيلي كيف كان ذلك الرجل. المسيحي كان كانهُ رجلٌ جليلٌ اطال الكلام معي واخيرًا جعلني انقاد اليهِ فاتيت الى هنا ورايت هذا المُخنَى معلَّقًا من جانب الطريق فخشيت ان انقدَّم فيهبط عليَّ. الانجيلي ماذا قال لك ذلك الرجل. المسيحي انهُ سالني عن طريقي واهلي فاخبرتهُ فانذرني وحذَّرني من مخاوف تلك الطريق وضمن لي قضآء حاجتي عن يد رجلٍ وَصَفَهُ لي في هذه البلدة وسهَّل لي طريقها فاغتررت بكلامهِ وقصدتها حتى وصلت الى هنا كما ترى فوقفت ولا اعلم ماذا اعمل. فقال لهُ الانجيلي قف قليلاً لأُريك كلام الله. فوقف مرتعدًا. ثم قال لهُ الانجيلي لا تستعفِ من المتكلم فان كان اوليك لم يستطيعوا الهرب لما استعفوا من

المتكلم على الارض فكم بالحري نحن الذين نصدُّ وجوهنا عن المتكلم من السماء[1]. ثم قال ايضًا ان البار انما يحيى من الايمان وان كان قد انصدَّ فلن تحبهُ نفسي[2] ثم قال اما انت فمنطلق الى الشقاء وقد اعتفيت من مشورة العلي وصددت خطواتك عن سبيل السلام وتبعت طريق الهلاك. فخرَّ المسيحي للوقت عند رجليهِ كالميت وقال الويل لي فاني هالك. ولما راى الانجيلي ذلك منهُ امسكهُ بيمينهِ وقال ان كل خطيةٍ وتجديف يُغفَر للناس فلا تكن غير مومنٍ بل مومنًا[3] فانتعش المسيحي عند ذلك ونهض يرتعد قدام الانجيلي كعادتهِ الاولى

فقال لهُ الانجيلي ارعَني سمعك فأُريك من غرَّك والى من ارسلك. اما الذي غرَّك فهو الحكيم الدنيوي وهو انما يُعرَف بذلك لانهُ لا يتعاطى الاَّ بتعليم هذه

(١) عب ١٢: ٢٥ (٢) عب ١٠: ٣٨ (٣) مت ١٢: ٣١ يو ٣: ٢٧

Digitized by Google

الدنيا[١] ولذلك يسكن في قرية الآداب ولانهُ يحب ذلك التعليم لكونهِ يخلّصهُ من الصليب[٢] ولانهُ ذو اخلاقٍ جسدية. ولذلك يحتال ان يعوّج سبلي المستقيمة. واعلم ان مشورة هذا الرجل تتضمّن ثلث خصالٍ شرّيرة ينبغي ان ترفضها على الاطلاق. وهي ردُّهُ لك عن طريق الخلاص واجتهادهُ في جعلك كارهًا للصليب واقتيادهُ اياك الى الطريق المؤدّية الى سلطة الموت[٣]. فيجب عليك اولًا ان ترفض امتثالك اليهِ لانك والحالة هذه قد رفضت مشورة الله لاجل مشورة حكيم دنيوي. فان الله يقول اجتهدوا على الدخول من الباب الضيّق[٤] وهو

(١) ١ يو ٤: ٥ (٢) غل ٦: ١٢

(٢) لا يحصل احدٌ على النعزية الانجيلية الاّ بعد ان يشعر بسوء الاتكال على برّهِ ويرفض اعمال الناموس. فليختر من الاتحاد مع الناموسي في قضية التبرُّر اولًا بالنعمة ثم بالاعمال لان ذلك يمزج النعمة والاعمال معًا حتى انهُ يجعلنا نرفع انفسنا ونضع يسوع وبرّهُ (٤) لو ١٣: ٢٤

الباب الذي ارسلتك اليهِ . ويقول ايضًا ما اضيق الباب واكرب الطريق التي تؤدّي الى الحيوة وقليلون الذين يجدونهُ[1] وهذا الخبيث ردَّك بمكرهِ عن هذا الباب وهذه الطريق ليفضي بك الى الهلاك . ثانيًا ان ترفض اجتهادهُ في كراهتك للصليب الذي يجب عليك ان تفضّلهُ على كنوز مصر[2] فقد قال رب المجد من احب نفسهُ فانهُ يهلِكها ومن ياتِ اليَّ ولا يبغض اباهُ وامهُ وامراتهُ وبنيهِ واخوتهُ واخواتهِ حتَّى نفسهُ فلا يقدر ان يكون لي تلميذًا[3] . ثالثًا ان ترفض اقتيادهُ اياَّك الى الطريق المؤدّية الى سلطة الموت وتعلم انهُ قد مكر بك واصرفك الى من لا يقدر ان يحرّك حملك . واما هذا الذي ارسلك اليهِ اي الناموسي فهو ابن الامة المستعبدة مع بنيها وهي على نوع سرّي جبل

(١) مت ٧ : ١٤ (٢) عب ١١ : ٢٥ و ٢٦

(٢) لو ١٤ : ٢٦ مت ١٠ : ٣٧ الى ٣٩ بو ١٢ : ٢٥ مر ٨ : ٣٤ و ٣٥

Digitized by Google

سينا الذي خفت ان يهبط عليك واذا كانت مع بنيها في العبودية فكيف ترجو ان يعتقوك[1] وهذه حجَّة قاطعة على ان الناموسي لا يقدر ان يعتقك من حملك وهو لم يعتق احدًا قط ولا يعتق احدًا ابدًا. وانتم لا تستطيعون ان تتبرَّروا باعمال الناموس لانهُ باعمال الناموس لا يُعتَق احدٌ من حملهِ. فقد تقرَّر ان الحكيم الدنيوي كذَّابٌ والناموسي غشَّاشٌ وابنهُ اللطف مُرآءٌ وليس احدٌ منهم يقدر ان يسعفك مثقال ذرَّةٍ. قال الانجيلي هذا وصرخ بصوت عظيم نحو السماء لاثبات ما قالهُ واذا قد خرجت كلماتٌ ونارٌ من الجبل الذي كان المسيحي جالسًا تحتهُ فارتعدت فرايصهُ واقشعرَّت اعضاؤهُ وكانت تلك الكلمات كل من كان من اعمال الناموس فانهُ تحت اللعنة لانهُ قد كُتِب ملعونٌ كل من لا يثبت بجميع ما كُتِب في كتاب

(١) غل ٤: ٢١ الى ٢٧

الناموس ليعمل بهِ[1] واشتدَّ الامر على المسيحي فلم يكن ينتظر الاَّ الموت وجعل يبكي ويلعن الساعة التي جمعت بينهُ وبين الحكيم الدنيوي مستجهلاً نفسهُ التي اثَّرت فيها الاباطيل الجسدية واصرفتها عن الطريق المستقيمة. وقال للانجيلي يا مولاي هل لي رجاءٌ بعد هذا ولعلّي اقدر ان ارجع الان وامضي الى الباب الضيّق وهل تُغفَر خطيتي. فقال الانجيلي ان خطيتك عظيمة جدًّا لانك تركت طريق الصلاح وتبعت الطريق المحرَّمة الاَّ ان بوَّاب هذا الباب يقبلك لانهُ شفوق على البشر. واما انت فاحذر ان تحيد ثانيةً ليلاَّ تضلَّ عن الطريق عند ما يتَّقد غضبهُ بسرعةٍ[2]

(١) غل ٣: ١٠ ان الاتكال على مجرَّد الناموس عداوة عظيمة لصليب المسيح لانهُ يصدُّنا عن الاتيان الى دم المسيح والتوكُّل عليهِ في امر الغفران وعن برّ المسيح لاجل التبرُّر حتى انهُ يمسك انفسنا في رق العبودية ويملأنا افتخارًا لا يليق

(٢) مز ٢: ١٢

وعند ذلك عوَّل المسيحي على الرجوع فقبَّلهُ الانجيلي ودعا لهُ بالنجاح وانطلق المسيحي مسرعًا لايلتفت الى احدٍ ولايجيب سائِلاً. وما صدَّق ان صار الى الطريق التي تركها حتَّى اخذ فيها مجتهدًا الى ان وصل الى الباب الضيّق. وكان مكتوبًا عليهِ اقرعوا يُفتَح لكم فقرع الباب مرارًا[1] وقال

يا صاحب البابِ ترى هل من جوابٍ منك لي
وهل اراكَ فاتحًا تقول يا ضيف أدخلِ

فاتى شخصٌ وقورٌ يُقال لهُ الجودة وقال لهُ من انت ومن اين اتيت وماذا تريد. قال لهُ اني مسكين خاطئ مثقل قادم من مدينة الهلاك ذاهب الى جبل صهيون لانجو من الغضب الآتي وقد قيل لي ان الطريق من هذا الباب. فهل تاذن لي في الدخول.

(١) مت ٧:٧ هذه هي الصلوة لله والاستشفاع بهِ بايمانٍ طلبًا للرحمة وغفران الخطايا بدم المسيح

Digitized by Google

قال حبًّا وكرامةً اني اريد ذلك من كل قلبي[١] وفتح الباب فدخل المسيحي ولما القى رجلهُ الى داخل الباب اجتذبهُ الرجل مختطفًا اياهُ فقال المسيحي ما هذا يا مولاي. قال ان هنا برجًا في مقابلة الباب ينزلهُ بعلزيوب وجنودهُ وهم يرصدون الداخلين ويرمونهم بالسهام لعلهم يقتلونهم على الباب[٢]. قال المسيحي انني قد سررت بهذا واضطربت منهُ.

(١) ان الله يفتح الباب للخطاة المنسحقي القلوب. ومن هنا تظهر محبة يسوع بقبولهِ مجانًا من كل قلبهِ لكل خاطىء يقبل اليهِ وهو لا يعتبر مقدار تدنُّسهِ السابق ولا يلتفت الى الخطايا التي ارتكبها فانهُ يحب الخطاة مجانًا ويقبلهم عفوًا لانهُ لا يريد لهم سوى الخير

(٢) ان الشيطان لا يحارب الذين يصلُّون بالرياء لانهم لا يضادُّون ارادتهُ ولهذا لا يزعجهم في اتمام ما يدعونهُ عبادةً. لكنهُ يكره على الخصوص صلوة المومن المنسحق القلب ولهذا يرميهِ بسهامهِ ويلقي في ضميرهِ وساوس كاذبة ليقطع مناجاتهُ لله

ثم سالهُ البوَّاب عمَّن اهداهُ الى هناك . قال ان الانجيلي امرني ان اجيء الى هنا واقرع الباب . وقال لي انك انت تقول لي ماذا افعل . قال ان امامك بابًا مفتوحًا لا يقدر احدٌ ان يغلقهُ . فقال المسيحي الآن ابتدي احصد اثمار شدايدي . قال البوَّاب لماذا اتيت وحدك . قال لانهُ ليس احدٌ من جيراني اطَّلع على خطرهِ كما اطَّلعت . قال وهل عرف احدٌ منهم بمجيئك . قال نعم ان امراتي واولادي راوني اولاً ثم البعض من جيراني وكلهم كانوا يصيحون في اثري لارجع فلم التفت ولم اقف . قال الم يتبعك احدٌ منهم ليردَّك . قال قد تبعني المعاند والمذعن حتى قطعا الرجاء من رجوعي فرجع المعاند حنِقًا واما المذعن فرافقني قليلاً . قال ولماذا لم يثبت معك . قال اعترضتنا في الطريق بالوعة اليأس فسقطنا فيها ولما تيسَّر لهُ الخروج اجفل راجعًا في طريقهِ وقال لي دع هذا المُلك العظيم

لك وحدك[1]. قال الويل لهُ هل استصغر المُلك السماوي هكذا حتى لم يحتمل لاجلهِ مشقَّةً يسيرةً. قال اني قلت الحق عن المذعن ولو قلت الحق عن نفسي لظهر اني مثلهُ لانهُ انصرف الى بيتهِ واما انا فانقلبت عن طريق الخلاص الى طريق الهلاك باتباعي راي الحكيم الدنيوي[2]. قال أَلعلَّهُ صادفك واشار عليك بطلب الراحة عن يد الناموسي الغاش مثلهُ. قال نعم قد كان ذلك. ولما وصلت الى تلقاء الجبل المبني بيت الناموسي بجانبهِ خفت ان يهبط عليَّ فوقفت. قال ان ذلك الجبل قد امات وسيُميت

(١) قد يكون للانسان رفاقٌ في طريق السماء ومع ذلك يصل اليها وحدهُ لان المدعوين كثيرون والمنتخبين قليلون مت ٢٠:١٦ (٢) من حاز نعمة حقيقية في قلبهِ فانهُ يحل الخزي على نفسهِ وينسب كل المجد الى نعمة الله الفايقة في ما يُوجَد من الفرق بينهُ وبين الغير. والنعمة المجانية تميت الكبرياء وتضع الخاطئ وترفع المسيح وتجعل الخطاة يفرحون ببرهِ وخلاصهِ الابدي

Digitized by Google

كثيرين فقد اصبت بفرارك منهُ ولولا ذلك لهلكت.
قال نعم ولو لم يتداركني اللهُ برحمةٍ منهُ ويرسل اليَّ الانجيلي
لما وصلت الى هنا واشهد للهِ انني استحق الموت تحت
ذلك الجبل اكثر من لقاءِ سيّدي ومخاطبتي لهُ(١)
واشكر اللهَ الذي انعم عليَّ بدخولي الى هذا المكان ولم
يؤاخذني بما فرط مني. قال لا بأْس اننا لا نبكّت احدًا
على ما فعل قبل اتيانهِ الى ههنا. من يُقبِل اليَّ
لا أُخرِجهُ خارجًا(٢) فاذهب بنا ايها المسيحي قليلاً
وأُريك الطريق التي ينبغي ان تسلكها وهي تلك
الطريق الضيّقة امامك التي فتحها الآباءُ والانبياءُ
والمسيحُ ورسلهُ وهي على الخط المستقيم محضًا(٣) فالزمها

(١) هذه علامة حقيقية لعمل النعمة الخالص اذ ينسب القلب كل شيء الى النعمة. فانهُ لا يذكر شيئًا من وفائهِ وامانتهِ ولا يوجّه شيئًا الى حرّية ارادتهِ او الى قوّتهِ. بل ينسب نجاتهُ من الهلاك وثباتهُ في طريق الخلاص الى اللهِ ونعمتهِ المجانية وقدرتهِ الباهرة (٢) يو ٦: ٣٧

(٢) ان المسيحي لما دخل الى الباب الضيّق دلوهُ على

مستويًا . قال أليس فيها شُعَبٌ ومعارج يضلُّ بها الغريب . قال لاتخلو من طرقٍ تتفرع منها الاَّ انها واسعة معوجَّة وطريقك مستقيمة ضيِّقة(١)

قال ثم رايت في الحلم المسيحي يسأَلهُ بعد ذلك هل يقدر ان يرفع حملهُ عنهُ لانهُ كان لم يزل عليهِ . فقال اصبر حتى تصل الى مكان الخلاص وهناك يسقط من ذاتهِ . فبرز المسيحي متاهبًا للسفر وقال لهُ البوَّاب انك بعد قليلٍ تنتهي الى بيت المفسِّر فاقرع بابهُ وهو يريك ما شاء الله من عظايم الامور . فشكرهُ المسيحي وودَّعهُ وانطلق يعدو الى بيت المفسِّر حتى اتاهُ . فجعل يقرع الباب واذا بسائلٍ يقول من هذا . قال انى سايحٌ قد اهداني مَن يعرف ربَّ هذا البيت عليهِ فادعُ

الطريق الضيِّقة . واما الطريق الواسعة فكل انسانٍ يقدر ان يختار فيها لنفسهِ ما يناسبهُ من المسالك ويتَّخذ لهُ رفاقًا يوافقونهُ بخلاف المسيحيين فان الواحد منهم يلتزم ان يقفو اثر خطوات الاخر في الطريق الضيِّق (١) مت ٧ : ١٤

لي اياهُ. فحضر وقال للمسيحي ماذا تريد. قال اني قد خرجت من مدينة الهلاك طالبًا جبل صهيون وقد قال لي الرجل الواقف على الباب عند راس هذه الطريق اني اذا اتيتك استفدت منك ما استعين بهِ على سفريَ. فقال المفسّر ادخل ولك ما تحبُّ[1] وامر غلامهُ فاضآ لهُ مصباحًا وادخلهُ الى خلآ وفتح بابًا هناك فنظر المسيحي واذا على الحايط صورة شخصٍ مهيبٍ قد شخصت عيناهُ نحو السمآ وفي يدهِ كتابٌ حسنٌ وناموس الحق مكتوب على شفتيهِ والعالم ورآ ظهرهِ وهو واقفٌ كانهُ يستعطف الناس وفوق راسهِ اكليلٌ من ذهب. فقال ما هذا يا مولاي. قال ان صاحب هذه الصورة رجلٌ عظيم لا يُقاس بالرجال وشخوص عينيهِ والكتاب الذي في يدهِ واكتتاب

(١) المراد بالمفسّر هنا تعليم الروح القدس وانارتهُ اللذان يشترك فيهما كل من ياتي الى المسيح. والمناظر التي رآها المسيحي في بيت المفسّر كناية عما ينعلّمهُ جميع المتعلّمين من الله

الناموس دليل على اجتهادهِ في ان يعرّف ويكشف الغوامض للخطاة كما يتّضح من حالة وقوفهِ. واما ادبارهُ عن العالم وتعليق اكليل الذهب فوق راسهِ فدليلٌ على استخفافهِ بالامور الحاضرة وازدرآيهِ بها حبًّا بسيّدهِ وثقتهِ بالجزآء الوافر في العالم الآتي. ثم قال اعلم انني اريتك هذه الصورة في اول الامر لان ربَّ المكان الماضي اليهِ انت قد فوّض الى صاحبها الهداية في جميع المسالك الشاغرة التي تمرُّ بها. فاحتفظ على ما رايت وسمعت ليلّا يصادفك من يترآءى لك كمرشدٍ مع ان طريقهُ مُحدِرة الى الجحيم (١)

(١) الامر الاول هنا يُشير الى صفات الراعي الصادق. واعلم ان من اهمّ الامور واضرّها لمن يبحث عن طريق السماء ان يعرف كيف يميّز الرعاة الامناء من الأجرَى والمعلّمين الكذبة الذين هم قهارمة ابليس لاجل غدر الناس وافساد حسن تصرُّفهم. ولا يخفى ان من كان دنيويًّا منافقًا مُفسِدًا ولو كان في لباس الرعاة لا يمكن ان يكون مرشدًا امينًا يُوثَق بهِ. لان من لا يطالع كتاب الله لا يقدر ان يكشف للخطاة ما غمض من الامور.

ثم امسك بيدهِ وادخلهُ الى غرفةٍ عظيمة قد فُرِش الغبار على ارضها لطول عهدها بالكناسة. فنظر اليها قليلاً ودعا المفسّر رجلاً يكنسها. ولما شرع في كنسها ثار ذلك الغبار وغشى المسيحي حتى كاد يختنق بهِ. فدعا المفسّر جارية وامرها ان ترش الغرفة بالماء فرشّت وحينئذٍ انقطع الغبار. فقال المسيحي وما هذا يا سيّدي. قال ان هذه الغرفة كنايةٌ عن قلب انسانٍ لم يتقدَّس بنعمة الانجيل والغبار كناية عن الخطية الاصلية والادناس القلبية المُفسِدة للنفس والذي كنس اولاً فهو الناموس والتي رشّت الماء كنايةٌ عن بشارة الانجيل وهياج الغبار من دون ان تُنقّى الغرفة يُشير الى ان الناموس لا ينقّي القلب من الخطية بل

وكذلك من يعتبر الارباح والراحة اكثر من رغبتهِ يكون اتباعهُ امرًا خطرًا ناتجًا عن جهالةٍ وغباوة. كما ان المريض لا يليق بهِ ان يتخذ لنفسهِ طبيبًا جاهلاً متوانيًا ماكرًا لاجل مجرَّد كونهِ من ارباب صناعة الطبّ

انهُ يُحييها فيهِ ويقوّيها ويزيدها في النفس[1] لانهُ يكشفها ولا يُعطي قوّةً لاذلالها . وخمود الغبار برشّ الماء يُشير الى ان الانجيل حينما يدخل القلب بعذوبتهِ وتأثيرهِ تخمد الخطية وتُذَلُّ وتُنقّى النفس بايمانها وتستحق ان يحلّ فيها ملك المجد[2]

قال ثم رايت في الحلم ان المفسّر بعد هذا الكلام

(١) رو ٥: ٢٠ و٧: ٩ واكو ١٥: ٥٦ (٢) يو ١٥: ٣ اف ٥: ٢٦ اع ١٥: ٩ افحص ايها القاريء هل انت تحت الناموس ام تحت الانجيل . وسل نفسك هل شعرت بان شهواتك الفاسدة اشتدّت عليك بالوصية فصارت الخطية تهيّج فيك كل الشهوة . وبعد ما كانت الخطية بدون الوصية ميتة هل احيت الشريعة فيك الخطية فمتّ عن رجائك السابق في التبرُّر بطاعة الشريعة رو ٧: ٧ الى ٩ والاّ فتكون لم تزل ميتًا بالخطية ومنعكفًا على الثقة الباطلة . ولكن اذا كنت قد صرت ميتًا عن الشريعة وقد زادك الانجيل بقوّتهِ المحيية تعزيةً ونقد يسًا وجعل دم المسيح وبرّهُ كريمين عندك واعطاك الايمان غلبتهُ على الخطية والموت فان كان الامر كذلك فاذهب في سبيلك مطمئنًا مبتهجًا

اخذ بيد المسيحي وادخلهُ الى مخدعٍ قد جلس فيهِ غلامان على كرسيين اسم اكبرهما الضجر والاصغر الصبر. وكان الكبير منزعجًا والصغير مطمئنًا. فسالهُ المسيحي عن سبب اضطراب ذاك وسكون هذا. فقال ان وليَّ امرهما يريد ان يؤخّر جزآء ذاك الى افتتاح السنة القادمة وهو لا يصبر فيضطرب لجاجًا بخلاف صاحبهِ فانهُ طويل الاناة. قال ثم رايت رجلاً قد اتى باموالٍ كثيرةٍ في كيس فالقاها قدام الضجر فتناولها وسرَّ بها ضاحكًا على الصبر لانهُ قد فاتهُ المال بتأنّيهِ. ثم لم يلبث ان بدَّد تلك الاموال فلم يبقَ في يدهِ الاَّ الكيس التي كانت فيهِ. فقال المسيحي للمفسّر زدني ايضاحًا في ما ارى. قال ان الضجر نموذج اهل هذا العالم والصبر نموذج اهل العالم الآتي. لان الاول يريد نوال الحسنات في عامهِ اي في هذه الدنيا كما يفعل اهل هذا العالم الذين لا ينتظرون الجزآء المستقبل في

السنة القادمة اي في العالم الآتي ويفضّلون قول المثل عصفورٌ في اليد خيرٌ من اثنين في الشجرة على جميع الشهادات الالهية المعبّرة عن خيرات العالم الآتي. وهو قد بدّد جميع خيراتهِ في الحال كما تتبدّد خيرات هذا العالم بخلاف الصبر الذي احرز نصيبهُ الى موعدهِ. قال المسيحي اني ارى الصبر احكم لانهُ انتظر ما هو افضل فتكون في يدهِ الجوايز حين لا يكون في يد صاحبهِ الاَّ خرقة الكيس(١). قال نعم وزِد على ذلك ان جوائز العالم الاتي باقية وجوائز هذا العالم فانية فلا يحق للضجران يضحك على الصبر لادراكهِ جوائزهُ اولاً كما يحقُّ للصبر لادراكهِ اياها اخيرًا. لان الاوَّل لابدَّ

(١) ان الناس الجسديين لا يسالون الاَّ عن تمتيع حواسهم باللذّات الجسدية. واما عاقبتهم فتكون خسارة جميع الاشياء وهلاك نفوسهم خلافًا للابرار فانهم يعيشون بالايمان متكلين على المسيح اذ ينتظرون الغبطة العتيدة. فتكون اخرتهم مغبوطة لانهم ينالون غاية ايمانهم التي هي خلاص انفسهم والتمتُّع بالمسيح الى الابد بمجدٍ لا يُوصَف

ان يُعقِبهُ الآخِر فهو رهينٌ لهُ واما الآخِر فلا يُعقِبهُ شيءٌ فهو حرٌّ مطلقٌ. ولذلك قيل للغني انك قد قبلت خيراتك في حياتك ولعازر بلاياهُ والان هذا يستريح وانت تتعذَّب[1]. قال المسيحي اني ارى انتظار الواصل خيرًا من اعتبار الحاصل. فقال المفسّر قد اصبت لان الاشياء المنظورة زمنية وتزول والغير المنظورة ابديةٌ وتدوم[2] ولكن لاجل المجاورة بين شهواتنا العالمية ومرغوباتها الحاضرة والمباعدة بين حواسنا الهيولّية ومأمولاتها المزمعة تُوجَد الالفة بين الاولين والتباعد بين الاخيرين[3]

قال ثم رايت واذا المفسّر قد اخذ بيد المسيحي

(١) لو ١٦: ٢٥ (٢) ٢ كو ٤: ١٨

(٢) رو ٧: ١٥ و ٢٥ انظر هنا عظم قيمة الايمان وسموّ جلالهِ. لانهُ يجعل صاحبهُ يعتبر الاشياء كما هي ويتجاوز الامور الحسّية الزمنية ويطلب الامور الابدية برغبةٍ واجتهادٍ. وهذا هو حال المولودين لميراث السماء فان البار من الايمان يحيا رو ١: ١٧ وهذه هي حبوة السماء على الارض

وادخلهُ الى مكانٍ بجانب حائطهِ نارٌ مضطرمة وبجانبها رجلٌ يصبُّ عليها ماءً كثيرًا ليخمِدها وهي تزداد لهيبًا واشتعالاً. فقال المسيحي ما هذا يا مولاي. فاجابهُ المفسِّر ان النار هي عمل النعمة المؤثر في القلب والذي يصبُّ عليها الماءَ ليطفيها هو ابليس واما ازدياد اشتعالها بالماءِ فستعلمهُ ان شاءَ الله. ثم اخذهُ الى ورآءِ ذلك الحائط فراى رجلاً في يدهِ اناءُ زيتٍ ينضح منهُ على تلك النار شيئًا فشيئًا خفيةً. فقال المسيحي وما هذا. قال هذا هو المسيح المواظب على الاجتهاد في ان يحفظ بواسطة زيت نعمتهِ العمل المبتدئ في القلب وبذلك لا تزال النعمة محفوظة في انفس شعبهِ ولو فعل الشيطان مهما فعل ضدها[1] واما جلوسهُ ورآءَ الحائط يحفظ النار فهو يفيد ان الذي استولت عليهِ التجارب يعسر عليهِ ان يرى كيف يُحفَظ عمل

(١) ٢كو ١٢: ٩

النعمة في النفس[1].

قال ورايت المفسّر ايضًا قد امسك بيدهِ واقتادهُ الى مكانٍ شهيٍّ قد بُني فيهِ قصرٌ عظيمٌ حسن المنظر. فابتهج المسيحي برؤيتهِ ورأى اناسًا يتمشّون على سطحهِ متوشحين بالذهب فتاقت نفسهُ اليهم وقال هل يُؤذَن لنا في الدخول الى هذا القصر. فاقتادهُ المفسّر ايضًا الى باب القصر واذا اناسٌ كثيرون قد وقفوا لدى الباب كانهم يريدون الدخول ولا يجسرون عليهِ. وكان بجانب الباب رجلٌ بين يديهِ صحيفة ودواة يكتب اسماء الذين يدخلون. وعلى ذلك الباب جمهورٌ من الحرّاس قد وقفوا باسلحتهم يحفظونهُ

(١) لما كان البعض من الناس لم يذهبوا الى ما وراء الحايط لكي يروا كيف يصون المسيح عمل النعمة كانوا ينسبون ذلك الى عللٍ اخرى. مثل امانة الانسان وغيرها مما يتوهمونهُ بجهالتهم غير ذاكرين ان الرب هو الذي يبتدي في عملهِ في قلوب الخطاة ويواظبهُ ويتممهُ. فآمن بهذا يا ايها الخاطي المسكين وحب سيّدك واعترف لهُ وافرح بهِ لان محبتهُ ابدية وخلاصهُ سرمدي

ويسطون على الداخلين بما استطاعوا من الاذى فاستهالت الجماعة امرهم وانصرفوا خوفًا من مضرَّتهم. فاندهش المسيحي من ذلك المنظر ولبث متحيرًا. واذا برجلٍ قد اتى الى الكاتب وسأَلهُ ان يكتب اسمهُ فكتب وثار من هناك الى سيفهِ فتقلَّد بهِ ولبس ما يتَّقي بهِ من درعٍ وخوذةٍ وهجم على اوليك الحُرَّاس فانقضُّوا عليهِ وانتشب بينهم القتال فانجرح بعد ما جرح كثيرين من الذين كانوا يمنعونهُ عن الدخول[1] وما زال حتى فتح طريقًا في وسطهم وجاز مسرعًا الى القصر. فسُمِعت اصوات التهليل ممن كانوا في داخلهِ وعلى سطحهِ وهم يقولون لهُ

اهلاً بهذا الزاير المفتقدِ ... من سايحٍ جُرِّد للتعبُّدِ
قم ادخل اليومَ وانت في غدٍ ... سَتَرِثُ المجد العظيم الابدي

فدخل وابتهج بهِ القوم والبسوهُ ثيابًا كثيابهم. والمسيحي يرى كل ذلك ويسمع فابتسم حبورًا وقال

(١) مت ١١: ١٢ اع ١٤: ٢٢

Digitized by Google

اظن اني اعرف معنى هذه الرموز[١]

ثم قال للمفسّر دعني اذهب من هنا. قال لا ولكن اصبر حتى أُريك قليلاً ايضًا. واخذ بيدهِ واقتادهُ الى مخدعٍ مظلمٍ جدًّا فيهِ رجلٌ محبوسٌ في قفصٍ من حديدٍ. وكان كئيب المنظر مُطرِقًا بعينيهِ الى الارض مكتوف اليدين يتنفَّس الصعداء حتى كاد يصدع قلبهُ. فقال المسيحي ما هذا يا مولاي. قال سَلْهُ يُخبِرك. فسألهُ من انت. قال اني لست كما كنت قبلاً. قال وكيف كنت قبلاً. قال اني كنت محسوبًا مسيحيًّا فاضلاً[٢] في عينيَّ وفي اعين الاخرين وكنت اظن نفسي اهلاً للمدينة السموية فكنت اسرُّ مبتهجًا عند ما افتكر باني سامضي الى هناك. قال اما الان فكيف

(١) هذه حالة من عزم ان يربح المسيح وينال ملكوت المجد. فانهُ مهما اعترضهُ من الموانع والمضادّات يحضر نحو الغرض الى اكليل دعوة الله يسوع المسيح. في ٣: ١٤ لان ملكوت السموات يغصب والغاصبون يختطفونهُ. مت ١١: ١٢ (٢) لو ٨: ١٣

انت. قال اني الان مقطوع الرجا محبوسٌ في سجن الاياس كما انا محبوسٌ في هذا القفص ولا سبيل لي الى النجاة فالويل لي على هذه الحال. قال وكيف اصابك هذا المصاب. قال قد اصابني من ترك السهر في العبادة والرخصة في صيانة العفاف واطلاق عنان الشهوات العالمية. اني قد اخطأت الى شعاع كلمة الله واحزنت الروح المعزّي فتركني وجاريت الشيطان فاقبل عليَّ واغضبت الله فاهملني وقسا قلبي حتى لم اعُد استطيع ان اتوب. فقال المسيحي للمفسّر يا مولاي ألَا رجآءَ لهذا الرجل. قال سَلْهُ وهو ادرى بنفسهِ. فقال لهُ يا اخي اليس لك رجآءٌ وهل تبقى معتقلاً في هذا السجن. قال نعم وقد انقطع رجآءي بالكلّية. قال كيف ذلك وابن الله شفوقٌ والى الابد رحمتهُ[1]. قال اني صلبتهُ ثانيةً لنفسي واستهزأت بهِ وكفرت

(١) مز ١٣٥: ١

بنعمتهِ واحتسبت دمهُ نجسًا وتهاونت بروح النعمة فاحرمت نفسي كل المواعيد ولم يبقَ لي سوى تهديدات الدينونة الرهيبة وغيرة النار التي تحرق الاعداء[1]. قال ولماذا جلبت على نفسك هذه الحالة. قال لاجل شهوات هذا العالم ولذَّاتهِ وارباحهِ التي وعدت نفسي بالتمتُّع بها واما الآن فكل واحدٍ منها ينشب مخالبهُ بي كالاسد ويلسعني بانيابهِ كالافعى. قال ألا تقدر ان تتوب الآن وترجع الى الله. قال ان الله قد حجب عني التوبة وفضلاً عن عدم اعانة كلمتهِ لي على الايمان قد حبسني في هذا القفص الذي لا يقدر احدٌ من الناس ان يُطلِقني منهُ ابدًا. فيا لها من ابدية هايلة اقاسي فيها شقاءً لا نهاية لهُ. فقال المفسِّر للمسيحي تأمَّل يا اخي في حالة هذا الرجل واتخذها لك موعظة دايمة. قال المسيحي نعم يا مولاي انها حالةٌ

(١) عب ٦: ٤ الى ٦ لو ١٦: ١٤

مريعة فاسأل الله ان يعينني لاسهر واصلي واهذب نفسي قولاً وعملاً لعلي انجو من مثل هذه الحال(١)

ثم قال للمفسّر يا سيّدي أما حان وقت انصرافي في طريقي. فقال المفسّر اصبر حتى اريك شيئاً اخر ايضاً ثم تنصرف. واخذ بيدهِ وادخلهُ الى علّيَّة فنظر واذا رجلٌ قد قام من على سريرهِ وبينما هو يلبس ثيابهُ كان يرتعد. فقال المسيحي لماذا يرتعد هذا الرجل.

(١) ان مفاوضة المسيحي مع الرجل المحبوس تبين لنا جليّاً مراد صاحب هذا الكتاب. وقد ظنَّ مراراً كثيرة ان راي الانسان في شان نفسهِ لا يثبّت ان حالهُ حال اياس. لانهُ لا شك انهُ يوجد مثل هذه المخاوف في الذين يبتلون بالامراض السوداوية مع انهُ يوجد اسباب كافية تبين انها لا اساس لها. ومن ثم ينبغي لنا ان نقدّم دايماً نعمة الانجيل المجانية للذين سقطوا في اكبر الخطايا وعلى الخصوص عند ما يشعرون بذنوبهم ويحسُّون بالخطر الذي هم عليهِ. غير انهُ امرٌ مهولٌ ان بعضاً من الناس قد حُبِسوا في سجن اليأس من دون رجاء النجاة منهُ ولا سبيل الى تجديدهم للتوبة. فيجب علينا ان نترك لله الحكم على العصاة ونتخذ مثالهم موعظة لنا وللاخرين حتى لا نخاطر بانفسنا

Digitized by Google

فقال المفسّر للرجل اجبهُ يا اخي عن سوالهِ . فقال الرجل انني بينما كنت نايمًا هذه الليلة رايت السمآء قد اظلمت جدًّا وسطعت فيها البروق ودمدمت الرعود حتى اهالني ذلك في الغاية . ثم رايت واذا غيومٌ تسوقها الرياح بشدَّةٍ غير مألوفة فسمعت صوت بوقٍ هايلاً ورايت انسانًا جالسًا على سحابةٍ وقد احاطت بهِ الوفٌ من السماويين عليهم حللٌ من نارٍ ملتهبة وكانت السمآء ايضًا كانها قبَّةٌ من النار . وفي اثنآء ذلك صرخ صارخٌ بصوتٍ عظيم يقول ايها الموتى قوموا وهلمُّوا الى الدينونة . فتشقَّقت الصخور وتفتحت القبور وخرج مَن فيها من الاموات . وكان البعض منهم متهلّلين قد رفعوا اعينهم الى العُلى والبعض منكسرين يريدون ان يخفوا انفسهم عن الناظرين . ثم رايت الجالس على السحابة قد فتح الكتاب وامر الناس ان يتقدَّموا اليهِ وكان بينهُ

وبينهم مسافة قريبة كما بين القاضي والمقضي عليهِ[١]
قال وسمعت ذلك المنادي ينادي الطغمات السموية
المحيطة بذلك الجالس قايلاً لهم اجمعوا الزوان والتبن
واطرحوهما في البحيرة الملتهبة[٢] وعند ذلك انفتحت
بيئر العمق حيث كنت واقفًا وخرج من فمها دخانٌ
كثيرٌ وجمر نارٍ باصواتٍ مرعبة. وقيل ايضًا لاوليك
السماويين اجمعوا حنطتي الى الاهراءِ[٣] وحينئذٍ رايت
كثيرين قد اختُطِفوا وحُمِلوا في السحاب واما انا
فتُرِكت وحدي[٤] واردت ان اختفي فلم اقدر لان
الجالس على السحابة كان لم يزل ناظرًا اليَّ وتردَّدت
خطاياي في فكري واخذ ضميري يوَبِّخني من كل
ناحية[٥] وعند ذلك استيقظت مرتاعًا كما رايت.

(١) اكو ١٥ انس ٤:١٦ ٢تس ١:٧ الى ١٠ يه ١٥
يو ٥:٢٨و٢٩ رؤ ٢٠:١١ الى ١٥ اش ٢٦:٢١ مل ٣:
٢و٣ دا ٧:٩و١٠ (٢) مت ٣:١٢و١٣:٣٠ مل ٤:١
(٣) لو ٣:١٧ (٤) انس ٤:١٦و١٧ (٥) رو ٢:١٤و١٥

قال المسيحي وماذا اخافك من هذه الرؤيا. فقال الرجل ظننت ان يوم الدينونة قد حضر ولم اكن مستعدًّا لهُ وازددت خوفًا لما رايت المليكة قد جمعوا اليهم كثيرين وتركوني. ولما فتحت بيْر العمق فاها حيث كنت واقفًا. ولما تصوَّرت خطاياي وبكَّتني ضميري عليها ورايت الديَّان لا يغضي طرفهُ عني والغضب يلوح لي من وجههِ[1]. ثم قال المفسِّر للمسيحي هل اعتبرت كل هذه الاشياء. فقال المسيحي نعم وهي اوقفتني بين الرجاء والخوف[2]. قال فاحفظ كل ذلك

(١) ان كثرة التامُّل في اليوم الاخير وموقفهِ الهايل من احسن الوسايط التي تجعلنا مستعدّين لهُ. فقد قيل ان القدّيس ابرونيموس في سنين كثيرة من حياتهِ كان مهما فعل يفتكر ان هذا الصوت القايل قوموا ايها الاموات وتعالوا الى الدينونة يقرع اذنيهِ

(٢) ان حيوة الانسان المسيحي بالحق موضوع للرجاء والخوف فان مواعيد الله بالمسيح تعطي الانسان اساسًا متينًا للرجاء الحي. واما الذين يقفون على مكر قلوبهم والفخاخ المنصوبة لهم في هذا

في قلبك حتّى يكون منخسًا لك يحثّك في طريقك

قال صاحب الرويا ثم اخذ المسيحي يشدُّ حَقْوَيهِ ويتأهّب للسفر. فقال لهُ المفسّر فليرافقك الروح المعزّي ايها المسيحي الصالح ويرشدك الى الطريق الموصّلة الى المدينة. وانطلق المسيحي في طريقهِ وهو يقول

انني قد رايت جُلّ امورٍ تجلب الخوف في طريق السرورِ
هِيَ تلك التي تثبّت عزمي في توالي سياحةٍ ومسيرِ
فدعوني افكر لاعرف ماذا كان فيها مسبّبًا للظهورِ
ان لله والمفسّرِ شكرًا عندنا فهو نافع التفسيرِ

قال ثم رايت في الحلم واذا الطريق التي كان المسيحي عنيدًا ان يسلكها محاطةٌ من جانبيها بسورٍ يُقال لهُ سور الخلاص[1] وكان المسيحي لم يزل تحت ذلك الحمل

العالم فانهم تحت الخوف دائمًا. ومن ثمّ قيل مغبوط الانسان الذي يخشى كل حين ام ١٤:٢٨

(١) اش ٢٦:١

فركض متثاقلاً بجهدٍ عنيف[١] واستمرَّ في ركضهِ حتَّى اقبل على تلَّةٍ في اعلاها صليبٌ مركوزٌ وفي اسفلها قبرٌ. وما زال يركض حتى وصل الى ذلك الصليب. واذا بالحمل قد انحلَّت عُراهُ من اكتافهِ وسقط عن ظهرهِ وهوى متدحرجًا عن تلك الرابية حتى وصل الى باب القبر فسقط وغاب ولم أَرَهُ بعد ذلك[٢]

(١) ان الجهد العنيف كناية عن طريق التعزيات العظمى فان الانسان قد يشعر بثقل الحمل بزيادة عند ما يكون باب الفرج قريبًا منهُ

(٢) يوجد في حبوة المسيحي ثلثة ازمنة تستحق ان تذكر. فالزمان الاول هو عند ما يشعر بالخطية ويجتهد ان يفرَّ هاربًا من الغضب الاتي ويطلب يسوع مهتديًا بنور الانجيل المضيء. والثاني بعد ان يكون قد نالهُ ما نالهُ من الشكوك والاهوال فيُعطَى ان ينسب الى نفسهِ وعد الانجيل ويسلم ذاتهُ بيد يسوع فاديهِ. وهذا يُشار اليهِ بدخولهِ في الباب الضيق فانهُ في ذلك الحين يتبرَّر ويُقبَل بين اولاد الله غير انهُ لا يفتكر ان حملهُ قد سقط عنهُ بالتمام. والثالث عند ما يسقط حملهُ السقوط التام اذ يطَّلع جيدًا على المسيح المصلوب وعلى عملهِ من اجلهِ ومحبتهِ

وناهيك عمَّا شمل المسيحي من الحبور والبهجة بسقوط ذلك الحمل عنهُ. فشكر الرب وقال بقلبٍ متهلِّلٍ قد اعطاني راحةً بتعبهِ وحيوةً بموتهِ. واقام ساعةً ينظر ويتعجب من تلك الراحة التي حصلت لهُ بمشاهدة الصليب. ولذلك تفرَّس اولاً ثم ثانيًا الى ان جرت ينابيع دموعهِ على خديهِ[1] وبينما هو كذلك اقبل عليهِ ثلثة اشخاص متلألئين بالضياء فقالوا السلام عليك يا رجل الله. وقال لهُ احدهم مغفورة لك خطاياك[2] والثاني نزع عنهُ ثيابهُ البالية والبسهُ حلَّةً بهية[3] والثالث وضع علامةً على جبهتهِ[4] واعطاهُ صحيفةً فيها ختمٌ وامرهُ ان ينظر فيها وهو راكضٌ الى الباب السمويّ فيسلمها هناك وبعد ذلك انصرفوا في طريقهم[5] واما المسيحي فانهُ ابتهج الى الغاية

لهُ كما ذُكِر هنا وتُدفَن خطاياهُ في قبر المسيح

(١) زك ١٢: ١٠ (٢) مر ٢: ٥ (٣) زك ٣: ٤

(٤) اف ١: ١٣ (٥) يُشار هنا الى ثلث بركات من ثمار

وانطلق يترنَّم بقولهِ

لقد اتيت الى هذا المكان وقد ... حملت ما ها انني من ثقل اوزاري
ولم يكن قطّ لي من شدتي فرجٌ ... حتى وصلت اليهِ بعد اسفارِ
فيا لهُ من مكانٍ فيهِ قد وُجِدت ... سعادتي بصليبٍ فيهِ قهّارِ
قد حُطَّ حملي بهِ عن منكبي وهوى ... في باب قبرٍ بارضٍ ذات اسرارِ
فبُورِك القبر مع ذاك الصليب ومَن ... لاجلنا بهما قد بات في عارِ

قال ثم رايت في الحلم ان المسيحي استمرَّ منطلقًا على هذه الحال حتى وصل الى وادٍ فراى بقرب الطريق ثلثة رجال نيامًا مقيَّدين في ارجلهم يقال لاحدهم السداجة وللاخر الكسل وللاخر الادّعاء[1] فلما راهم

الايمان وهي غفران الخطايا بموت المسيح والقبول لطاعتهِ وتعزية الروح القدس المشار اليهِ بالعلامة الكائنة على جبهة المسيحي والختم الذي في صحيفتهِ. فاذا كنت ايها القاري قد بلغت هذا الحد في سيرتك المغبوطة فاحتفظ دائمًا على ما في يديك من الشهادات بسعي يطابق مشية الروح. واما اذا كنت لم تبلغ هذا الحد بل لم تزل باقيًا في حال البكاء والنوح من جرّى خطاياك فواظب على ذلك ممارسًا الوسايط ولا تقف حتّى تصل الى طريق الشعور بالنجاة واتخذ يسوع لك ربًّا ومخلّصًا

(١) ان هذه الاخلاق تُوجَد كثيرًا حتّى في الاماكن التي

المسيحي عرج اليهم وصاح بهم قائلًا انكم تشبهون الذين ينامون في قلب البحر وكدبّر راقد اذا تلفت الدفة[1] لان بحر الموت تحتكم عميق لا قرار لهُ فاستيقظوا واهربوا ووافقوني حتّى اساعدكم على فك اغلالكم. واعلموا انكم اذا مرَّ بكم من يتمشّى ويزأر كالاسد[2] تكونون فريسةً لانيابهِ. فتفرَّسوا فيهِ وقال لهُ السداجة اني لا ارى خطرًا كما تزعم وقال الكسل اذن انام اكثر وقال الادعاء كل انسانٍ اولى بتدبير نفسهِ. ثم عادوا فاضجّعوا ايضًا ومضى المسيحي في طريقهِ الّا انهُ كان منزعج القلب لان اناسًا مثل هولاء في خطرٍ مثل هذا لا يشكرون صنيعة من يتقدَّم لمساعدتهم مجانًا ولا

يُبشَّر فيها بالانجيل. فان البعض يستمرُّون في حال الجهل العظيم. والبعض يستولي عليهم الكسل فيبطّل قوة البرهان القاطع. والبعض يصرُّون على عنادهم ولا يقبلون الوعظ. فالله يرسل لهم نورًا وهم يحجبونهُ بالظلام

(١) ام ٢٣: ٣٤ (٢) ١ بط ٥: ٨

يتنبهون على انفسهم بايقاظهِ ونصحهِ. وبينما هو كذلك اذ راى رجلين مقبلين يتواثبان على الحايط الشمالي من الطريق الضيقة الى نحوهِ وكان يقال لاحدهما الفَرَضيّ وللاخر المرآءي[1] ولما قربا منهُ قال حيًّا كما الله من اين انتما والى اين تذهبان. فقالا اننا قد وُلِدنا

(١) ان الفرضي والمرآءي احدهما نسيب للاخر. فالاول كنايةٌ عمَّن يخدعون انفسهم بالعبادات الخارجية والثاني عن الذين يحاولون ان يخدعوا الاخرين. وكلاهما تحركهما الى ذلك محبة المجد الباطل فيطلبان مديح الناس لهما باظهار الغيرة الشديدة في الديانة ولا يخلو هذا الصيت المكتسب على هذه الحال من منفعةٍ دنيويةٍ لهما. ولكن اذ كانت التوبة وحيوة الايمان فضلاً عمَّا تقتضيانهِ من الجهاد الشديد تلاشيان نفس المبدأ المحرّك لهما في هذه الاعمال فلما يصيران بقطعهما مسافة يسيرة من الطريق جزءًا من الكنيسة المنظورة يكتفيان برسم التقوى. ولما كان ضعف ثقتهما لا يطيق النظر الى نور الكتب الالهية كانا يضربان صفحًا عن الفحص ويهزوان بمن يريد ايقاظهما من غفلتهما وتحذيرهما من ضلالهما المهلك او يريد ان يريهما حقيقة الديانة الانجيلية

في مكانٍ يقال لهُ المجد الباطل والان نحن منطلقان الى جبل صهيون لننال الثناء الجميل. قال ولماذا لم تدخلا من الباب الذي في اول هذه الطريق. اما تعلمان انهُ مكتوبٌ ان من لا يدخل من الباب الى حظيرة الخراف بل يصعد من موضع اخر فذلك سارق ولصٌّ (١). فقالا لهُ ان كل اهل بلدنا قد استبعدوا الطريق الى الباب فاستحسنوا ان يعتسفوا ويتسوَّروا الحايط كما فعلنا. قال اما يُحسَب معصية لربِّ المدينة التي نحن ذاهبون اليها أن نخالف مشيئتهُ المرسومة. فقالا لا نقلق لذلك لان هذا قد تعوَّدنا عليهِ من اكثر من الف سنة. قال اذا سلَّمنا بهذه العادة القديمة فهل تثبت شرعًا. فقالا نعم ان العادة اذا مرَّ عليها هذا الزمان قُبِلت عند كل قاضٍ كبعض الاصول الشرعية. وفضلاً عن ذلك اننا قد امتلكنا الطريق وثوبنا على الحايط كما امتلكتها انت دخولاً

(١) يو ١٠: ١

من الباب فبماذا تكون احسن منا حالاً[1] قال انا اسلك بحسب امر سيّدي واما انتما فتسلكان بحسب اوهامكما المنحرفة وقد دعاكما رب الطريق لصوصاً ولذلك اخشى ان لا يكون لكما امانٌ في أواخر الطريق فتُخرَجان من دون رحمتهِ كما دخلتما من دون ارشادهِ. فضربا صفحًا عن اطالة الجواب وقالا لهُ كلٌّ منا يهتمُّ بامر نفسهِ. قال ثم رايت انهم مضوا كل فريقٍ في طريقهِ وانقطع الكلام بينهم الاَّ ان الرجلين قالا للمسيحي اما السنن والفرايض فلا شك في اننا نحفظها كما تحفظها انت ومن ثم لا نرى انك تمتاز عنا الاَّ بالرداء الذي عليك المُعطَى لك من بعض جيرانك

(١) ان الفرّضيين والمرائين اذ يسلكون طريق العبادة الخارجية يظنّون انفسهم في امانٍ لانهم يتّفقون الى هذا الحد مع المومنين. ولا يُخفى انهم يختلفون عنهم كما يختلف الاعمى عن البصير. لان الذين يدخلون من الباب وحدهم يقدرون ان يعاينوا نور الانجيل

لتستتر بهِ عريك[1] فقال انكما لاتخلصان بالسنن والفرايض لانكما لم تدخلا من الباب[2] واما الرداء الذي عليَّ فقد اعطاني اياهُ رب المكان الذي انا ماضٍ اليهِ لاستتر بهِ كما تقولان وانا احسبهُ علامة الرضى عني وعنوان الاحسان اليَّ لانني لم اكن املك قبل ذلك سوى اخلاق ثيابٍ بالية. وفضلاً عن ذلك انني اهنّئ بهِ نفسي وانا منطلقٌ املاً بانني اذا وصلت الى باب المدينة يتلقّاني رب المكان بالقبول

(١) ان رداء بر المسيح اللازم لكل مومنٍ يستخربهِ الفرضيون الذين لا يرون عريهم وافتقارهم الى ما يسترهم ويزدرون بهِ خلافًا للمتواضعين فانهم يرون شدّة افتقارهم اليهِ ويشكرون المسيح من اجلهِ. ولما كان الفرضيون وانسباؤهم المراؤون لا يعرفون طبيعتهم الساقطة حق المعرفة كانوا لا يرون شدّة التزام الولادة ثانيةً والاحتياج الى بر الفادي الكريم وقوة الروح المترادفة لاجل التقديس والتعزية. ولذلك يضحكون على المسيحي بالحق ويحسبون ما هو عليهِ من الجهاد بمنزلة الوسواس والجنون

(٢) غل ٣: ١٦

Digitized by Google

لان هذا الرداء عليَّ وهو اعطاني اياهُ مجانًا لمَّا نزع عني تلك الثياب الرثاث . وان في جبيني سمةً لعلكما لم ترياها قد رسمها لي بعض اصحابهِ المقرَّبين في اليوم الذي سقط حملي عن منكبيَّ . وقد اعطاني صحيفةً مختومةً اعلّل نفسي بقراءتها في سفري حتى اذا بلغت الباب السمويَّ اقدّمها هناك عنوانًا يُؤذَن بهِ لي في الدخول . وانا اعلم ان كل ذلك ليس عندكما لانكما لم تدخلا من الباب . فاعرض الرجلان عن جوابهِ والتفت كلٌّ منهما الى صاحبهِ يتضاحكان من كلامهِ

قال ورايتهم بعد ذلك يسيرون والمسيحي قد اصرف وجههُ عن خطابهم وسبقهم وهو يناجي نفسهُ ويقرأ في تلك الصحيفة فيجد راحةً . وما زالوا يتقدَّمون حتَّى وصلوا الى ذيل جبلٍ يقال لهُ الصعوبة وكان هناك ينبوع ماء[1] وطريقان تاخذان الى اليمين

(١) اش ٤٩ : ١٠

والى الشمال عن طريق الباب فهذه تصعد الجبل طولاً والاخريان تقطعانهِ عرضًا. فمضى المسيحي الى الينبوع وشرب منهُ ليرتاح[1] ثم اخذ يصعد في الجبل وقال

يا جبلاً كالملك المتوَّجِ
اني وان كنتَ رفيع الدرجِ
اهوى الصعود فيك كالصبِّ الشجي
ولا ابالي بالعناءِ المزعجِ
لثقتي ان طريق الفرجِ
منك فيا قلبي اجترئ وابتهجِ
ان السلوك في قويم المنهجِ
وان يكن من عسرهِ في حَرَجِ
احسن حالاً من سلوك الاعوجِ
وان يكن سهلاً فلا تعرّجِ

(١) ان الله يمنح غالبًا الذين يدعوهم لاحتمال المشقّات والكدّ في العمل حسب احتياجهم من امداد روحهِ ونعمتهِ الفائقة. فان المسيحي قبل شروعه في الصعود على جبل الصعوبة شرب من ينبوع التعزية الالهية لاجل الراحة مما اصابهُ من التعب

واما الرجلان فلما قدما ونظرا الطريق الوسطى ضيقةً شاقّة اخذا في الطريقين الاخريين يزعمان انهما يتلاقيان بهما في ما يلي الجبل. وركب احدهما الطريق الواحدة وكان يقال لها طريق الخطر والاخر الثانية وكان يقال لها طريق الهلاك. فاوصلت الاولى راكبها الى غابةٍ عظيمةٍ قد اشتبكت ادغالها فاشكل عليهِ الخروج منها. وساقت الاخرى صاحبها الى مفازةٍ واسعةٍ قد تراكمت فيها الحبال فعثر فيها وسقط حتى عجز عن النهوض[1]

قال ثم رايت المسيحي صاعدًا في ذلك الجبل وهو قد اقصر عن ركضهِ وصار يمشي رويدًا رويدًا. ثم جعل يدبُّ على يديهِ وركبتيهِ لعسر تلك المطالع

(١) ان الفرضيين والمرائين بما انهم ياتون طريق العبادة بسهولةٍ من دون اطّلاعٍ على خطاياهم يجعلهم يهربون الى الباب الضيّق الذي هو المسيح فلذلك يختارون الطريق الاسهل للثّم والدم غير انها تودّيهم الى الهلاك

حتّى وصل الى شجرة غضّةٍ قد غرسها صاحب الجبل في اوساط الطريق ليرتاح تحتها المسافرون من جهد الكلال . فاتّكأ تحتها واخرج تلك الصحيفة من جيبهِ وجعل يتصفّحها ويأنس بها ويتأمّل الثوب الذي حُلِع عليهِ فازدهتهُ حلاوة الظفر ولعب النعاس بعينيهِ فنام واستغرق في نومهِ الى المساء وسقطت الصحيفة من يدهِ . واذا برجلٍ قد وقف على راسهِ وايقظهُ قائلاً ايها الكسلان العاجز اذهب الى النملة وتامّل طرقها وتعلّم الحكمة[1] فنهض المسيحي من ساعتهِ واخذ في طريقهِ مسرعًا حتّى وصل الى قمّة الجبل[2] فاستقبلهُ رجلان

(١) ام ٦ : ٦

(٢) ان المسيحي في صعودهِ الجبل شعر باشتراكهِ في فوائد موت المسيح وبرّهِ المشار اليهما بالصحيفة التي في جيبهِ والرداء الذي أُلقي عليهِ وهو بجانب الصليب . ولكن واأسفاهُ كيف ان عرض لهُ ما يعرض لبقية السايحين نظيرهِ . فانهم عوض ان يعبدوا المعطي بشكر وتواضع يكتفون بالعطية ويقعون في العجب والافتخار . وينسون ان تلك النعم من الله فينسبونها الى

يركضان يقال لاحدهما الخوف وللاخر الشك. فقال لهما ما بالكما راجعين ركضاً. فقال الخوف اننا كنا منطلقين الى مدينة صهيون وكنا قد صعدنا ذلك المكان العسر فراينا اننا كلما تقدَّمنا نجد ما هو اعظم خطرًا فرجعنا نريد اوطاننا. وقال الشك ان في طريقنا اسدين يكمنان لمن يمرُّ بهما فما ندري هل نصادفهما غافلَين فننجو ام منتبهَين فنكون فريسةً لهما[1]. فقال المسيحي قد احاطت المخاوف بي فترى الى

انفسهم كانها لهم ومنهم. ولهذا يثقون بذواتهم ويتغاضون عن المُنعِم فيضيّعون وثيقتهم التي هي عنوانٌ لقبولهم في السماء. واما الرب فانهُ يحب شعبهُ بهذا المقدار حتى انهُ لا يدعهم ينامون نوم الموت ولو احتملهم ان يناموا ويضيّعوا ما هو سبب تعزيتهم ولا شك ان ذلك يحزنهم جدًّا ويوقعهم في الكآبة والندم

(١) ان الخوف والشك عدوّان شديدان للايمان المسيحي ياتيان باخبار السوء عن طريقهِ. فلا تُصغِ اليهما بل انظر الى حق الله وصدقهِ وثق بمواعيدهِ الصادقة واشدد حقويك بانجيل السلام. واذا اتبعت طريق الصلاح فمن يقدر ان يضرّك

اين اهرب لاخلص غير اني ان رجعت الى بلدي هلكت لامحالة لانها مستعدة للنار والكبريت. واما ان تقدمت فبين يديَّ خوف الموت ورجاء حيوة الابد بعدهُ. وعلى هذا فالاولى التقدُّم ولو على خطرٍ[1] فانحدر صاحباهُ من الجبل واما هو فاخذ في طريقهِ. وبينما هو يركض تردَّد في قلبهِ كلام الشك فالتمس الصحيفة ليتعزَّى بها فلم يجدها. فخامرهُ امرٌ عظيمٌ ولم يعلم ماذا يعمل لانهُ اضاع ما يكون لهُ انسًا في وحشتهِ ووسيلةً للدخول الى المدينة السموية. فجزع جزعًا شديدًا وارتبك في امرهِ[2] ثم عرض لهُ انهُ قد نام تحت

(١) المسيحي ينفض عن ضميرهِ غبار الخوف ببراهين الكتب الالهية اي براهين الايمان المضادَّة خوف الجسد والشك. فمتى شملتك الاهوال واصابتك البلايا فاذكر من هو الذي تخدمهُ وانظر الطريق التي تسلكها وافتكر في عاقبة ايمانك التي هي خلاص نفسك وادرس كلام الله واخضع لهُ

(٢) اضطرب هذا الرجل لانهُ ضيَّع صحيفتهُ. ونحن ايضًا اذا كنا لا نحزن على ما يضيع منا من الذخاير الروحية ولا نبالي

الشجرة فلعلها ضاعت هناك. ومن ثَمَّ خرَّ على وجههِ واستغفر الله عن غفلتهِ ورجع على اعقابهِ يطلبها وهو منكسر القلب يتنهَّد طورًا ويبكي تارةً ويوبخ نفسهُ اخرى على نومهِ في المكان الذي جُعِل لاخذ شيءٍ من الراحة. وما زال يركض وهو يلتفت يمينًا وشمالًا ويتفقَّد ما يمرُّ بهِ من الارض لعلَّهُ يجدها حتى اقبل على الشجرة. فزادتهُ رؤيتها حزنًا لانها ذكَّرتهُ رقادهُ الملوم[1] واشتدَّ في ركضهِ وهو يندب تلك الرقدة الذميمة ويقول الويل لي انا الشقي الذي نمت نهارًا في وسط المصاعب وتمتَّعت بتلك الراحة التي اعقبتني هذه المتاعب فاصابني كما اصاب بني اسرائيل الذين ارتدوا لاجل خطيتهم الى طريق البحر الاحمر. اواهُ انني امشي هذه الخطوات بالحزن والاسف عبثًا من غير فايدةٍ ولولا تلك الرقدة لكنت

بهِ نكون في حالةٍ يُرثى لها من الطمانينة الفارغة والاتكال الباطل

(١) رو ٣:٤ و٥ اتس ٥:٧ و٨

اسلكها الان بالفرح والابتهاج متقدّمًا في طريقي الى المدينة. وقد صار يلزمني قطع هذه المسافة ثلث مراتٍ ولم اكن محتاجًا الى قطعها سوى مرةٍ واحدة. والان قد اقبل المساء وولّى النهار فيا ليتني صبرت عن تلك الرقدة ولا صبرت على شدائدها. وفي اثناء ذلك وصل الى تلك الشجرة وادار نظرهُ تحتها واذا بالصحيفة فتناولها وهو لا يصدّق ان يراها واحرزها في جيبهِ. وقد كاد فوادهُ يطير سرورًا وخرَّ على وجههِ يشكر الله الذي اعاد اليهِ ميثاق حياتهِ وآية قبولهِ في المدينة السموية[1] وانثنى من هناك في طريقهِ بقلبٍ تتجاذبهُ مرارة الاسف وحلاوة الظفر وانطلق في ذلك الجبل مسرعًا يريد ان يجبر ما فاتهُ من التقدُّم في الطريق. الّا انهُ قبل ان يصل الى

(١) يشير ذلك الى الشعور حينئذٍ بمحبة الله وقوّتهِ والفرح بالروح القدس بناء على الايمان بيسوع المسيح

Digitized by Google

سفح الجبل ادركهُ الليل فسآءهُ ذلك وذكر تعطيل ذاك الرقاد . فاخذ يوبخ نفسهُ قايلاً الويل لي انا الخاطي النوَّام الذي اضاع فرصة سير النهار بكسلهِ ونومهِ والان عمَّا قليل سيغشاني الظلام واسمع دمادم الوحوش المخيفة . وذكر ايضًا قصة الخوف والشك من امر الاسود الكامنة في الطريق فخفق فوادهُ وقال في نفسهِ ان هذه الوحوش ترصد فرايسها ليلاً واذا صادفتني فكيف انجو منها والى اين اهرب . واستمرَّ في طريقهِ على هذه الحال الى حينٍ فخانت منهُ التفاتةٌ واذا قصرٌ عظيمٌ يقال لهُ قصر الظرافة بجانب الطريق(١)

قال ثم رايت في الحلم ان المسيحي قد اسرع في مشيهِ وتقدَّم يطلب ذلك القصر لعلهم يضيفونهُ

(١) ١ تس ٥ : ٧ و٨ رؤ ٣ : ٢ ذلك رمزٌ عن كنيسة المسيح على الارض التي حصل المسيحي على فرصة الدخول اليها . وعلى بركة شركة القدّيسين وتعزياتهم الروحية

هناك . ولما كان على مسافة ميلٍ من القصر دخل في مضيقٍ من الارض وكان الظلام قد خيَّم عليهِ فجعل يحدق بنظرهِ في ذلك المضيق وهو يمشي فراى اسدين بين يديهِ . فارتاع وقال ها قد وقعت في ما فرَّ عنهُ الخوف والشك راجعين . وكان ذانك الاسدان مقيَّدين بسلاسل لم يكن يراها . ولذلك غلب عليهِ الخوف وهمَّ بالرجوع لانهُ لم يتصوَّر قدامهُ سوى الموت . وكان لذلك القصر بوَّابٌ يقال لهُ اليقظان . وهو قد اشرف على الطريق فراى المسيحي قد مال كانهُ يريد الرجوع . فناداهُ قايلاً يا صاحِ هل قوتك ضعيفة هكذا[1] لاتخف من الاسدين فانهما مقيَّدان وقد اقيما هنا لاجل امتحان ايمان المومنين واظهار الذين لاايمان لهم . فاسلك في وسط الطريق ولا يصيبك ادنى ضررٍ[2] قال فانثنى المسيحي واقتحم

(١) مر ٤ : ٤٠ (٢) ان هذين الاسدين كنايةٌ عن تعرُّض الشيطان والعالم لنا في طريق الخلاص . غير انهما معتقلان

الطريق مرتعدًا من خوفهما وكانا يزمجران عليهِ ويزأران لكنهما لا يتعرَّضان لهُ بسوء. ولما تجاوزهما صفَّق بيديهِ فرحًا واقبل حتى صار لدى باب القصر وكان البوَّاب جالسًا هناك. فحيَّاهُ وقال يا مولاي ما هذا القصر وهل يُؤذَن لي بالمبيت فيهِ هذه الليلة. فقال ان صاحب هذا الجبل قد بناهُ لاجل راحة السائحين وطمانينتهم. فمن اين اتيت والى اين تذهب. قال اني قد اتيت من مدينة الهلاك واريد ان اذهب الى جبل صهيون. قال فما اسمك يا اخي. قال اسمي الان المسيحي واما قبلاً فكان اسمي عديم النعمة. قال وما اعاقك في الطريق حتى تاخرت الى الليل. فقال نمت تحت الشجرة المغروسة في وسط الجبل. وفوق ذلك ضيَّعت هناك صحيفةً كانت معي فرجعت

لا يقدر ان على مضرَّتنا بدون سماح الله. واما نحن فقد تغلب علينا المخافة العالمية متى نرى الاسود وتذهلنا عن نظر الاغلال التي في ارجلها

افتش عليها بعد ان كنت ابعدت عن الشجرة. ولولا ذلك لوصلت الى هنا قبل المساء[1] قال احسنت وانا ادعو احدى العذارى الساكنات في هذا القصر فان لذَّ لها خطابك تحضرك الى باقي العشيرة حسب العادة الجارية في هذا البيت[2] وقرع الحاجب الباب فخرجت فتاةٌ كريمةٌ بارعة الجمال يقال لها الحكمة وقالت ماذا تريد. قال ان هذا الرجل مسافرٌ من مدينة الهلاك الى جبل صهيون وقد امسى وسالني المبيت هذه الليلة هنا فقلت لهُ اني ادعوكِ اليهِ لتسمعي كلامهُ فان اذنتِ لهُ والاَّ اصرفناهُ. فقالت للمسيحي

(١) ان السايح في كل عارضٍ يشكو نومهُ الذميم وينوح باكيًا على توانيهِ. وهكذا يجب على كل مسيحي بالحق ان يتذكَّر دايمًا كثرة خطاياهُ وسوء ابتعادهِ عن خالقهِ ولا يغفر لنفسهِ ولو كان الله من جودتهِ الفائقة قد غفر لهُ وقبلهُ في عدد بنيهِ

(٢) لا يجوز ان يُقبل في كنيسة المسيح الاَّ من ظهر انهُ من اولاد الله بالايمان بالمسيح وكان سايحًا حقيقيًا في طريق المدينة السموية.

من اين اقبلت يا هذا والى اين تمضي. فاخبرها بكل حديثهِ وعرَّفها باسمهِ وقال يا مولاتي اني اريد ان اقضي هذه الليلة هنا لاني ارى ان صاحب هذا الجبل قد بنى هذا القصر لاجل راحة السائحين واماثهم. فابتسمت وجالت في عينيها دمعة السرور وقالت لهُ اني اريد ان ادعو اليك البعض من العشيرة ليقف معي على حديثك. وقامت حالاً الى الباب ودعت الفطنة والتقوى والمحبة. فخرجن اليهِ وتكلَّمن معهُ برهةً ثم قبلنهُ بين الجماعة[1] والتقاهُ كثيرٌ من العشيرة الى الباب وقالوا لهُ ادخل يا مبارك الله. فان والي هذا الجبل قد بنى هذا المكان لقبول مثلك من السائحين

فطأطأ المسيحي راسهُ ودخل معهم الى القصر

(١) الفطنة والتقوى والمحبة صفات لازمة لكل من يحكم على استحقاق الذين يريدون ان يدخلوا في بيعة الله.

Digitized by Google

ولما جلس قدَّموا اليهِ شرابًا وترحبوا بهِ وتوامروا ان يصرفوا مدةً قبل وقت العشاء في مفاوضاتٍ مخصوصة معهُ . واختاروا لذلك صاحباتهِ الثلث الأُول . ولما جلسوا للحديث قالت التقوى يا اخي اننا قد احببناك وقبلناك عندنا هذه الليلة وقد بدا لنا ان نحادثك في امر سفرك هذا لعلنا نقتبس بهِ فايدةً لانفسنا . فقال المسيحي حبًّا وكرامةً واني اسرُّ باستمالتكِ الى مثل هذا الحديث . قالت فما الذي دعاك الى هذه السياحة . فقال اني سمعت صوتًا هايلًا اثبت عندي ان اقامتي في وطني تكون علةً لهلاكي لامحالة . ففررت في طلب السلامة . قالت وكيف اهتديت الى هذه الطريق . فقال امَّا ذلك فقد كان بمعونة الله وعنايتهِ . لاني خرجت هايمًا على وجهي لااعلم الى اين اذهب وبينما كنت متزعجًا باكيًا اتاني الله برجلٍ يقال لهُ الانجيلي فدلَّني على الباب الضيق وسلمني الطريق التي

سلكت فيها باستقامةٍ الى هنا ولولاهُ لم تكن لي هدايةٌ قط. قالت اما مررت ببيت المفسِّر. قال بلى قد مررت بهِ ورايت هناك اموراً عظيمة اتذكرها ما دمت حيًّا ولاسيما ثلثة منها الاول حفظ المسيح عمل النعمة في القلب رغمًا عن الشيطان. والثاني قطع رجآء الانسان من رحمة الله لسبب مداومتهِ على الخطية. والثالث رؤية الانسان في نومهِ ان يوم الدينونة قد اتى. قالت فهل سمعت هذا يقصُّ خبر حلمهِ. قال نعم وكان مخيفًا كما رايت لان قلبي كان يخفق من سماعهِ. واما الان فانا مسرورٌ بسماعي اياهُ. قالت أهذا كل ما رايتهُ في بيت المفسِّر. قال لا بل رايت اموراً شتَّى غيرهُ. لانهُ اخذني الى مكانٍ واراني فيهِ قصراً شامخًا ورايت كيف القوم الذين فيهِ قد لبسوا تلك الحلل المذهبة. وكيف اتى ذلك الرجل الشجاع وشقَّ الصفوف الواقفين باسلحتهم لدى الباب يمنعونهُ عن الدخول.

وكيف دُعِيَ ذلك الرجل ان يدخل ويربح المجد الابدي. فلا شكَّ ان هذه الامور قد شغفت قلبي ولولا التزامي بالتقدُّم في سفري لمكثت في بيت ذلك الرجل الصالح سنة كاملة. قالت وماذا رايت ايضاً في طريقك. قال لما تقدَّمت قليلاً في الطريق رايت شخصاً وكما تراءى لي انهُ كان معلَّقاً على شجرةٍ ملطَّخاً بالدم. وذلك النظر اليهِ كان يحدر حملي عن ظهري حتى سقط واسترحت من ثقلهِ. وكان ذلك امرًا غريباً عندي لاني ما رايت مثلهُ قط. وبينما كنت شاخصاً طلع ثلثة انفارٍ عليَّ قد تهلَّلوا بالضياءِ وشهد لي واحدٌ منهم ان خطاياي قد غُفِرت. والثاني نزع عني ثيابي البالية والبسني هذا الثوب المنقوش الذي ترينهُ. والثالث وضع هذه العلامة في جبيني واعطاني هذا الدِرْج المختوم. قال ذلك واخرج الدِرْج من جيبهِ فاراها اياهُ. قالت أما رايت غير ذلك في

طريقك. قال قد اخبرتكِ بالنفايس واخبركِ بما هو دون ذلك. اني رايت ثلثة رجال احدهم يقال لهُ السداجة والاخر الكسل والاخر الادّعاء نايمين على جانب الطريق مقيدين باغلالٍ من حديد. ورايت ايضاً الفَرَضيَّ والمرآئي قد اتيا من فوق الحايط يريدان المضيَّ الى صهيون ولكنهما هلكا سريعاً كما انذرتهما. وفضلاً عن كل ذلك قد كابدت مشقَّةً عظيمة في صعودي على هذا الجبل وعلى الخصوص لما مررت امام افواه الاسود وحقًّا لولا هذا البوَّاب الصالح الجالس على الباب ربما كنت رجعت الى الورآء. ولكني اشكر الله على وصولي الى هنا واحمدكنَّ على قبولكنَّ اياي

قال وخطر للفطنة ايضاً مسائل أُخر تقدَّمت بها اليهِ وطلبت منهُ الجواب عنها. فقال سَلي ما بدا لك. قالت أَما تذكر احياناً بلدك التي خرجت منها.

قال اذكرها ولكن بلسان الاذلال والهوان ولو كنت اشتاق اليها لما اضعت فرصة الرجوع اليها وقد تيسرت مرارًا. واما انا الان فمشتاقٌ الى بلدٍ افضل منها اعني البلد السماوية[1]. قالت أما تستعمل الان شيئًا مما كنت تستعملهُ قبلاً. قال بلى ولكن كرهًا وعلى الخصوص الهذيذ الشهواني الذي كنت انا واهل مملكتي نهذُّ ونلتذُّ بهِ. والان كل ذلك يحزنني ولو خُيِّرت في تصرُّفي لاخترت ان لا افتكر بشيء من هذه الاشياء من الان فصاعدًا. ولكن اذ انا مريدٌ ان اعمل الخير فان السيِّئة قريبة مني[2] قالت أما ترى احيانًا انك قد غلبت الوساوس التي كانت تبلبلك في بعض الاوقات. قال بلى ولكن في النادر والساعات التي تفارقني فيها احسبها ثمينةً جدًّا. قالت أتعلم حيلة الغلبة عليها متى قويت عليك. قال نعم هو الافتكار

(١) عب ١١: ١٥ و ١٦ (٢) رو ٧: ٥ و ٢١ ان السايح

بمن عاينتهُ على الصليب والنظر الى الثوب الذي عليَّ والصحيفة التي معي وتخيُّل المكان الذي انا ماضٍ اليهِ. فارى ان كل ذلك يغلبها[1] قالت وماذا يحبّب اليك الوصول الى جبل صهيون. قال اني ارجو ان ذاك الذي عُلِّق على الصليب اراهُ حيًّا وأُعتَق من كل ما يزعجني الى الان. وقد قيل انهُ

يشكو من الشريعة القائمة في اعضايهِ الثابتة على محاربة سنَّة ضميرهِ التي جعلت الرسول المصطفى يهتف قائلاً انا انسان شقي من ينقذني من جسد الموت هذا. وهذه حالة اولاد الله جميعًا فان فضلات الخطية تتعرَّض لهم حين يباشرون واجباتهم وتتداخل في احسن اعمالهم. ومرارًا كثيرة تستولي عليهم وتلقي على اعناقهم نير العبودية رغمًا عنهم حتى انهم متى ارادوا ان يعملوا الخير يكون الشر قريبًا منهم

(٢) ان الانسان المسيحي حينما يومن بغفران خطاياهُ بدم المسيح وتبرُّرهِ ببرّهِ ومحبَّة الله لهُ مجانًا ويثق بانهُ عتيدٌ ان ينال المجد الابدي في السماء ينتصر على شهواتهِ ويغلب فساد قلبهِ

لا يكون هناك موتٌ[1] واني البث هناك مع رفقةٍ كشهوة قلبي. والحقَّ اقول لكِ اني احبُّ هذا المحسن لاني بهِ عُتِقت من حملي. وانا الان منزعجٌ من مرضي الباطن فاشتهي ان اكون حيث لا اموت بعدُ واتهلل مع الطغمات الذين يهتفون دائمًا قدوس قدوس قدوس.

هذا وان المحبة نظرت اليهِ وقالت هل لك من عيالٍ يا اخي. قال نعم ان لي زوجةً واربعة اولاد. قالت ولماذا لم تحضرهم معك. فبكى وقال[2] اواه لو استطعت ذلك لما مشيت الاَّ وهم بين يديَّ ولكنهم فضلاً عن عدم رضاهم بمصاحبتي كانوا يريدون ان يمنعوني عن المسير. قالت فهلاَّ نصحتهم واريتهم سوء

(١) اش ٢٥: ٨ ورؤ ٢١: ٤ (٢) من كان عندهُ محبة صادقة لاهل بيتهِ يجتهد برغبةٍ حارَّة ان يجعلهم يهربون من الهلاك ويأتون الى السيِّد المسيح طالبين منهُ الرحمة والخلاص. ويصلِّي ايضًا لاجل نوال هذه البغية الجليلة كما صنع المسيحي السابح

Digitized by Google

عاقبتهم. قال لقد فعلت وانذرتهم بما ارانيهِ الله من خراب مدينتنا. فاتخذوا ذلك مني هزءًا ولم يصدقوا مقالي[1] قالت أَلم تطلب من الله ان يجعل مشورتك عليهم ناجحة. قال قد طلبت ذلك بحرارةٍ عظيمة. وبالحقيقة اني كنت احبهم حبًّا لا مزيد عليهِ. قالت فهل اخبرتهم عن حزنك على نفسك وخوفك من الهلاك. قال نعم قد اخبرتهم بذلك مرارًا وهم كانوا يرون عليَّ لوائح الخوف من منظري وبكائي. وكانوا يرون ارتعادي من توقعي الدينونة المعلقة فوق رووسنا. وكل ذلك لم يحركهم الى مصاحبتي. قالت فماذا كانوا يقولون عن انفسهم في ذلك. قال اما زوجتي فكانت تخاف ان تفقد هذا العالم واما اولادي فكانوا سكارى بكاس الصبوة ولذلك تركوني اطوف على هذه الحالة وحدي. قالت الم تكن حياتك الباطلة حجةً تبطّل

(١) تك ١٩: ١٤

اقوالك التي جعلتها وسيلةً لاجتذابهم الى مصاحبتك. قال لاريب اني لا اقدر ان امدح حياتي لاني اشعر في نفسي ان فيها نقايص كثيرة. وانا اعلم ايضًا ان الانسان يقدر ان يبطّل بسلوكهِ ما كان قد اجتهد ان يقررهُ عند الناس بالبراهين المقنعة. ومع ذلك استطيع ان اقول انني كنت احترز من تقديم سببٍ لهم في كل ما لا يليق مما يجعلهم يكرهون هذه السياحة. ولذلك كانوا يقولون لي انني تجاوزت الحد في التدقيق وانكرت على نفسي ما كانوا يرون انهُ لا باس فيهِ. ولعلهُ يسوغ لي ان اقول انهم ان كانوا قد رأوا فيَّ سببًا يمنعهم عن المجيء فيكون كثرة احترازي من مخالفة الله واضرار القريب. قالت ان قايين ابغض اخاهُ من اجل ان اعمالهُ كانت خبيثة واعمال اخيهِ كانت بارة[1] وان كانت زوجتك واولادك قد

(١) ١ يو ٣: ١٢

لاموك لذلك فقد ظهر خبثهم وعدم قبولهم للصلاح.
واما انت فقد نجَّيت نفسك وتبرَّأت من دمهم[١]
قال صاحب الرويا ورايت ان القوم كانوا
يتحدثون كذلك الى ان حضر العشا[٢] وكانت مايدةً
حافلة بالاطعمة الشهية الفاخرة فجلسوا ياكلون وكان
موضوع الحديث حينئذٍ حاكم الجبل فكانوا يتكلمون
في ما عمل ولماذا عمل ما عملهُ ولاي شيءٍ بنى ذلك
القصر. قال واما انا فلحظت من حديثهم انهُ كان
جبارًا قاهرًا وانهُ قد حارب سلطان الموت وقتلهُ[٣]
ولكن مع خطرٍ عظيم على نفسهِ وذلك هو الذي
زادني حبًّا بهِ لانه حسب قولهم الصادق عندي قد

(١) حز ٣: ١٩ (٢) هذا رمزٌ عن العشآء السرّي الذي
يغتذي فيهِ المسيحيون جميعًا من المسيح بالايمان ويتاملون في
ما فعلهُ لاجلهم وما يفعلهُ الان لهم وهو جالس عن يمين الله
الاب. وهكذا يقتاتون منهُ بالايمان وينمون شيئًا فشيئًا للحيوة
الابدية ويشكرون انعامهُ ويحبونهُ (٣) عب ٢: ١٤ و١٥

فعل ذلك بسفك دمٍ كثير. واما الذي افاض النعمة على كل هذه الافعال فهو فعلهُ لها بحب خالص نحو بلاده. وفضلاً عن ذلك ان بعض العشيرة قالوا انهم كانوا عندهُ بعد ما مات على الصليب وتكلموا معهُ وشهدوا انهم سمعوا من كلامهِ انهُ محبٌّ للمساكين السايحين لانظير لهُ في المشرق ولا في المغرب. وايَّدوا شهادتهم هذه بانهُ جرَّد ذاتهُ من مجدهِ ليعمل ذلك مع المساكين ونقلوا عنهُ انهُ لايشاءُ السكنى في جبل صهيون وحدهُ. وان غرباءَ كثيرين مولودين من اناس متسوّلين كانوا في المزبلة فرفعهم وجعلهم عظماءَ الشعب[1] قال وما زالوا في مثل هذا الحديث الى انتصاف الليل. فاسلموا انفسهم بيد الله وطلبوا راحة المنام. وكانوا قد اعدُّوا للمسيحي غرفةً فسيحةً لها طاقاتٌ الى المشرق يقال لها السلام فنام فيها الى السحر[2]

(١) ١صم ٢:٨ ومز ١١٣:٧ (٢) ان سلامة الروح

Digitized by Google

ولما انتبه من نومهِ نهض يترنم قايلاً

ابن انا الآنَ وابن احمى مني وهل اروي هناك الظما
ترى اهذا لطف يسوع بي وحبُّهُ حتى لسفك الدما
اعطى سبيلاً لي لغفران آ ثامي وسكنايَ بقرب السما

ثم قامت العذارى ودخلنَ عليهِ وقلنَ لهُ يا اخانا لا تذهب حتى نريك التحف التي في هذا المكان. وانطلقنَ بهِ حتى دخلنَ الى المكتبة وارينَهُ كتب التواريخ القديمة[1] ومما اذكر من ذلك انهنَّ اوقفنَهُ على

مع الله وسلامة الضمير مع الناس مما يجعلنا نطلّع في جميع احوالنا على عناية الراعي العظيم وقوتهِ وصدقهِ. وهذه نعمة خصوصية يعطيها الله للمومن فيدخل الى قصر السلام ويستظل تحت اجنحة الاله الرحوم. واما الطاقات التي الى المشرق فهي رمزٌ على ان السلامة الحقيقية صادرة عن معرفة يسوع الذي هو شمس البر

(١) ان التامل في ميلاد المسيح وذاتهِ وحياتهِ وموتهِ وفدائهِ واعمالهِ وبرهِ وخلاصهِ كل ذلك بهجة للمسيحيين كما قال داود النبي باذ لهُ كلامي وانا افرح بالرب مز ١٠٣ : ٣٤ ولا ريب ان

نسب حاكم الجبل انهُ كان ابن القديم الايام مولوداً منذ الازل . وكانت تلك التواريخ تصرّح بالاعمال التي عملها واسماء الميات العبيد الذين اختصهم لخدمتهِ وكيف اقامهم في مساكن مثل هذه لا تضمحلُّ من طول الايام ولا من انحلال الطبيعة . ثم قرأنَ لهُ ايضاً عن بعض اعمال خدامهِ التي يحق لها الاعتبار وكيف انهم قهروا الممالك وعملوا البر ونالوا المواعيد وسدّوا افواه الاسود واخمدوا قوَّة النار ونجوا من حد السيف وتقوّوا في الضعف وكانوا اشداء في الحروب وهزموا عساكر الغرباء[1] ثم قرأنَ لهُ فصلاً اخر من تواريخ القصر يشير الى رحمة ربهنَّ بقبول الجميع في نعمتهِ ولو كانوا قد تعدَّوا عليهِ في ما مضى وسخروا بهِ .

حيوة الايمان تنمو بالهذيذ في الاعمال العجيبة التي صنعها الله من اجل شعبهِ وبسببهم وبالاسلحة المهياة لاتباع الخروف

(١) عب ١١ : ٣٣ و ٣٤

ويشتمل على قصص كثيرة شهيرة فوقف عليها المسيحي باجمعها قديمةً وحديثةً مع نبوَّاتٍ وانذاراتٍ لابد من وقوعها في حينها لاجل تخويف الاعداء وتعزية السائحين[1]

قال ولما كان الغد اخذنَهُ ايضًا وادخلنَهُ الى خزانة الاسلحة وفرَّجنَهُ على اصناف الأَدَوات التي اعدَّها ربهنَّ للسايحين حفظًا لهم ووقايةً في طريقهم كالسيوف والدروع والخُوَذ والدَرَق والحراب والاحذية التي لاتبلى. وكان هناك ما يكفي لتجهيز مواكب شتى ولو كانوا بعدد نجوم السماء[2] وابرزنَ لهُ

(١) ان المسيحي يطلع هنا على ترتيب قضاء الله وتحقيق مقاصدهِ فيخضع لها ويفرح مبتهجًا بملكوت الله في بيعتهِ وتسلطهِ على العالم واستيلآئهِ على قلوب عبيدهِ وباتمام مقاصدهِ فيها لاجل مجدهِ وخير شعبهِ (٢) اذا اردت ان تطلع على ما اعدَّهُ الله للمسيحيين من الاسلحة الروحية فراجع ما قالهُ بولس الرسول في رسالتهِ الى اهل افسس ٦: ١٤ الى ١٩ فان الذي اعدَّهُ الله بالمسيح لاجل حفظ العواطف الروحية في قلوب

بعد ذلك شيئاً من آلاتٍ حربية قد فعلت بها عبيدهُ افعالاً عجيبة ومن ذلك عصا موسى والوتد والمطرقة اللذين قتلت بهما يايل سيسرا والقلل والابواق والمصابيح التي طرد بها جدعون عساكر مديان والسكّة التي قتل بها شمجار الستماية رجلاً وفك الحمار الذي سطا بهِ شمشون تلك السطوة العظيمة والمحجر والمقلاع اللذين بهما قتل داود جليات الجبار والسيف الذي بهِ سيقتل ربهنَّ انسان الخطية يوم يخرج للغنيمة وغير ذلك من المناظر العجيبة السامية. فسرَّ المسيحي بذلك وطاب قلبهُ ثم انصرفنَ بهِ الى مضجعهِ وبات ليلتهُ هناك مستعدًّا للسفر

قال ثم رايت المسيحي قد نهض صباحاً واراد

شعبهِ ونموها فيها يُعبَّر عنهُ هنا بالأدوات الحربيَّة التي تكفي لتجهيز جمٍّ غفير ممن يريدون ان يتسلحوا بها. واذا مارسناها بنشاطٍ ننال الغلبة على جميع اعدائنا. ولهذا يجب علينا ان نتسلح بجميع سلاح الله مستعملين كل وسايط النعمة بنشاطٍ

المسير في سفرهِ. فطلبنَ منهُ ان يتاخر الى الغد وقلنَ لهُ ان كان هذا النهار صافيًا نريك الجبال المبهجة التي تزيدك تعزيةً لانها اقرب الى المينا من المكان الذي انت فيه الان . فاجابهنَّ واقام ولما استوى النهار صعدنَ بهِ الى سطح القصر وامرنهُ ان ينظر الى الجنوب. فمدَّ نظرهُ واذا بلدةٌ حسنةٌ جدًا مبنية على جبلٍ مزينة بالبساتين والكروم وكل صنفٍ من الاثمار والازهار تجري فيها الانهار والينابيع زهية المنظر[1] فاعجبتهُ تلك المدينة وسالهنَّ عن اسمها . فقلن لهُ ان تلك البقعة يقال لها ارض عمانوئيل وهي مرتعٌ مباحٌ لجميع السايحين مثل هذا الجبل. واذا انطلقت اليها تقدر ان ترى من هناك باب المدينة السموية كما تستفيدهُ من الرعاة الذين يسكنون هناك[2]

(١) اش٣٣: ١٦ و١٧ (٢) ان الجبال المبهجة المنظورة عن بعدٍ كنايةٌ عن الانعامات والتعزيات التي يمكننا نوالها

قال ومن الغد استأذن المسيحي في السفر فاذنَ لهُ وعُدْنَ بهِ الى خزانة الاسلحة فالبسنهُ السلاح من راسهِ الى قدمهِ . وخرج فشيَّعنهُ الى الباب وعليهِ البوَّاب فقال لهُ المسيحي هل مرَّ بك احدٌ من السايحين . قال نعم . قال هل عرفت من مرَّ بك . قال قد سالتهُ عن اسمهِ فقال الامين . قال اني اعرفهُ وهو ابن بلدي وجاري وقد اتى من مكان مولدي . فالى اين تظنهُ قد وصل الان . قال اظنهُ قد وصل الى اسفل الجبل . قال المسيحي جزاك الله خيراً وافاض بركاتهِ عليك ثم اخذ في طريقهِ ومشت معهُ صواحبهُ الثلاث الى اعلى الجبل . وكانوا في اثناء ذلك يردّدون كلامهم السابق حتى وصلوا الى المُنحنى وارادوا

ونحن في هذا العالم . وقد ينالها المومنون الذين يطيعون وصايا الله ولا ريب ان الآمال الناتجة عنها تعينهم على التقدم الى اقتحام المخاطر المخيفة

التصبُّب في ذلك الوادي. فقال المسيحي ارى النزول عسرًا هنا كما كان الصعود هناك. قالت الفطنة نعم انهُ يعسر على الانسان ان ينزل الى وادي الاتضاع كما انت نازلٌ من غير ان يزلق في طريقهِ ولذلك قد خرجنا ورافقناك. فاستعان المسيحي بالله وجعل يتحدَّر في ذلك الوادي. وكان على حذرٍ شديدٍ ومع ذلك لم يسلم من الزلق مرتين او ثلاثًا[1]

قال ثم رايت ان تلك العذارى الصالحات ما زلنَ يماشينهُ حتى وصل الى منقطع الجبل وهناك اعطينهُ رغيفًا وزجاجة خمرٍ وشيأً من الزبيب وودَّعنهُ

(١) ان الرب ياتي بشعبهِ الى وادي الاتضاع فينزع منهم التعزيات الحسيَّة او يفقدهم الاحباب او الصحَّة او المال. ولا ريب انهُ يُخشَى عليهم في هذه الحال من العثار بحجارة آلامهم الطبيعية كالكبرياء والضجر والتذمُّر والشكّ في الله والعصيان عليهِ وامثالها فيجد الشيطان عند ذلك سبيلاً لكي يجاربهم بتجارب شتى

ورجعن عنهُ . واما هو فتبطَّن ذلك الوادي حتى قطع بعضاً منهُ . واذا بشيطانٍ خبيثٍ يقال لهُ ابوليون اي المهلك قد اقبل عليهِ . فلما راهُ المسيحي خفق فوادهُ وجعل يراجع نفسهُ هل يرجع ام يتلقاهُ غير انهُ لعلمهِ ان لا سلاح لهُ يحميهِ من ورآيهِ خاف ان يرميهُ اذا ادبر . فثبت مكانهُ وعوَّل ان يخاطر معهُ بنفسهِ . ثم شدَّد عزمهُ ومشى فالتقى بذلك المارد وكان هائل المنظر لابساً ثوباً كفلوس السمك وهذا هو افتخارهُ ولهُ جناحان كالتنين وارجل كالدُّبَّة يقذف من جوفهِ ناراً ودخاناً ولهُ شدقٌ كشدق الاسد (١) فلما قرب من المسيحي نظر اليهِ نظرة المزدري وقال لهُ من اين

(١) ان هيئة ابوليون تشير الى ان ما ياتي ذكرهُ يدلُّ على المخاوف التي بها تحاول الارواح الخبيثة ان تلاشي ايمان المومنين . فلا تخف يا ايها المسيحي من الشيطان البارز لمحاربتك لان الله يعطيك قوةً للغلبة عليهِ وقد وعدنا تعالى بذلك فلنجاهد الجهاد الحسن بطمانينةٍ

Digitized by Google

اتيت والى اين تذهب . فقال قد اتيت من مدينة الهلاك محل كل شر وانا ماضٍ الى مدينة صهيون . قال اذن انت من رعيتي لان تلك البلاد كلها لي وانا مَلِكها والهها . فكيف هربت من وجه ملكك . واعلم انهُ لولا رجآئي بانك ترجع وتعود الى خدمتي لضربتك ضربةً لاتقوم بعدها من مكانك . فقال نعم اني قد ولدت في مملكتك لكنني لما رايت خدمتك خاسرةً لاتُرجَى معها السلامة لان اجرة الخطية هي الموت[1] فعلت كما تفعل حذَّاق الرجال واجتهدت في الفرار منها . قال ان الروسآء لايسمحون بخروج احدٍ من رعاياهم عن مالكهم طوعًا . واراك تشكو المشقَّة والخسارة في خدمتي فارجع وعليَّ العهد ان اعطيك ارباح كورتنا باسرها . فقال اني قد دخلت في خدمة رئيس الروسآء فلا يمكنني ان ارجع معك رجوعًا

(١) رو ٦ : ٢٣

لايقًا. فقال اراك قد بدلت الرديَّ بالاردى كما قيل. ولكن الذين يتظاهرون بخدمة هذا المخدوم من عادتهم ان يتركوهُ بعد قليل ويرجعوا اليَّ. فكن انت كذلك ولك كل ما تحب[1] فقال اني قد عقدت معهُ عهدًا ويمينًا على خدمتهِ وطاعتهِ فكيف اقدر ان انكث ولا أُشنق كخائنٍ. قال انهُ قد كان بيني وبينك كذلك وانا اصفح عن خيانتك لي ان اطعتني ورجعت الآن معي. فقال ان عهدي معك كان على صغر سني. وفضلاً عن ذلك اني احسب الملك الذي انا تحت لوائهِ قادرًا ان يعتقني من كل طايلةٍ وهو يصفح عن ذنبي الذي ارتكبتهُ بطاعتي لك. والحق

(١) ان ابا الكذب يتكلَّم هنا بالحق غير انهُ يثبتهُ بوعدٍ كاذبٍ مثل نفسهِ. فان من اعظم المنكرات ان ندخل تحت ولاية المسيح ثم نرجع الى خدمة الشيطان عدوهِ. وما اكثر الذين يتورَّطون في هذه الجهالة ولا يخفى ان مثل هؤلآء ينبذون صدق المسيح ويصدِّقون كذب ابليس بقولهِ لهم ولكم ما تحبون الاَّ ان عاقبتهم ردية وموتهم لعنة ابدية

اقول لك اني احبُّ خدمتهُ وطاعتهُ وصحبتهُ وبلدتهُ اكثر مما عندك. فاقصر عن اجتهادك في اجتذابي لاني قد تمكنت من خدمتهِ وتمسكت بعروتهِ الوُثقَى التي لاتحُلُّ ابدًا. قال هيهات انهُ لم ياتِ قط فيخلِّص احدًا من اصحابهِ من يدي. واما انا فلايخفى انني طالما خلصت اصحابي بالغلبة او بالحيلة من يدهِ ويد اتباعهِ ولو كانوا في وثاق الاسر عندهم. ولذلك اكثر خدامهِ ينتهون الى عاقبةٍ ردية ويموتون شرَّ ميتةٍ. وان كنت في شك من ذلك فسلِّم اليَّ امرك وترى كيف اخلّصك من طايلتهِ. فقال ان صاحبي ربما ابطأَ في استخلاص اتباعهِ ليمتحن ثباتهم على حبهِ الى النهاية. واما سوء العاقبة الذي تزعم انهم ينتهون اليهِ فهذا عندهم هو الغاية القصوى. لانهم لا ينتظرون النجاة الحاضرة بل يرجون السعادة الاخيرة التي سَيَنالونها عند ما ياتي سيدهم بمجدهِ مع ملائكتهِ القديسين. قال انك لم تكن

مستقيماً في اتّباعهِ فكيف تطمع في ثوابهِ. قال وكيف ذلك. قال انك قد شككت في اول سفرك لما كدت تغرق في بالوعة اليأس. ثم اتخذت طرقًا ملتوية لتعتق من حملك وقد كان ينبغي لك ان تنتظر سيدك حتى ياتي ويرفعهُ عنك. ثم نمت ذاك النوم الملوم وفقدت ذخيرتك المختارة. ثم فتر عزمك واوشكت ان تهمّ بالرجوع لما رايت السباع. ثم لم تزل نفسك تطلب المجد الباطل كلما حدثت عن سفرك واخبرت بما رايت وسمعت. فقال صدقت ويمكن ان يكون الواقع اكثر مما ذكرت لكن الملك الذي اياهُ اعبد ولهُ اخدم رحومٌ غفورٌ. وفضلاً عن ذلك ان هذا الضعف قد استولى عليَّ وانا في بلدك ومنها لبستهُ. ثم خلعتهُ وحزنت من اجلهِ وندمت عليهِ فقبلني مولاي وعفا عني[1]. فاستشاط الشرّير غضبًا وقال اني عدوٌ لهذا

(١) هذه هي الطريقة الافضل لنا وهي ان نعترف بصدق دعوى ابليس علينا ونبالغ في ذلك لكي نرفع غنى نعمة المسيح

الملك مطبوعٌ على بغض ذاتهِ وصفاتهِ واحكامهِ وخدامهِ وها قد برزت لمقاومتك فتأهَّب. قال دع ما انت فيهِ أَما تعلم اني في طريق الملك طريق القداسة والغلبة. فانت الاولى بالتحفُّظ على نفسك. فثار ذلك المارد واعرض لهُ في الطريق وقال اقسم بمغارتي الجهنمية انك لا تتقدم خطوة واحدة وهنا انزع نفسك منك فاستعد الان للموت. وكان في يدهِ حربةٌ نارية فرمى المسيحي بها في صدرهِ فتلقَّاها بترسٍ كان في يدهِ فلم تصل اليهِ(١) واستلَّ سيفهُ وتصلَّب للقتال. فهجم عليهِ

في غفرانهِ لنا مجانًا ونضع انفسنا. لاننا بذلك نظفر بالمحال ولا يعود لهُ سبيل الى الغلبة علينا ولو كان ذلك مما يجعلهُ يستشيط غضبًا علينا

(١) هذا ترس الايمان المشار الى تصديقهِ ما عملهُ المسيح لاجلهِ وكيف غفر لهُ وبرَّرهُ وقدَّسهُ مجانًا. ولا ريب ان ذلك مما يستعطف المسيح علينا ويكف سهام الشيطان المحمية عنا ويطفيها. وهكذا يعظ بطرس الرسول الذين كتب اليهم بقولهِ قاوموهُ اذن انتم معتصمين بالايمان. ١ بط ٥: ٩

إبليس وابتدرهُ برمي النبال. فكان المسيحي يتلقَّى هذه ويتوقَّى تلك وكانت النبال تنصبُّ عليهِ كانصباب المطر فاعجلتهُ عن التحفُّظ حتى وقعت الجراح في راسهِ ويدهِ ورجلهِ فتاخَّر قليلاً واستطال عليهِ خصمهُ. ورأى المسيحي ان لا سبيل لهُ الاَّ الثبات فتشجع ودافع عن نفسهِ ودام القتال بينهما نحو ست ساعاتٍ. فكاد المسيحي يكل لانه كان يضعف رويدًا رويدًا بسبب جراحهِ. ولما رأى عدوهُ ذلك وثب عليهِ وكالحهُ اعتراكًا حتى صرعهُ. فسقط المسيحي سقطة هايلة ووقع السيف من يدهِ فانعكف عليهِ ابوليون وضغطهُ ضغطةً منكرةً وقال الان قد صرت غنيمةً لي بلا شك. واراد ان يطعنهُ طعنةً يقضي اجلهُ بها. فنظر الله الى المسيحي وامدَّهُ بعنايتهِ حتى تناول سيفهُ وقال لا تفرح يا معاندي من اجل اني سقطت فساقوم[1]

(١) مي ٧:٨

وبادرهُ بضربةٍ قاتلةٍ دفعتهُ عنهُ كمن جُرِح جرحًا بليغًا. فتشدَّد المسيحي وثار اليهِ وقال اننا بهذه كلها غالبون لاجل ذلك الذي احبَّنا[1] فنشر ابوليون جناحيهِ واختفى ولم يرهُ المسيحي في ما بعد[2]

قال صاحب الرويا ليس احدٌ يقدر ان يتصوَّر الَّا من راى وسمع كما رايت وسمعت تلك الموقعة الهايلة وذلك الضجيج المزعج الذي كان يدمدم بهِ ذلك الشيطان الرجيم. ومن يقدر ان يصف الانين

(١) رو ٨: ٣٧ (٢) يع ٤: ٧ ان سيف المسيحي الذي يقاوم بهِ اعداءهُ الروحيين هو كلمة الله. ومتى فقد هذا السيف منا نقع في حال نقص الايمان كما اصاب المسيحي في قتالهِ مع ابوليون. فانهُ لاجل عدم ايمانهِ سقط سيفهُ من يدهِ فداخلهُ قطع الرجاء من حياتهِ. لكنهُ لما التقط سيفهُ ضرب عدوهُ بهِ فالقاهُ على الارض مثخنًا بالجراح. وان قائدنا قد اتخذ هذا السيف نفسهُ في محاربتهِ للشرير فاستظهر عليهِ. وهكذا اتباع هذا القائد اذا عرفوا كيف ينبغي لهم ان يستعملوا هذا السيف واستعملوهُ كما ينبغي لا يُغلَبون ابدًا

والتنهدات التي كانت تصعد من قلب ذلك المسيحي الامين. وما رايتهُ قط مطمئنًّا في تلك المعركة حتى راى عدوَّهُ قد انثنى مجروحًا فابتسم حينئذٍ ورفع عينهُ الى السمآء شكرًا لله تعالى على ذلك الظفر السعيد. وكانت تلك الموقعة هايلةً لم اشاهد مثلها في المواقع. ولما انفصلت تلك النوبة بينهما قال المسيحي اني اشكر من انقذني من مخالب الاسد وقوَّاني على قتال هذا المارد الخبيث. ولما سكن روع المسيحي وطابت نفسهُ انشد يترنم بقولهِ شعرًا

قد رام بعلزبول رئيس ذلك ال
شيطان تهلكةً لخادم ربّهِ
ولذاك ارسلهُ اليَّ مسلَّحًا
يسطو عليَّ بطعنهِ وبضربهِ
حتى اذا جرت الدما بحرابهِ
مني وايقنت الهلاك بحربهِ
بعث الاله زعيمهُ فاعانني
فاخذت سيفي فاستبقت لهُ بهِ

فمضى اليمَ الجرح يطلب حزبهُ
ورجعتُ اشكر من انا من حزبهِ

وكان المسيحي قد أُثخِن بالجراح واشتد بهِ الالم فاتاهُ الله بيدٍ فيها وُرَيقاتٌ من شجرة الحيوة. فاخذ تلك الاوراق وجعلها رفادةً على جراحاتهِ فبرأت للوقت[1] وجلس ياكل ويشرب من ذلك الزاد الذي اعطتهُ اياهُ العذارى. ولما فرغ من طعامهِ وشرابهِ نهض يجري في طريقهِ والسيف في يدهِ خوفًا من مفاجئٍ اخر[2] فعبر الوادي ولم يعثر على احدٍ هناك. وكان بعد هذا

(١) ان صاحب الرويا يتكلم عن شجرة الحيوة التي تعطي ثمرها كل شهر واوراق هذه الشجرة لشفاء الامم. رؤ ٢٢: ٢ ولا ريب ان هذه الشجرة كناية عن المسيح واوراقها كناية عن دمهِ الذي يطهرنا من خطايانا وعن برهِ الذي اذا حلَّ بالايمان في الضمير المجروح يبرئ جراحهُ الخبيثة

(٢) ان الجهاد مع الشيطان مما يجعل المسيحيين على حذرٍ حتى انهم يسيرون وسيف الروح الذي هو كلمة الله في ايديهم

الوادي وادٍ اخر يقال لهُ وادي ظلال الموت[١] وكانت طريق المدينة السموية في وسطهِ وكان ذلك الوادي قفرًا موحشًا الى الغاية كما اخبر عنهُ ارميا النبي بقولهِ ان هذا البر هو في قفرٍ غير معمور ووحش في ارض العطش وشكل الموت في ارض لم يجز فيها رجلٌ ولم يسكنها انسان[٢] فتبطَّن المسيحي ذلك الوادي واوغل فيهِ فكابد فيهِ مشقَّاتٍ اشدَّ من حربهِ مع ابوليون كما سترى

قال صاحب الرويا رايت المسيحي لما قطع وادي الاتضاع وانتهى الى حدود وادي ظلال الموت التقى برجلين من ذرية اوليك الذين اخبروا عن

(١) وادي ظلال الموت كنايةٌ عن الخوف الباطن والضنك والقتال الصادرة عن ظلام العقل وفقد العواطف الحيَّة الروحية. ولا ريب ان الانسان وهو في هذه الحال يكره الواجبات الدينية وينهاون في اتمامها. وهذا مما يقدم سبيلاً لكثرة المخاوف والمحن (٢) ار٢:٦

الارض الحيدة بالردي[١] وهما راجعان بسرعةٍ[٢] فحيّاهما المسيحي وقال لهما الى اين تذهبان. قالا اننا راجعان الى الورآء. وان كنت ممن يطلب الحيوة والسلامة فارجع ايضاً. قال وكيف ذلك. فقالا اننا كنا سايرين في الطريق التي انت تسلكها وقد تقدمنا فيها على قدر ما تجاسرنا ان نتقدّم حتى كاد الرجوع يمتنع علينا ولو تقدّمنا قليلاً بعد ذلك لما استطعنا ان نرجع الى هنا وناتيك بالخبر. قال اخبراني عما رايتما. فقالا اننا عند ما اشرفنا على الدخول في وادي ظلال الموت نظرنا في ما قدامنا فراينا الخطر قبل ان وقعنا فيه[٣] قال وما الخطر الذي رايتماهُ. فقالا راينا ذلك

(١) عد ١٣: ٣٢ (٢) اننا مرارًا كثيرة نصادف مثل هذين الرجلين ممن يشرعون في السفر وهم لا يشعرون بالخطية ولا يدركون الايمان او الرجآء الصادق او محبة يسوع الفائقة. واذا رجعوا من سفرهم ياتون باخبارٍ ردية عن طريق ملكوت الله

(٣) مز ٤٣: ١٩

الوادي مظلمًا حرجًا وفيهِ كثيرٌ من الجن والغيلان وتنانين العمق وسمعنا فيهِ صراخًا وعويلاً متصلاً كانما اناسٌ يعذَّبون بعذابٍ اليم. وقد غشّى ذلك الوادي سحاب الزعازع وبسط الموت اجنحتهُ عليهِ. وبالاختصار نقول انهُ وادي البلآء والظلمة وظلال الموت وليس فيهِ قرارٌ بل خوفٌ دايمٌ[1] فقال اني لا ارى مما ذكرتما الآن هذه هي الطريق الى المينا الشهية[2] قالا عليك بهذه الطريق فاسلكها واما نحن فلا رايٍ لنا فيها. وتركاهُ وانصرفا[3] فاستمرَّ في طريقهِ والسيف في يدهِ مسلولٌ ليلًا يفاجئهُ ماردٌ كالاول

قال ورايت في ذلك الوادي من الجانب الايمن

(١) اي ٣:٥ و ١٠:٢٢ (٢) مز ٤٣:٨ و ١٩ وار ٢:٦

(٢) ان الناس يفضّلون الطريق التي هم فيها فيختارونها ولو كانت تؤدّي الى الهلاك. بخلاف الامنآء فانهم يخضعون لنعمة الله ويسيرون في سبيلهِ ولو كان ينافض هوى اللحم والدم. وذلك مما يمتحن صدق المومنين بالحقّ ويكشف رياء المنافقين

حفرةً عميقةً جدًّا قد امتدَّت من اولهِ الى اخرهِ وهي التي اعمى اقتاد اليها اعمى في كل الاجيال فهلكا كلاهما معًا. ومن الجانب الايسر بالوعةً هائلةً اذا سقط فيها رجلٌ ولو كان صالحًا لا يجد مكانًا يدوس عليهِ. وقد سقط فيها داود النبي مرة ولو لم ينتشلهُ القادر على كل شيء لغرق فيها لامحالة[1] وكانت الطريق ضيقةً حَرِجة بين تلك الحفرة والبالوعة والمسيحي قد ادركهُ الظلام فارتبك في سلوكهِ بينهما لانهُ اذا تجنَّب الحفرة على الجهة الواحدة كاد يهوي على البالوعة عن الجهة الاخرى. واذا اتَّقى البالوعة كاد يهبط في الحفرة.

(١) مز ٦٨: ١٤ ان الحفرة التي عن اليمين كناية عن السقوط في المبادي الفاسدة التي الاعمى عن الحقايق الروحية اقتاد اليها الاعمى نظيرهُ. والحفرة التي عن الشمال كناية عن الخطايا الخارجية التي يسقط فيها كثيرٌ من الناس. ولا شك ان كلاً من الحفرتين عثرةٌ للسايحين ولكن الله يحفظ اقدام طاهريهِ ١ صم ٢: ٩

فكان يمشي متسكعاً كمن يمشي على وَتَر القوس . وكان الظلام قد غشي تلك الطريق فكان احياناً كثيرة يرفع رجلهُ ولا يعلم اين يضعها في الخطوة الثانية

قال ثم رايت ان فم الجحيم كان في وسط ذلك الوادي على جانب الطريق وكان يتدفق منهُ لهيبٌ ودخانٌ كثيفٌ وشرار نارٍ واصواتٌ هائلة . وكل ذلك لا يبالي بسيف المسيحي ان يجرحهُ كما جرح ابوليون . فاغمد المسيحي سيفهُ لما راى ذلك واستعان بآلةٍ اخرى يقال لها الصلوة بمداومة[1] وصرخ قايلاً باسمك يا رب دعوت يا رب نجِّ نفسي[2] ومشى طويلاً على تلك الحالة وكان اللهيب لا يزال يمتد نحوهُ وهو يسمع اصواتاً محزنةً وزلازل مريعة حتى كان يتراءى لهُ انهُ يمزَّق او يداس كالوحل في الاسواق . وما زالت هذه المخاوف محدقةً بهِ مسافة اميالٍ كثيرة . حتى وصل الى مكانٍ

(١) اف ٦ : ١٨ (٢) مز ١١٤ : ٤

حيث تخيَّل لهُ انهُ يسمع اصوات طغمةٍ من الجن مقبلة عليهِ فوقف يراجع رايهُ وكان يفتكر تارةً ان يرجع ثم يفتكر انهُ قد قطع نصف ذلك الوادي فلا تسمح نفسهُ بذهاب اتعابهِ باطلاً. ثم قال في نفسهِ انهُ قد مرَّت عليهِ مخاطر كثيرة ونجا منها فربما اذا عاد لا يكون ذلك اسلم من تقدُّمهِ فثبَّت رايهُ على التقدُّم ومشى متوكلاً على الله. وكان ضجيج الجن يعلو ويقرب حتى اشرف عليهم فصرخ باعلى صوتهِ وقال اني امشي في قوَّة الرب الاله. فرجعوا عند ذلك وكفُّوا عنهُ

قال صاحب الرويا ورايت المسيحي في اثناء ذلك مضطربًا قد غلبت عليهِ الدهشة حتى غفل عن نفسهِ فانهُ عند ما اشرف على حافة تلك الهاوية المضطرمة هوذا خبيثٌ قد مشى خلفهُ يختلس خطواتهِ بحيث لا يشعر بهِ وجدَّف بكلماتٍ منكرة قد دمدم بها سرًّا فتخيَّل للمسيحي ان ذلك قد كان منهُ على

سهومِ [1] فندم وعظم عليهِ ذلك اكثر من كل العظائم التي مرَّت برأسهِ . وكان قد غلب عليهِ الذهول فلم يفطن ان يسدَّ اذنيهِ ليمتحن الصوت هل كان منهُ ام من غيرهِ فاشتدَّ في مشيهِ على قدر ما استطاع حتى ابعد وهو على تلك الحالة المزعجة . وبينما هو كذلك تخيَّل لهُ صوت رجلٍ ماشٍ قدامهُ يقول اني ولو مشيت في وسط ظلال الموت لا اخشى الشر لانك معي [2] فاشتد عزم المسيحي وامتلأ بهجةً وحبورًا لانهُ علم ان البعض من رجال الله كانوا ماشين في ذلك الوادي مثلهُ . ورأى ان الله كان معهم فترجى انهُ يكون معهُ ايضًا ولو كان لا يقدر ان يراهُ لسبب

(١) ان كثيرًا من اولاد الله المقرَّبين يصيبهم مثل ذلك فان الشيطان يرميهم بسهامهِ الناريَّة ويقلقهم بالقاء الوساوس في ضمايرهم . ومرارًا كثيرة يشوِّش افكارهم لانهم حينئذٍ لا يقدرون ان يميِّزوا تجاديف الشيطان عن افكار قلوبهم (٢) مز ٢٣ : ٤

المانع الملاصق ذلك المكان[١] وأمّل ان يصل اليهم بعد قليل ويتخذهم رفاقًا لهُ . وهكذا كان يمشي ويدعو من هو قدامهُ والمدعوُّ لا يعلم ماذا يجيبهُ لانهُ ظن نفسهُ يمشي منفردًا . ولم يكن الاَّ قليلٌ بعد ذلك حتى طلع الصباح فقال المسيحي ان القادر على كل شي حوَّل ظلال الموت صباحًا[٢] والتفت حينئذٍ الى ورآهِ ليرى تلك المخاطر التي مرَّ بها ليلاً . فراى الحفرة التي كانت على الجانب الواحد والبالوعة التي كانت على الجانب الاخر والطريق الضيقة التي بينهما . وراى الجن والغيلان والتنانين ولكن عن بعدٍ لانهم بعد طلوع النهار لم يعودوا يقتربون منهُ الاَّ انهم ظهروا لهُ كما هو مكتوبٌ يكشف الخفيات من الظلام ويخرج النور من ظلال الموت[٣] وكان القسم الباقي من الطريق اكثر خطرًا من الماضي[٤] لانهُ كان مملوًّا

(١) اي ٩ : ١١ (٢) عا ٥ : ٨ (٣) اي ١٢ : ٢٢ (٤) ان الوقت الذي نجو فيهِ من المحن لا يخلو من فخاخ اخرى ولهذا

من الفخاخ والاشراك والمصايد والشبك عن الجانب الواحد ومن الحفر والمهاوي والمطامير والدهاليز عن الجانب الاخر. ولو انهُ كان مظلمًا كالاول لما تجاسر ان يمر بهِ ولو كان لهُ الف نفس. ولكن لما كان ضوء النهار مشرقًا حينئذٍ توكَّل على الله وسار وهو يقول سراجهُ فوق راسي وفي ضوءهِ اسلك في الظلمة(١)

قال ورايت ان المسيحي قد مشى على ذلك الضوء الى اخر الوادي واذا بدمٍ وعظامٍ ورمادٍ واجسامٍ ممزَّقة مطروحة في طرف الوادي تدلُّ على انها من اثار السايحين الذين سلكوا في هذه الطريق قبل ذلك. فبهتَ متحيِّرًا من ذلك المنظر واذا بالقرب مني مغارةٌ يسكن فيها من زمان قديم جبَّاران يقال لاحدهما الدجَّال وللاخر الوثني. وهما اللذان

ينبغي لنا ان نصلّي بايمان وحرارة لئلَّا تتغلَّب علينا الكبريآء الروحيَّة والطمانينة الباطلة وتسلب منا ثمر اتعابنا الجيِّدة شيئًا فشيئًا

(١) اي ٢٩:٣

بقوتهما وظلمهما قتلا اصحاب تلك الاثار. فمشى المسيحي في ذلك المكان ولم يمسَّهُ ضررٌ فعجبت من نجاتهِ. ولكنني علمت بعد ذلك ان الوثني كان قد مات وان الاخر قد شاخ وضعف من كثرة المعارك فهو لا يستطيع ان يتعرض لاحدٍ بسوء الَّا انهُ يجلس على باب ذلك الكهف فاذا مرَّ بهِ سابحٌ حرَّق على اسنانهِ وتلهَّف لعجزهِ عن النهوض اليهِ

قال ورايت المسيحي قد اخذ في طريقهِ حتى مرَّ بذلك الشيخ الجالس على باب تلك المغارة. فنظر اليهِ الشيخ نظر المغضب وقال انكم لا تصطلحون حتى يُحرَق منكم ايضاً. فلم يلتف المسيحي الى كلامهِ واستمر في مشيهِ غير مبالٍ ولم تنلهُ مضرةٌ. فطاب قلبهُ وانشا يقول شعرًا

لله من امرٍ عجيب ... من كل ذا سلم الغريب
فابارك اليمنى التي ... تعطي السلامة من قريب
ها قد نجوت من الابا ... لس والحفائر واللهيب

وسلمت من شَرَكٍ ومن وَهَقٍ وغدّارٍ مريب
هوَذا انا فليضفر ال اكليلَ يسوعُ الحبيب

وان المسيحي اسرع في مشيهِ بعد ذلك حتى وصل الى تلّةٍ يُشرِف منها المسافرون على ما يليها من الطريق[1] فصعد اليها ونظر فراى الرجل الذي كان قبلاً يسمع صوتهُ وينادِيهِ وكان يقال لهُ الامين. فصاح المسيحي باعلى صوتهِ يا ايها الامين قف حتى اصل اليك. فالتفت الامين الى ورآيهِ وناداهُ المسيحي ايضاً ان يقف فقال كلّا لاني طالب النجاة والمنتقم من الدماء ورآءي[2] فتحرّك بذلك المسيحي واسرع في مسيرهِ حتى

(١) ان الرب يعتني بشعبهِ وهو قد اقام لهم في طريقهم مشارف كثيرة بواسطة كلامهِ ومواعيدهِ لكي ينظروا منها الى ما ورآءها بابتهاجٍ وحبورٍ

(٢) ان المسيحيين عوض ان يسعف بعضهم بعضاً في سفرهِ قد يصدُّ احدهم الاخر مراراً كثيرة اذ يجعل نفسهُ دستوراً لهُ ولكن من كان امينا في طريق الله لا يتأخر في سيرهِ امتثالاً باحدٍ ولو من اخوتهِ المسيحيين

ادركهُ واستمرَّ في جريهِ فسبقهُ حتى صار الاول اخرًا. وحينئذٍ تبسَّم المسيحي عجبًا لسبقهِ اخاهُ السابق ولكنهُ قد غفل عن التحفُّظ فعثر ساقطًا وعجز عن النهوض حتى وصل اليهِ الامين واخذ بيدهِ فقام ومشيا معًا[1]

وتمكنت بينهما المحبة والالفة وحدَّث كلٌّ منهما صاحبهُ بما عرض لهُ في سفرهِ. وقال المسيحي يا اخي العزيز اني قد سررت بمصاحبتك وشكرت الله الذي جمع شملي بك في هذه الطريق السعيدة[2] فقال الامين اني كنت اشتهي مصاحبتك منذ كنت في بلدتنا ولكنك سبقتني فالتزمت ان اقطع كل هذه

(١) اننا عند ما نرى انفسنا قد سبقنا غيرنا في سبيل الله يداخلنا العُجب. غير ان الله مداوٍ لكبريائنا يسمح بسقوطنا حتى نحتاج الى مساعدة الذي كنا قد سبقناهُ. وعند ذلك نتواضع متذلّلين امامهُ تعالى ونعترف بضعفنا

(٢) ان المفاوضة مع اصحابنا المسيحيين تفيدنا كثيرًا بشرط ان نجتنب العناد ونستعمل الحكمة كما فعل المسيحي في خطابهِ مع الامين ثم مع الراجي كما سيأتي

الطريق وحدي. قال كم يومًا لبثت في مدينة الهلاك بعد سفري منها. فقال اني لبثت حتى لم استطع اللبث ايضًا[1] لان الناس بعد خروجك تحدثوا كثيرًا ان مدينتنا عمَّا قليلٍ تحترق بنارٍ من السماء. قال يا للعجب هل كان القوم يتحدثون هكذا. فقال نعم انهم كانوا كلهم يتحدثون بذلك زمانًا. قال وا اسفاه ألم يخرج احد منهم سواك. فقال انهم كانوا يتحدثون بذلك كما قلت الاَّ انهم لم يكونوا منهُ على يقينٍ لاني سمعت بعضهم يهزأون في اثناء حديثهم عن خروجك ينسبونهُ الى العبث. واما انا فقد وثقت بان ذلك لابد منهُ وفررت اطلب النجاة. قال هل سمعت شيئًا عن جارنا المذعن. قال نعم سمعت انهُ تبعك حتى وصل الى بالوعة اليأس وسقط فيها كما قال بعضهم

(١) هذه حال الجميع فانهُ لا يجتهد احدٌ في الفرار من الغضب الاتي حتى يشعر بسوء حالهِ ويضطرب لاجل الخطر الحاصل عليهِ

لكنهُ اغمض خبرهُ فلم يكاشف الناس بهِ . اما انا فلم اجهل امرهُ لاني رايتهُ ملطخًا بتلك الاوحال . قال فاذا قالت الحيران لهُ . فقال انهُ كان بعد رجوعهِ اضحوكةً لهم يسخرون بهِ ويهزأون . وقد استضعفوا رايهُ حتى صاروا لا يظنُّونهُ كفوًا لعملٍ يستاجرونهُ لهُ . وهو الان اشقى حالاً مما كان لو اقام في المدينة . قال فاذا كان قد ترك الطريق التي يرفضونها فما بالهم يزدرون بهِ . فقال انهم يحكمون عليهِ بالشنق لانهُ متقلبٌ لا يصدق في اقرارهِ . واظن ان الله قد حرَّك اعدآءهُ ليعيّروهُ ويجعلوهُ مثلاً بين الناس لانهُ ترك الطريق[1] قال اما تكلَّمت معهُ قبل سفرك . فقال قد صادفتهُ مرةً في السوق فانثنى الى الجانب الاخر كانهُ خجل مما فعل فلم اتكلم معهُ[2] قال احسنت واني قد كنت

(١) ار ٢٩ : ١٨ و ١٩ (٢) ان المرتدين عن طريق الرب يخجلون من لقآء خدام المسيح والنظر اليهم لانهم حينئذٍ يتذكرون خطاياهم . واما بعد ذلك فتكلُّ ضمايرهم وتعود قلوبهم الى القساوة

ارجو الصلاح في هذا الرجل عند اول سفري . واما
الان فاني اخاف ان يهلك في خراب المدينة لانهُ قد
صحَّ عليهِ انهُ كالكلب الذي عاد الى قيّهِ وكالخنزيرة
التي اغتسلت ثم تمرغت في الحماة[1] فقال وانا اخاف
عليهِ من ذلك ايضًا ولكن من يستطيع ان يدفع
حوادث الزمان . قال اصبت ياجاري الامين فلنتركهُ
ونتحدَّث في ما يختص بانفسنا . هات اخبرني ماذا
صادفت في الطريق وانت قادمٌ لاني اعلم انهُ لابد ان
تكون قد رايت ما يُخبَر عنهُ والاَّ فذاك من اعجب ما
يكتبهُ المورخون . فقال اني نجوت من البالوعة التي
اعلم انك قد سقطت فيها ووصلت الى الباب من
دون ذلك الخطر . الاَّ اني التقيت بامرأةٍ يقال لها
العاهرة فراودتني عن نفسي وارادت ان تطغيني
بخداعها الخبيث . فقال قد ايَّدك الله بروحٍ منهُ ونجَّاك

(١) ٢ بط ٢ : ٢٢

Digitized by Google

من شباكها. فان يوسف قد وقع في ضيقٍ عظيم بسببها ونجا منها كما نجوت انت ولكن مع خطر فقد حياتهِ[1] فماذا جرى بينك وبينها. فقال يعسر عليَّ ان اصف حلاوة ذلك اللسان الذي لاطفتني بهِ لكي اوافقها. وناهيك ما وعدتني بهِ من اللذات والطيّبات. قال انها لم تَعِدْك بلذات الضمير الصالح. فقال كلَّا انت تعلم ان المراد بذلك اللذات الشهوانية والطيبات الدنسة. قال فاشكر الله على نجاتك منها الان فاها حفرة عميقة والذي يغضب عليهِ الرب سيسقط

(١) تك ٣٩: ١١ و١٢ ان الامين ولو كان قد نجا من بالوعة اليأس التي سقط فيها رفيقهُ المسيحي فانهُ قد قاومهُ الجسد بشهواتهِ. ولا ريب ان هذه الشهوات ليس شي يوذي النفس مثلها ولا يزعج الضمير كما تزعجهُ والغلبة عليها عسرة في الغاية. ولا سيَّما ان عدو الجنس البشري يضع في فخاخهِ ما يوافق اميال الخطاة فيقدّم للحزين قطع الرجاء وللنهم شهوات الجسد وللبخيل رجاء الربح وللشريف الكبرياء وللمتبرر باعمالهِ الاتكال على نفسهِ وللكسلان الاحالة على اعمال المسيح عوضًا عنهُ وهلمَّ جرًّا

فيها[١] فقال اني غير واثقٍ بنجاتي منها بالتمام[٢] قال اني ارجو ان لا تكون قد اطعتها. فقال حاشا لله اني تذكّرت عبارة قديمة تقول ان خطواتها تنفذ الى الجحيم[٣] فاغمضت عينيّ لاني لم ارد ان أُسحَر بالحاظها[٤] ولما راتني كذلك اصرفت وجهها عني وانطلقتُ لسبيلي. قال وهل لقيت شيئاً اخر بعد ذلك. فقال اني لما وصلت الى ذيل الجبل الذي يقال لهُ الصعوبة لقيت رجلاً في غاية الشيخوخة فقال لي من انت والى اين تذهب. قلت سائحٌ مسافرٌ الى المدينة السموية. قال اني اراك رجلاً اميناً فهل لك ان تقيم عندي على اجرةٍ ادفعها اليك. فقلت لهُ ومن انت واين تسكن.

(١) ام ٢٢: ١٤ (٢) من كان ضميرهُ حيًّا يحزن جدًّا لاجل ميل الجسد الى الشهوة ولو كان ميلاً خفيًّا ولا يكاد يبرّر نفسهُ من الذنب. ولا ريب ان ذلك مما يعلمنا سموّ قيمة دم المسيح الذي يطهّر خطايانا ويجعلنا نتواضع امامهُ تعالى وننفر من سماجة سلوكنا (٣) ام ٥: ٥ (٤) اي ٣١: ١

قال انا ادم الاول[١] اسكن في قرية الغش[٢] قلت فما هو العمل الذي عندك وما هي الاجرة التي تعطيها. فقال اما العمل فاللذات الشهية واما الاجرة فيراثي اخيرًا. قلت فماذا منزلك ومن اعوانك. فقال اما منزلي فساحة اللذات الدنيوية واما اعواني فاولادي. قلت كم ولدًا لك. فقال ثلث بناتٍ شهوة الجسد وشهوة العين وفخر العمر[٣] وهنَّ لك ان شئت ان تتزوَّج. قلت فالى متى تريد ان اكون عندك. قال ما دمت انا حيًّا. فقال المسيحي للامين حيَّاك الله يا صاح فماذا تمَّ بينكما. قال اني في اول الامر ملت الى مصاحبتهِ لاني احسنت فيهِ الظن لكنني تفرست فيهِ بعد ذلك فوجدت

(١) هذا يشير الى الخطية التي ورثناها من ابينا ادم وهي الفساد المستولي على طبيعتنا التي تنصبُّ دائمًا فخاخًا في طريق كثيرين من المومنين لكي تصطادهم باما لتها اياهم الى اللذات العالمية والغنى ومحبة الكرامة والمجد الباطل واشباه ذلك. ولا سبيل الى الغلبة عليها الاَّ بجهادٍ عظيمٍ وقتالٍ دايم وايمان وطيدٍ وصلوةٍ حارة (٢) اف ٤: ٢٢ (٣) ١ يو ٢: ١٦

مكتوباً على جبينهِ انبذوا عنكم الانسان العتيق مع سيرتهِ[1] قال ثم ماذا. فقال قلت في نفسي ان هذا الشيخ مهما قال وكيفما تملَّقني فمتى حصلت في منزلهِ كنت عندهُ بمنزلة عبدٍ. وبناءً على ذلك طلبت منهُ قطع الكلام في هذا الامر ورأى مني الكراهة. فزجرني وقال اغرب عني وانا ارسل خلفك من يجعل طريقك مرارةً. فانثنيت الى طريقي وما تماديت حتى شعرت انهُ امسكني واجتذبني جذبةً ظننت انها هدمت جانباً مني فصرخت قايلاً انا انسانٌ شقيٌّ[2]

واجفلت صاعدًا في الجبل حتى توسَّطت فيهِ فالتفتُّ واذا براكضٍ يُخفِق في اثري كهبوب الرياح وما زال حتى ادركني عند الشجرة المغروسة في الطريق. فقال المسيحي اوَّاه اني قد جلست تحت هذه الشجرة لاستريح فغلب عليَّ النعاس وضيَّعت هذه الصحيفة.

(١) كو٣: ٩ (٢) رو٧: ٢٤

قال الامين اسمع يا اخي لاخبرك بتمام الحديث . ان هذا الرجل ادركني هنـاك فعاجلني بلطمةٍ فالقاني على الارض كالميت . ثم انتبهت على نفسي فقلت لهُ يا مولاي لماذا فعلت بي ما فعلت . قال لميلك الباطن الى ادم الاول واهوَى على صدري بلطمةٍ اخرى فطرحني على الارض ثانيةً كأني ميتٌ فلما افقت طلبت منهُ الرحمة . فقال لا اعلم كيف اصنع الرحمة ودفعني ايضًا فانطرحت على الارض . ولو لم يأتني من يامرهُ بالكفّ عني لأماتني سحقًا لاستحالة[1] قال ترى من هو الذي امرهُ ان يكفَّ عنك . قال اني لم اعرفهُ اولاً الاَّ انني بعد انصرافهِ رايت الجراح في يديهِ وجنبهِ

(١) يشير ذلك الى موسى او شريعة الله كما سياتي بيانه . فلا تظن يا ايها الحبيب ان الشريعة تلاحظ الافعال الخارجية فقط بل تلاحظ افكار القلوب وخفاياها ايضًا . وتجعل الانسان يقطع رجاءهُ من الخلاص وتجلب عليهِ اللعنة حتى لاجل ادنى ميلٍ خفي الى الشهوة

فاستنتجت انهُ الرب. وما صدَّقت ان افلتُّ حتى ركضت صاعدًا في الجبل. قال وذلك الرجل الذي ادركك هو موسى وهو لا يعفو عن احدٍ ولا يعلم كيف يصنع الرحمة مع من يتجاوز شريعتهُ. فقال قد علمت ذلك قبل هذه المرة لانهُ اتاني وانا في منزلي مطمئنٌّ وقال لي ان بقيت فيهِ يحرقهُ على راسي. قال هل رايت القصر المبنيَّ هناك على راس الجبل الذي على جانبهِ التقاك موسى. فقال نعم ورايت الاسدَين ايضًا قبل وصولي اليهِ واظنهما كانا نائمَين لانهما لم يتعرَّضا لي. وكان النهار وقت الظهر فجزت ومررت بالبوَّاب وانطلقت لا التفت الى احدٍ حتى وصلت الى اسفل الجبل. قال قد اخبرني البوَّاب بمرورك وتمنَّيت لو كنت دخلت ذلك القصر فرايت ما فيهِ من المناظر العجيبة التي لو رايتها لافتتنت بها وكتبتها على صفحات قلبك فلا تنساها الى الممات

والان اريد ان تخبرني هل صادفت احدًا في وادي الاتضاع. فقال نعم قد صادفت رجلاً يقال لهُ الطمع وهذا اراد ان يثنيني عزمي الى الرجوع معهُ بزعمهِ ان ذلك الوادي من مواطن الذل والهوان وان عبوري فيهِ يحزن اصدقائي الذين هم الكبرياء والتيه والغرور الذاتي والمجد العالميّ وغيرهم من هذا القبيل. وقال ان هولاء يتمزقون غيظًا اذا رضيت لنفسك بالجهل وعبرت هذا الوادي[1] قال فماذا قلت لهُ. فقال اني قلت لهُ ان هولاء الذين تذكرهم وان سلّمت بانهم اصدقائي وانسباء فان ذلك قد كان بحسب الجسد قبل خروجي من ديار هذه العشيرة

(١) هنا يظهر الفرق بين المسيحيين في ملاقاتهم الاعداء فان المسيحي لم يقاتلهُ الطمع كما قاتل الامين. وكثيرون من اهل السياحة يكونون اكثر رضى من غيرهم بسياحتهم ولا يخفى ان براهين الايمان تتغلب دائمًا على الطمع الصادر من الكبرياء والتيه والغرور الذاتي والمجد العالمي ومحبة الدنيا ونعيمها وغناها وزخارفها ونحو ذلك من اباطيلها

والان قد قطعنا تلك العلاقة وجحدتهم وجحدوني
فلا ارعى لهم حرمةً اكثر مما للاجانب الغرباء. واما
الوادي فقد افتريت عليهِ زوراً لانهُ قبل الشرف
يوجد الاتضاع وقبل السقوط يوجد التكبُّر[1] وعلى
ذلك اقول ان عبوري فيهِ سبيلٌ الى اقتناء الكرامة
المعدودة كرامة بالحقيقة عند الحكماء الافاضل فاخترتهُ
على تلك الاشياء التي تعتبرها انت. قال وهل
صادفت غير ذلك في الوادي. فقال نعم قد صادفت
الخجل واراه قد سُمِّي بذلك عبثاً دون جميع الناس
الذين صادفتهم لان اوليك كانوا يسلّمون بعد اقامة
برهانٍ او دليلٍ واما هذا العديم الحياء فلا يسلّم
مطلقاً. قال وكيف ذلك. فقال انهُ فاسد العقيدة
في الدين رديُّ الاخلاق في التصرُّف وهو يقول
ان المحافظة على السلوك بحسب الشرايع الدينيَّة

(١) ام ١٦: ١٨

طريقةٌ دنيَّة وحالةٌ شقيَّةٌ يرثى لها وان رقَّة القلب ركاكةٌ في العزم وضعفٌ في الهمَّة وان من سهر على ضبط اقوالهِ وافعالهِ حتى يقيِّد نفسهُ في هذا الاسر ويمنعها التمتع بتلك الحرية التي تتصرَّف بها الانفس الظافرة يصير اضحوكةً لاهل هذا الزمان واخيرًا انهُ لم يكن احدٌ من الاقوياء والاغنياء والحكماء يذهب مذهبي الاَّ القليل وهولاء القلائل قد صاروا جهالاً بارتضائهم بالمخاطرة في اهوالٍ معلومة طمعًا في شيء غير معلوم[1] وقد بالغ في ذمّ الحالة الدنيَّة التي يكون عليها اكثر السائحين في هذه الطريق وحكم عليهم بضعف العقول والجهالة. ثم التفت الى امورٍ مختلفة لامني عليها وقال اليس عارًا عليك ان تجلس عند استماع الوعظ باكيًا وان ترجع الى بيتك حاسرًا منكسرًا وان تستغفر من صاحبك على هفواتٍ اسأت

(١) اكو ١: ٢٦ و ٢: ١٨ في ٢: ٧ الى ٩ يو ٧: ٤٨

بها اليهِ وان تردَّ غصباً ما سلبتهُ من الناس. أَما ترى ان مثل هذا يحطُّ الانسان عن درجة الاكابر ويُلحِقهُ بالادنياءِ[1] قال فماذا قلت لهُ. فقال انهُ ضاق عليَّ مذهب الكلام فعجزت عن الجواب حتى كاد قلبي ينصدع ومالت افكاري الى التشويش لكنني ذكرت بعد ذلك ان المتعظم في الناس رذالةٌ قدام اللهِ[2] وافتكرت ان هذا القايل يتكلم في شان الناس ولا يتكلم في شان اللهِ وكلمتهِ. وتأَمَّلت اننا لانحاكم يوم القضاءِ بالموت او الحيوة على مقتضى هذيان روح العالَم ولكن

(١) انهُ لا يوجد برهانٌ على اضاعتنا صورة الله اقوى من خجلنا بالامور المنسوبة اليهِ. ولا شك انهُ متى اقترن الخجل بالخوف يكون اكبر المضادين لحق الله ويقاوم مجد المسيح وعزاءَ انفسنا المكتسب منهُ لهُ المجد. فينبغي لنا اذن ان نعترف بالمسيح بجراءةٍ ونخضع لهُ بتذللٍ ولا نخاف ان يفقد مناكرامتنا العالمية. لان المسيح يخاطبنا بكلماتٍ هايلة محذرًا لنا من ذلك بقولهِ من استحى بي وبكلامي في هذا الجيل الفاسق الخاطي فابن الانسان يستحي بهِ اذا جاءَ بمجد ابيهِ مر ٨: ٣٨ (٢) لو ١٦: ١٥

حسب حكمة العليّ وشريعتهِ. فحكمت ان الافضل اختيار ما قالهُ الله والتمسُّك بهِ ولو ناقضتهُ حكماء الدنيا. وقلت لذلك الرجل اغرب عني يا عدوّ خلاصي انك تريد ان تطغيني في ما يغضب ملكي والهي واذا فعلت ذلك فكيف ارى وجههُ يوم مجيئهِ[1] وكان هذا الخبيث وقحًا لجوجًا فلم يتركني وما زال يتكلم في اذني ويوسوس اليَّ. فقلت لهُ ان الجهاد الذي انت فيهِ باطلٌ والرجاء الذي انت عليهِ محالٌ لان الذي تراهُ عين الهوان اراهُ اكليل المجد والغبطة. واجتهدت في المسير حتى سبقتهُ وانشدت اقول شعرًا

ان البلايا الناشيا ○ ت من العداوة والحَسَد
النازلات بمن اجا ○ ب دعاء خالقهِ الصَّمَد
خِدَعٌ مزخرفةٌ مطا ○ بقةٌ لاهواء الجسد
تُغوي فتلقي الناس في ○ خطر السقوط الى الابد
فليحذر الساعي هنا ○ منها ويعمل بالرَّشَد
ويجدّ في طلب الهدى ○ من جدّ في امرٍ وَجَد

(١) مر ٨:٣٨

فقال المسيحي قد سررتني يا اخي بمقاومتك الجسورة لهذا الخبيث الذي يتبعنا في الاسواق ويجتهد ان يخجلنا امام الجميع اي ان يجعلنا نخجل من الصالحات وهذا يبرهن قلّة خجلهِ وعدم لياقتهِ لهذا الاسم فلنقاومهُ دايمًا لان صحبتهُ عارٌ ورفعتهُ مذلّةٌ كما قال سليمان الحكيم ان الحكماء يرثون المجد واما الجهلاء فارتفاعهم هوانٌ[1] فقال الامين نعم وانهُ يجب علينا ان نطلب الاسعاف عليهِ من لدنهُ تعالى الذي يريد ان نكون اقوياء لاجل الحق على الارض

قال صاحب الرويا ورايت المسيحي والامين بعد ذلك منطلقين وكانت طريقهما حينئذٍ واسعة وبينما هما يمشيان التفت الامين فراى رجلاً ماشيًا على بعدٍ قليل منهما يقال لهُ المنطيق[2] وكان طويل

(١) ام٣: ٣٥ (٢) ان الناس في ايامنا هذه يعترفون بديانة المسيح بافواههم واما قلوبهم فهي بعيدة من طهارة الانجيل ومفاعيل الديانة اللازمة للحيوة الروحيّة . وهذا المنطيق رمزٌ عن

Digitized by Google

القامة منظرهُ من بعيدٍ احسن مما هو من قريبٍ.
فقال لهُ الامين الى اين تذهب يا اخي هل الى البلدة
السموية. قال نَعَم. قال طاب مزارك ولعلَّنا نفوز
بصحبتك الصالحة. فقال حبًّا وكرامةً. قال هلمَّ بنا
لنستأنس بك ونقطع الطريق في الحديث المفيد.
فقال اني اشتهي هذا الحديث مع كل صاحبٍ وجليسٍ
وقد سررت بمصادفتي من يلتذُّ بهذا المشرب العَذِب
الذي يكرههُ اكثر اهل هذا الزمان. قال حيَّاك الله
فان الالسن احسن ما استُعمِلت في الاحاديث
السموية المنسوبة الى خالقها بحكمتهِ الباهرة لافادة

كثيرين ممَّن يتحدَّثون بفصاحةٍ باهرة في شان حقايق الانجيل
ولكن ليس لها اثر في تجديد قلوبهم وتشبيههم بصورة المسيح.
ولا ريب ان من كان على هذه الحال يكون بارًّا مع الابرار
وشريرًا مع الاشرار ومنافقًا مع المنافقين. وهذا ممَّا يجلب افترآء
على الديانة ويجعل الآخرين يفترون على طريق الله الصالحة
ويبلبلون الضمايرا لسليمة

البشر. فقال اني قد شغفت بحبك ايها الرجل لان كلامك مملوءٌ حقًّا وصوابًا. وفضلاً عن ذلك انهُ لا يوجد كلامٌ مفيدٌ ولذيذٌ مثل الكلام في هذه المباحث عند من لهُ رغبةٌ في اكتساب الحكمة والوقوف على عظائم الامور. لان من كان يريد الحديث في الوقايع القديمة او في نفائس الامور كالعجايب والغرايب والايات والمعجزات لا يجد من ذلك في جميع الاسفار والتواريخ كما يجد في الكتب المقدسة. قال صدقت وانما ينبغي ان تكون الغاية الوحيدة من مثل هذا الحديث اكتساب الفائدة. فقال نعم فان هذا الحديث هو معدن الافادة لاننا بهِ ندرك بطلان الارضيات ومنفعة السمويات فنعرف وجوب الميلاد الثاني وقصور اعمالنا عن الوفاء واحتياجنا الى برّ المسيح. ونتعلّم ايضًا ما هي التوبة والايمان والصلوة والصبر وما اشبه ذلك وما هي المواعيد والتعزيات

العظيمة الموجودة في الانجيل. ونتعلم كيف نناقض المعتقدات الكاذبة ونحامي عن الحقّ ونعلّم الجهّال[1] قال كل ذلك حقٌّ وانا اسرُّ باستماعي منك هذه الكلمات الطيبة. فقال واحسرتاه ان نقص هذا الحديث يجعل الذين يعرفون احتياج الايمان وضرورة عمل النعمة في انفسهم للحيوة الابدية قليلين. واكثر الناس بجهلهم يعيشون في اعمال الناموس الذي لا يقدر احدٌ ان يحصل بهِ على الملكوت السموي. قال اما المعرفة السماوية فانها هبةٌ الهيةٌ لا تحصل بالاجتهاد او المذاكرة فقط. فقال اني اعلم ذلك جيدًا لان الانسان لا يمكنهُ ان يحصل على شيءٍ الّا ان يعطى لهُ

(١) يتّضح من كلام المنطيق هذا ان المومن بلسانهِ يمكن ان يتعلّم حقيقة التعاليم الصحيحة ويحكم بها حكمًا صحيحًا ويكون قلبهُ مع ذلك فارغًا منها ومن محبّتها وقوّتها في تصرُّفاتهِ واميالهِ. ولهذا كثيرون يدّعون بانهم تلاميذ المسيح وهو يدينهم اخيرًا كمجرمين

من السماء وكل شيء من النعمة لا من الاعمال وعلى ذلك آياتٌ كثيرة من الكتاب المقدس لو شئنا ايرادها لطال علينا الكلام. قال احسنت ولا يغرب عنك ان الحديث لا بدَّ لهُ من ركنٍ يُبنَى عليهِ فعلى ماذا تريد ان نبني حديثنا. فقال اختر ما شئت من امور سماوية او ارضية او مسائل ادبية او انجيلية او عباراتٍ مقدَّسة او غير مقدَّسة او حوادث ماضية او عتيدة او مهمّاتٍ اجنبية او اهلية او معانٍ جوهرية او عرضية بشرط ان يكون ذلك نافعًا مفيدًا. فدهش الامين من كلام الرجل وعظم في عينهِ وكان منفردًا عن المسيحي. فمال اليهِ وخلا بهِ وقال لهُ نعم الرفيق صادفناهُ في هذه الطريق فلا ريب ان هذا الرجل سيكون سائحًا لا نظير لهُ. فابتسم المسيحي وقال حماك الله يا اخي من الغرور فان هذا الرجل مذَّاق اللسان يخدع من لا يعرفهُ. قال هل تعرف منهُ غير

Digitized by Google

ما رايناهُ الان. فقال اني اعرفهُ كما يعرف نفسهُ واعرف اخلاقهُ اكثر مما يعرفها. قال فمن هو يا اخي. فقال هو رجلٌ من اهل بلدتنا يقال لهُ المنطيق وانا اعجب منك كيف لا تعرفهُ الاَّ ان يكون ذلك لكبر البلدة وكثرة اهلها. قال فابن من هو واين منزلهُ. فقال اما ابوهُ فرجلٌ يقال لهُ الخطابة واما منزلهُ فمكانٌ يقال لهُ زقاق الهاذرين. وهو مع لطافتهِ وعذوبة لسانهِ رجلٌ رديٌّ في الغاية. قال انني حين لم اعرف منهُ قبح هذه السيرة كان يتراءى لي منهُ جمالٌ. فقال قد اصبت في نسبة الجمال اليهِ دون الملاحة لان ذلك انما هو للاباعد وعكسهُ للاقارب. كما يتفق في بعض التصاوير التي تظهر من بعيدٍ جميلة فاذا دنا الانسان منها كانت بعيدةً عن الرضى. فاستغرب الامين ذلك لانهُ لم يقف على دليل من محاضرة الرجل وقال لهُ يا اخي اظنك تمزح لاني رايتك تتبسَّم في افتتاح هذا الحديث.

فقال حاشا ان امزح في مثل هذا او ارمي احدًا بفاحشةٍ كاذبة ولكن هذا الرجل ماكرٌ يتلطّف بالسلوك مع الجميع وكما يتكلّم الان معك يتكلّم مع ندمائِهِ اذا كان في الخمّارة وبقدر ما يمتلئ راسهُ من الشراب يجري لسانهُ على هذا الكلام. واما الدين فلا محلَّ لهُ في قلبهِ ولا في بيتهِ ولا في سيرتهِ. وانما دينهُ شقشقة لسانهِ وكثرة هذيانهِ. قال اذا كان كذلك فما اعظم خديعتي بهِ. فقال نعم هو كما كُتِب انهم يقولون ولا يفعلون ولكن ملكوت الله ليس بالقول بل بالقوة[1] وهو يتكلم عن الصلوة والتوبة والايمان والميلاد الثاني لكنهُ لا يعرف الاَّ ان يتكلم عنها فقط. وهذا مما وقفت عليهِ بالحضرة والمشاهدة لانني كنت في منزلهِ اياماً ولاحظتهُ داخلاً وخارجًا فوجدت بيتهُ خاليًا من الديانة كما تخلو الراحة من الشعر اذ لا يوجد

(١) ١ كو ٤: ٢٠

هناك صلوةٌ ولا عبادةٌ ولا امرٌ بمعروفٍ ولا نهيٌ عن منكرٍ فلا ريب ان البهائم في نوعها تخدم الله احسن منهُ وهو عارٌ وعيبٌ ودنسٌ للديانة امام كل من يعرفهُ[1] فالذين لم يختبروهُ باطنًا يقولون انهُ من رجال الله واما عند العارفين بسريرتهِ فهو شيطانٌ مارد ولا سيَّما على اهل بيتهِ فانهُ يشتمهم لغير سببٍ ويتعنَّت عليهم حتى لا يعلمون ماذا يعملون لهُ او يجيبونهُ بهِ. والذين يعاشرونهُ يختارون معاشرة البرابرة على معاشرتهِ. وفوق ذلك انهُ لا يكتفي بما في نفسهِ حتى يربّي اولادهُ على سيرتهِ ويطغي اصحابهُ وجلساءهُ فيتخلَّقون باخلاقهِ الذميمة. وان سمح الله سيكون حجر عثرةٍ يسقط بها كثيرٌ من الناس. قال صدقت يا اخي ويجب عليَّ ان اصدّقك لانك لا تحكم على احدٍ عبثًا من غير معرفةٍ جليَّة. فقال اني لو لم اكن اعرفهُ قبلاً

(١) رو ٣:٢٤

لربما كنت ظننت فيهِ الخير كما ظننت انت، ولو سمعت عنهُ هذه الصفات من الناس لاحتمل عندي ان تكون افتراءً عليهِ. ولكنني من تلقاءِ معرفتي الذاتية واثقٌ منهُ بكل ما ذكرت وغيرهِ كثيرًا مما لم اذكر. وانا اعلم ان الصالحين يستحون بمجالستهِ ويأنفون ان يدعوهُ اخًا او صديقًا حتى انهم يخجلون من ذكرهِ بينهم ولو بمجرَّد التلفُّظ باسمهِ. قال سبحان الله ان القول غير الفعل حتى يكون الواحد منهما عكس الاخر. ومن الان سأُنبِّه نفسي على التمييز بينهما. فقال لاشكَّ في المغايرة بين القول والفعل وهما يفرقان عن بعضهما كما تفرق النفس عن الجسد وكما ان الجسد بدون النفس ليس سوى جثة ميتة كذلك القول بدون الفعل. وروح الديانة هو الجزء العمليُّ كما يقول يعقوب الرسول اما العبادة الزكية الطاهرة عند الله الاب فهي هذه ان تتعاهدوا الايتام والارامل في ضيقتهم وتحفظوا

نفوسكم من دنس هذا العالم[١] ولكن هذا الرجل لا يحفل بشيء من ذلك ويظن السماع والقول يجعلان الانسان عبدًا صالحًا وهكذا يغشُّ نفسهُ ويخدع الاخرين ولم يعلم ان السماع يشبه القاء البذار فقط والقول لا يدل بالكفاية على وجود الثمر في القلب والحيوة حقيقةً وان الناس يُحاكَمون يوم الدينونة حسب اثمارهم[٢] فلا يقال حينئذٍ هل آمنتم بل هل عملتم وبحسب ذلك يُحاكَمون. واخر العالم يقاس بحصادنا[٣] وانت تعلم ان الناس لا يلتفتون وقت الحصاد الاَّ الى الاثمار. غير اني لا اقول هذا نصًّا على ان الاعمال تُقبَل ما لم تكن من الايمان بل على ان اعتراف مثل هذا الرجل بالايمان في ذلك اليوم يكون باطلًا لا فايدة فيهِ[٤] قال ان هذا يذكّرني قول موسى في

(١) يع ١: ٢٧ و ٢٢ و ٢٦ (٢) مت ١٢: ٣٣

(٣) مت ١٣: ٣٠ (٤) يشير ذلك الى ان التقوى الحقيقيّة

تفصيل الحيوان طاهرًا من نجسٍ ان ما كان يجترُّ غير مشقوق الظلف يُحسَب نجسًا[1] وهذا الرجل يجترُّ الكلام بترديدهِ لهُ وهو غير مشقوق الظلف اي لا ينشق عن طريق الاثمة فهو نجسٌ بالاجماع. قال قد اصبت ومثل هذا الكثير الكلام يدعوهُ بولس الرسول نحاسًا يطنُّ وصَنْجًا يصوّت[2] كما يعبّر عنهم في مكانٍ اخر بانهم اجسامٌ ليس فيها نفسٌ ولها اصواتٌ تُسمَع[3] اي خالية من الايمان الحقيقي ونعمة الانجيل. وبالاجمال

المتّصلة من النيّة بالعمل هي شهادة اكيدة للمسيحي الحقيقي. فان السيّد لهُ المجد يقول من ثمارهم تعرفونهم. ومن المعلوم اننا لا نقدر ان نعرف ان الشجرة جيّدة من خصب اوراقها ونضارة اغصانها بل ممّا تاتي بهِ من الثمار. وهكذا لا يمكن ان يكون اقرارنا بافواهنا او كلامنا ببلاغةٍ عمّا عرفناهُ من مفاعيل الديانة برهانًا على اننا تلاميذ للمسيح بل يكون البرهان على ذلك عملنا بما اوصانا بهِ كما يقول انتم احبّائي اذا عملتم ما امرتكم بهِ

(١) لا ١١: ٤ تث ١٤: ٧ (٢) ١ كو ١٣: ١

(٢) ١ كو ١٤: ٧

انهم اشخاصٌ لا يحلُّون ابدًا في الملكوت السماوي بين ابناءِ الحيوة ولو كانت اصواتهم عند التلفُّظ كاصوات الملائكة. قال اني قد كرهت مرافقتهُ اذا كان كذلك فما الحيلة في التخلُّص منها. قال ذلك عندي. ان عملت بما اشير عليك ينفر منك اشدَّ من نفورك منهُ ما لم يَمسَّ الله قلبهُ ويردّهُ الى سبيلهِ. قال فكيف اصنع. فقال تميل اليهِ وتكلّمهُ بوقار عن فاعلية الديانة. فاذا وافق رايك ظاهرًا فاسأَلهُ هل ذلك ثابتٌ في قلبهِ او في سلوكهِ او في منزلهِ. قال نعم وتقدَّم اليهِ وقال لهُ هلمَّ بنا كيف انت الان. فقال قد طال بنا السفر وانقطعنا عن تعزية الحديث. قال اجزل الله ثوابك وان شئت نجدّد الكلام. فقل لي كيف تظهر نعمة الله الخلاصية عند ما توجد في قلب الانسان. فقال نِعْمَ السوال فأَعطِني سمعك. اعلم اولاً انهُ متى وُجِدت نعمة الله في القلب تولّد فيهِ صراخًا ضدَّ الخطية. وهمَّ

بتفصيل الوجه الثاني بعد الاول المذكور فاعترضهُ الامين وقال دعنا نستوفي الاول. فقد ارى ان الاولى في هذه العبارة ان يقال ان نعمة الله متى وجدت في القلب تظهر ذاتها باما لتها النفس الى كراهة الخطية. فقال واعجباهُ ما الفرق بين القولين. قال الفرق بينهما ان الانسان قد يصرخ ضد الخطية لغرضٍ ولكن لا يمكنهُ ان يكرهها الاَّ بقوةٍ مضادَّةٍ مقدَّسة. فاني سمعت كثيرين يصرخون ضد الخطية على المنابر ومع ذلك يحتملونها بلا ثقل في قلوبهم وبيوتهم وسلوكهم كما وقع لسيّدة يوسف التي صرخت باعلى صوتها كانها امرأةٌ عفيفةٌ وهي تشتهي الخنآء من كل قلبها[1] وكما يقع للام ان تصرخ ضد ابنتها وتشتمها بلسانها ويدُها في التماسها حتى تحتضنها وتقبّلها. فقال اراك قد وقفت لي بالمرصاد. قال لا ولكنني اريد

(١) تك ٣٩: ١٥

Digitized by Google

تصحيح العبارة فما هو الوجه الثاني الذي يظهر بهِ عمل النعمة في القلب. فقال هو معرفة الاسرار الانجيلية. قال قد كان ينبغي ان تقدّم هذا الوجه على ما قبلهُ ولكنهُ لا يصدق ايضًا على ما نحن فيهِ مقدَّمًا او موخَّرًا. لانهُ قد توجد معرفة عظيمة باسرار الانجيل حيث لا يوجد عمل النعمة في النفس فالانسان وان حصَّل كل معرفةٍ يمكن ان يكون ليس بشيءٍ وبالتالي ان لا يكون ابنًا لله[1] فان المسيح لما قال لتلاميذهِ اتعرفون كل هذه اجابوهُ نعم. قال لهم طوباكم اذا فعلتموها. لم يعلّق الطوبى على المعرفة بل على العمل لانهُ قد يوجد معرفةٌ غير مصحوبةٍ بالعمل وهي باطلةٌ كما نبَّه على ذلك السيّد المسيح بقولهِ ان الذي يعرف ارادة سيدهِ ولا يعمل بها يُضرَب كثيرًا[2] نعم ان المعرفة تُرضي اهل الكلام والافتخار ولكن العمل هو الذي

(١) ١كو١٣: ٢ (٢) لو١٢: ٤٧

يُرضي الله على انني لااقول ان القلب يمكن ان يكون صالحًا من دون هذه المعرفة ولكن المعرفة على نوعين احدهما ما ينظر في حقايق الامور نظرًا بسيطًا والثاني ما يصحب نعمة الايمان والحب ويحثُّ الانسان على عمل ارادة الله بالعزم والنيَّة. وهو المعوّل عليهِ في مرضاة الله بخلاف الاول فانهُ فكاهةٌ للمتكلمين. وقد نصَّ على ذلك داود النبي بقولهِ فهمّني فافحص ناموسك واحفظهُ بكل قلبي[1] فقال ما زلت لي في الكمين وهذا لا يؤول للبنيان. قال فحبّذا لو اتيت بعلامةٍ اخرى تُظهِر عمل النعمة. فقال كلَّا اني لااطمع في اتفاقٍ بيننا. قال ان كنت لاتريد فائذن لي في شرح ذلك. فقال الامر اليك. قال ان عمل النعمة في النفس يظهر لمن حصل عليهِ بجعلهِ اياهُ شاعرًا بالخطية وعلى الخصوص بدنس طبيعتهِ وخطية عدم

(١) مز ١١٨: ٣٤

الايمان التي لابد ان يعاقب بها اذا لم يجد رحمةً عند الله بالايمان بيسوع المسيح. فان نظرهُ الى ذلك وحسَّهُ بهِ يجعلهُ يُحزن ويخجل لاجل الخطية[1] وبهِ يجد مخلص العالم ظاهرًا فيهِ ويرى الضرورة الداعية الى الاتفاق معهُ الى انتهآء حياتهِ ويرى نفسهُ جايعًا وعطشانًا اليهِ طمعًا في نوال المواعيد السعيدة منهُ ويكون فرحهُ بهِ ومحبتهُ لبرّهِ ورغبتهُ في زيادة معرفتهِ وخدمتهُ اياهُ في هذا العالم على حسب قوة ايمانهِ او ضعفهِ. ومع كل ذلك لايقدر ان يختم بان هذا هو عمل النعمة الاَّ نادرًا لان فساد البشرة وعمى العقل قد يسيئان الحكم في مثل هذه القضية. ولذلك يلزم الانسان الحاصل على هذا العمل ان يدرك ادراكًا صحيحًا قبل ان يختم بان هذا هو عمل النعمة. وهذا العمل يظهر ممَّن

(١) مز٣٢: ١٦ ار٣١: ١٩ يو١٦: ٨ و٩ رو٧: ٢٤ مر١٦: ١٦ غل٢: ١٦ رؤ١: ٦

حصل عليهِ للآخرين بالاقرار الممتحن بالايمان بالمسيح والسيرة المطابقة لذلك الاقرار وهي قداسة القلب وقداسة تهذيب العيال اذا وُجِدَت وقداسة التصرُّف بين الناس. وهذه السيرة تحرّضهُ على كراهة الخطية من كل قلبهِ وبغض ذاتهِ لاجلها سرًّا ورفضها من منزلهِ واذاعة القداسة في العالم ليس بالكلام فقط كما يفعل المرآؤون بل بعمل الطاعة لقوة الكلمة في الايمان والمحبة[1] فان كان عندك ما تعترض بهِ والاَّ فلي سوالٌ اخر. فقال اما المقاومة فليس لي فيها اربٌ لكني اسمع فِسل ما بدا لك. قال هل اخبرت الجزء الاول من هذا الشرح وهل يشهد سلوكك وتصرفك هكذا ام تقوم ديانتك بالكلام لا بالعمل والحق. واذا شئت ان تجيبني فاناشدك ان لا تقول

(١) اي ٤٢:٥ و٦ حز ٣:٤٢ و٤٤ مت ٥:٨ يو ١٤:١٥ رو ١٠:١٠ حز ٣٦:٢٥ في ٣:١٧ الى ٢٠

لي اكثر مما تعرف ويشهد لك بهِ ضميرك والله يقول من العلى امين على ذلك . لان ليس من مدح نفسهُ هو المختبر بل من مدحهُ الرب[1] وفضلاً عن ذلك انهُ لعارٌ عظيمٌ ان اقول انا كذا وكذا وسلوكي يناقضني واهلي يكذبونني . فاحمرَّ وجه الرجل خجلاً وقال للامين اراك قد انتقلت الى الاختبار والاستشهاد بالضمير واستدعاء الله لاثبات حقيقة ما اقولهُ . وهذا مما لا تطيب بهِ نفسي فلا احبُّ الجواب عنهُ ولا يلزمني ذلك . ولئن كنت قد جعلت نفسك واعظاً فاني لا اجعلك عليَّ قاضياً ولكنني التمس منك ان تقول لي ماذا حملك على هذه المسائل . قال انما حملني عليها اني اراك تجري في كلامك عبثاً ولا ارى عندك شيأً سوى الاوهام الباطلة . وانا اقرُّ معترفاً اني سمعت عنك ان ديانتك ليست سوى تمييق الكلام وان

(١) ٢ كو ١٠ : ١٧

اعمالك تكذّب اقوالك وقد قيل عنك انك عارٌ
بين المسيحيين وان سيرتك الردية كادت تفسد
الديانة وان كثيرًا من الناس قد سقطوا في خطر
الهلاك بعثرة طرقك الملتوية فديانتك والسكر
والفسق والنميمة والحلف والكذب والعشرة الردية
وامثالهنَّ حزبٌ واحدٌ. وكما قيل في المثل عن المرأة
الفاجرة انها عارٌ لكل النساء يقال عنك انك عارٌ
لكل المعترفين بديانة المسيح. فقال اذا كنت هكذا
تصدّق كل ما سمعت وتقضي عبثًا على اخيك فلست
اهلًا ان تُخاطَب ولا تُصاحَب وانا استودعك الله.
ثم اعتزل بنفسهِ فتقدَّم المسيحي الى الامين وقال
كيف رايت صاحبك. اني قد انذرتك بهذا قبل ان
يكون لاني اعلم ان كلامك لا يمكن ان يتفق مع شهواتهِ.
وها هو قد رضي بترك صحبتك اكثر من اصلاح
سيرتهِ. فدعهُ يذهب حيث شاء ونرى بمن ننفع

الخسارة. والحمد لله الذي اراحنا من التعب في صحبتهِ لانهُ لو ثبت في رفقتنا لكان دنسًا لنا. والرسول يقول ابتعدوا من مثل هولاءِ[1] فقال اني قد سررت بالكلمات التي خاطبتهُ بها وان كانت يسيرةً لانهُ ربما ردَّدها في نفسهِ بعد الان فتكون موعظةً لهُ. وانا بريٌّ من دمهِ اذا هلك لانني اوضحت لهُ الحق علانيةً. قال انك قد احسنت بكلامك معهُ صريحًا فان هذا التصرُّف الامين لا يوجد في هذا العصر الاَّ قليلاً ولذلك صارت الديانة رايحة كريهة عند كثيرين لان هولاي الاغبيا الذين ديانتهم بالقول فقط وسيرتهم باطلة وردية هم الذين بمداخلتهم بين الاتقيا يشوشون افكار اناس ويعيبون الديانة الحقيقية ويحزنون الضمائر السليمة. فيا ليت كل الناس يعاملون مثل هولاءِ هكذا فيقوّموا طرقهم او يجتنبوا معاشرة

(١) ١ تي ٦: ٥

الابرار. ثم انشد يقول شعرًا

تكبّر المنطيق واستطالا ... وقال عن جرآةٍ ما قالا
قد اطمعتهُ نفسهُ محالا ... يسوق مثل الإبل الرجالا
حتى تلقّاهُ الامين حالا ... يبيّن الآثار والافعالا
فاجفل الخبيث واستحالا ... كالبدر عاد بغتةً هلالا

قال صاحب الرؤيا وانطلق المسيحي والامين بعد ذلك يتحدثان في ما كانا قد نظرا في طريقهما وبذلك هان عليهما قطع تلك القفار التي خرجا اليها والتهيا عن الملل من طول مسافتها حتى انتهيا الى اطرافها. فالتفت الامين الى ورآيهِ واذا برجلٍ مقبلٍ عليهما فعرفهُ وقال للمسيحي هل تعرف من هذا القادم علينا. فتفرّس فيهِ المسيحي وقال هذا حبيبي الانجيلي. فقال الامين وهو حبيبي ايضًا لانهُ هو الذي سلّمني طريق الباب الضيّق. ولم يكن الا قليلٌ حتى ادركهما الانجيلي وقال السلام عليكما وعلى مساعديكما يا حبيبيَّ المخلِصين. فقال المسيحي اهلاً وسهلاً بك ايها الانجيلي

الصالح ان رؤيتك تذكّرني جميلك السابق عليّ وتعبك من اجل خيراتي الابدية. وقال الامين مرحبًا بك ايها العزيز وبصحبتك المرغوبة عند امثالنا من اهل السياحة المساكين. فقال الانجيلي اهّلكما الله لراحتهِ وسهّل طريقكما اليهِ فماذا لقيتما بعد افتراقنا وكيف سلكتما. فاخبراهُ بكل ما كان لهما. فقال بارك الله فيكما لقد سررت جدًّا لا بما كابدتما من المشقات ولكن بانتصاركما على مكايد الاعداء وثباتكما مع ضعفكما الى هذا اليوم. ولا جَرَمَ ان ذلك من مسرّتي لنفسي ايضًا لاني انا زرعت وانتما حصدتما وسياتي اليوم الذي بهِ يفرح الزارع والحاصد معًا[1] فاننا اذا لم نملّ الان سيكون لنا وقت نحصد فيهِ ولا نملّ ايضًا[2] وان الاكليل امامكما وهو عديم الفساد فاسرعا لتنالاهُ[3] فان بعض الناس يبادرون لينالوا هذا الاكليل وبعد

(١) يو ٤:٣٦ (٢) غل ٦:٩ (٣) اكو ٩:٢٤ الى ٢٧

ان يتقدَّموا كثيرًا يدخل غيرهم وينزعهُ منهم. فاحرصا على احراز نصيبكما ليلاَّ ياخذ احدٌ اكليلكما[١] لانكما الان لم تأمنا غايلة سهام الشيطان ولم تبلغا سفك الدم في جهاد الخطية فاجعلا الملكوت نصب اعينكما دايمًا وآمنا بالحقايق الغير المنظورة ايمانًا وطيدًا ولا تدعا شيئًا من وساوس هذا العالم يداخلكما واحذرا قبل كل شيءٍ من قلبيكما وشهواتهما لان قلب كل ذي بشرةٍ جامحٌ غير مأمونٍ[٢] واجعلا وجهكما كصخرةٍ صلبة فتكون لكما كلُّ قوةٍ في السماء والارض. فشكراهُ واثنيا عليهِ وقالا انك قد ساعدتنا بكلامك الصالح ونريد ان لا تقطع عنا هذه المساعدة في بقية طريقنا هذه. فقال حبًّا وكرامةً ياخلبيَّ قد سمعتما كلمة حق الانجيل القائلة انهُ بشدايد كثيرة ينبغي لنا ان ندخل الى ملكوت الله[٣] واعلما ان كثيرًا من البلايا والشدايد مُعَدٌّ لكما

(١) رؤ ٣: ١١ (٢) ار ١٧: ٩ (٣) اع ١٤: ٢٢

في كل مدينةٍ تاتيانها[1] فلا سبيل لكما الى الطمع في
ان يفوتكما شيءٌ من ذلك على كل حال. وقد اصابكما
بعض هذه النوايب شاهدًا على العواقب الأُخَر
وسيفاجيكما اكثر من ذلك. فانكما ستقدمان على
مدينةٍ اما مكما وتحيط الاعداء بكما وتضيّق عليكما طالبةً
قتلكما. ولابد ان يختم احدكما شهادة ايمانهِ بسفك دمهِ.
واما انتما فكونا امينين حتى الموت ويعطيكما الملك
اكليل الحيوة[2] ومن مات هناك وان كان موتهُ
بالسيف عن آلامٍ شديدةٍ فان نصيبهُ يكون افضل
من نصيب صاحبهِ لانهُ يصل الى الملكوت السماوي
عاجلاً. وفضلاً عن ذلك يسلم من تجارب كثيرة يلقاها
الاخر في ما بقي من سفرهِ. واذا وصلتما الى هذه المدينة
واصابكما فيها ما انذرتكما بهِ فاذكرا صديقكما وتشجّعا
وتجلّدا واستودعا الله روحيكما بالاعمال الصالحة

(١) اع ٢٠: ٢٢ (٢) رؤ ٢: ١٠

قال ثم رايتهما يركضان حتى خرجا من تلك القفار واقبلا على تلك المدينة وكان يقال لها مدينة البطل وفيها سوقٌ يقال لها سوق الاباطيل تفتح كل يومٍ في السنة . وانما قيل لها ذلك لان المدينة وكل ما يباع هناك وكل ما يُجلَب الى هناك باطل[1] وهذه السوق قديمة العهد وذلك انهُ من مدة خمسة الاف سنة كان قومٌ من اهل السياحة منطلقين الى المدينة السماوية مثل هذين الرجلين ونظر بعلزبوب وابوليون ولاجاون وزمرتهم ان الطريق التي يسلكها

(١) جا ١١ : ٨ و١ : ٣ و١٤ و٣ : ١١ و١٧ اش ٤٠ : ١٧ ان سوق الاباطيل رمزٌ عن هذا العالم وتملُّقاتهِ الخادعة . ولا يخفى ان كرامة هذا العالم وغناهُ ولذاتهِ واباطيلهُ تتراءى غالبًا للناس كانها من الذخائر المعتبرة فتجذب قلوبهم اليها وتقتنصهم باشراكها . ومن ثمَّ تستعبدهم فلا يُعتَقون من اسرها الاَّ بعنايةٍ خصوصية من الله . وفضلاً عن ذلك ان ابليس المحال الذي هو اله هذا العالم يحاول على الدوام ان يجذبنا اليهِ لنكون من اصحابهِ ونشاركهُ في نصيبهِ اعاذنا الله

هولاء القوم لابد ان تمرَّ في وسط هذه المدينة فاقاموا فيها سوقًا يُباع فيها كل صنفٍ من الاباطيل الدنيوية كالبيوت والاراضي والبلدان والممالك والمتاجر والوظائف والكرامات والمراتب والشهوات والتنعمّات واللذّات المختلفة والمقتنيات المتنوّعة كالفواجر والزوجات والازواج والاولاد والسادات والعبيد والدماء والاجساد والانفس والذهب والفضة والدرر والحجارة الكريمة وكثيرٌ غير ذلك من فنونٍ شتّى. ويوجد ايضًا دايمًا في هذه السوق السحر والمكر والسكر والمراسح ولعب القمار والخلاعة والغشّ وامثال ذلك. وهناك يُرى ايضًا مجانًا السرقة والقتل والزناء والاقسام الكاذبة وما اشبه ذلك. وكما يوجد في الاسواق الأُخَر ازقّةٌ وحوانيت منسوبةٌ الى طايفةٍ او بضاعةٍ ما كذلك يوجد هناك ايضًا. فهنا زقاق للانكليز وهناك لفرانسا واخر لايطاليا وكذا اسبانيا

والنمسا والروم والترك والعرب والعجم وبقية الطوايف. وفي كل مكان يُباع صنفٌ من الامتعة المذكورة يطابق رغبة المشترين من اي طايفةٍ كانوا. والطريق الى المدينة السموية مبسوطة في وسط هذه السوق لايمكن العابرين ان يحيدوا عنها. فمن اراد السفر الى المدينة ولم يرد ان يمرَّ بهذه السوق يضطرُّ ان يخرج من الدنيا[1] لان ملك الملوك نفسهُ لما كان في هذا العالم عبر هذه المدينة الى بلدتهِ وجاز في وسط هذه السوق. وقد بلغني ان بعلزبوب رئيس هذه السوق الاعظم عرض عليهِ ان يشتريهِ من بضايعهِ واراد ان يجعلهُ ربَّ السوق واعتبارًا لجلالتهِ اخذهُ وطاف بهِ جميع الاسواق واراهُ كل ممالك العالم في برهةٍ يسيرة لعلَّهُ يغريهِ ذاك المغبوط ان يسوم ويشتري شيئًا من اباطيلهِ. اما هو فلم يحفل بتلك

(١) اكو٥: ١٠

التجارة ولذلك خرج من المدينة ولم يصرف ولا فلسًا واحدًا على هذه الاباطيل[١] والنتيجة ان هذه السوق قديمة الوجود ومعتبرة جدًّا

قال ولما كان لابدَّ لهذين السايحين من عبور تلك السوق دخلا في وسطها فنهض عليهما كل من فيها واضطربت منها المدينة باسرها لانهم انكروا زيَّهما المخالف لزيّ التجار الذين في السوق. فكانوا يتفرسون فيهما وبعضهم يقول انهما احمقان وبعضهم انهما مجنونان والبعض انهما اجنبيان[٢] ولم يكونوا يفهمون كلامهما الاَّ قليلاً لانهما كانا يتكلَّمان بلغة كنعان واصحاب السوق من اهل هذا العالم. فكانا يُريان من اول السوق الى اخرها كانهما بربريان[٣] وكان القوم يستغربون منهما اكثر من كل ذلك استخفافهما بهذه البضايع المعتبرة عندهم لانهما كانا لا يباليان حتى ولا

(١) مت ٤:٨ الى ١٠ لو ٤:٥ الى ٨ (٢) اي ١٢:٤ و١ كو ٤:٩ (٣) ١ كو ٣:٧ و٨

بالنظر اليها واذا دعاها احدٌ ليشتريا منها يضعان اصابعهما في اذانهما ويقولان اردد عينيَّ ليلاَّ تعاينا باطلاً[1] ويرفعان اعينهما الى فوق يريدان بذلك ان تجارتهما وامتعتهما في السماء[2] وبينما هما يمشيان في السوق تعرَّض لهما رجلٌ وقال على سبيل المداعبة لهما ماذا تريدان ان تشتريا. فنظرا اليهِ نظر الوقار وقالا اننا نشتري الحق[3] فهاجت عليهما الناس وكان بعضهم يهزأ بهما والبعض يشتمهما والبعض يطعن عليهما والبعض يحثُّ على ضربهما حتى حدث من جرَّاء

(١) مز ١١٨: ٣٧ (٢) في ٣: ٢٠ و ٢١ ان في المسيحي ثلثة امور لا يطيق العالم ان يحتملها فيهِ وهي اولاً ثوبهُ الذي هو كنايةٌ عن تبرُّرهِ ببرِّ المسيح. ثانياً كلامهُ اي اخبارهُ عما عمل الله فيهِ من عظايم الامور وشعورهُ بان خطاياهُ قد غُفِرَت لهُ مجانًا واشتراكهُ مع الله بالمسيح. ثالثًا مضادَّتهُ لسيرة العالم الرديَّة واعمالهِ السيئة وعوايدهِ الخبيثة. ومن ثمَّ يكون المومنون بالحق ضحكةً وعارًا عند الدنيويين وكثيرًا يمحنونهم بالنجارب والبلايا واحيانًا يميتون بعضهم اشرَّ ميتةٍ بعد تعذيبهم العذاب الاليم (٢) ام ٢٣: ٢٢

Digitized by Google

ذلك شغبٌ عظيمٌ في السوق وتشوّش ما كان فيها من النظام. وبلغ الخبر الى الرئيس فحضر وامر بالقبض عليهما ليكشف عن امرهما. فاخذوهما وسألوهما من اين اتيتما والى اين تذهبان وماذا تصنعان هنا. فاجاباهم انهما سائحان غريبان ذاهبان الى بلدتهما اورشليم السماويّة[1] وقالا اننا لم نعمل سببًا لاهل المدينة وتجّارها حتى يهينونا ويصدُّونا عن سياحتنا سوى اننا لما سُئلنا ماذا نريد ان نشتري قلنا اننا نريد ان نشتري الحقّ. هذا وان القوم لم يصدّقوا سوى ان ذلك جنونٌ منهما او خبثٌ يلبلان بهِ اهل المدينة فضربوهما ولطخوهما بالاوحال وحبسوهما في قفص ليكونا فرجةً لكل اهل السوق. فاقاما على ذلك مدةً وكانا موضوعًا للهزءِ والشتيمة وكان رئيس السوق لا يزال ضاحكًا بكل ما اصابهما. واما هما فكانا صبورَين يحتملان الشتائم

(١) عب ١١: ١٣ و ١٦

ويباركان من يلعنهما ويقابلان الكلمات الخبيثة بالطيّبة ويكافيّان المنكر بالمعروف[1] حتى رثى لهما بعض الجماعة ممن كانوا اكثر فطنةً واقلّ تعصّبًا عليهما واخذوا ينهون اراذل الناس عنهما ويلومونهم لاجل المواظبة على اهانتهما. فثار عليهم هولآء بغضبٍ شديدٍ وقالوا انكم اشتركتم معهما في الخبائث وسوف تشاركونهما في المصائب. فقالوا اننا نرى هذين الرجلين قد دخلا بالهدوء والوقاية ولم يَمسَّ احدًا ضررٌ منهما ونحن نعلم ان بين هولآء التجار الذين في السوق كثيرًا من الناس يستحقّون ان يُسجَنوا في القفص بل ان يُقيَّدوا بالقيود اكثر منهما. فاغلظ اوليك في الجواب واشتدَّت الفتنة بينهم حتى ضرب بعضهم بعضًا

(١) كما ان الروح العالمي المضادّ لروح المسيح يجلب افتراءً على اسمهِ واحتقارًا لدعوتهِ ولا يصدر منهُ شيءٌ من الخير للآخرين بعكس ذلك الروح التقويّ الموافق لروح المسيح يجلب الاكرام لاسمهِ ودعوتهِ وتصدر منهُ خيراتٌ لا تُحصَى لانفس الآخرين

واصاب كلٌ صاحبهُ بمكروهٍ . واما ذانك السائحان فكانا يلزمان السكوت بالحكمة والرصانة وبينما هما كذلك دخلوا عليهما واحضروهما الى ديوان الفحص فحكم عليهما بالقصاص بناءً على انهما كانا سببًا لهذه الفتنة التي حدثت في السوق فضربوهما ضربًا مؤلماً واوثقوهما بالاغلال وطافوا بهما في جميع الشوارع ليكونا قضيب ادبٍ لمن يتعصَّب لهما او يلتصق بهما . واما هما فكانا يتصرفان باكثر حكمةٍ ويقبلان ما يصيبهما من العار والخزي بالتواضع والصبر حتى مال اليهما بعض اهل السوق وان كانوا قليلين بالنسبة الى البقية . الاَّ ان ذلك كان سببًا لاشتداد غضب الاخرين حتى حتموا بقتلهما وقالوا لهما ان هذا التأديب لا يقوم بحقكما ولكن يلزمكما القتل على الشر الذي احدثتماهُ في المدينة وعلى اخداعكما اهل السوق . وحينئذٍ أرجعوهما الى القفص حتى يخرج الحكم عليهما .

Digitized by Google

فاقاما كذلك يتجلّدان وذكرا ما سمعاهُ من صديقهما
الانجيلي فتشجّعا وتشدّدت عزائمهما على احتمال تلك
الاهوال . وقال احدهما للاخر من كان نصيبهُ الآلام
فسيكون حظهُ السعادة . فكان كلٌّ منهما يريد ذلك
الحظ ولكنهما سلّما امرهما الى عناية الله الكلّي الحكمة
الذي يسود على كل شيءٍ . فثبتا على الحالة التي كانت
لهما بالقبول والصبر الجميل حتى يتمّ امرهما . ولمّا حضر
وقتهما اخرجوهما الى دار القضاء . وتواثبت اخصامهما
لدى القاضي وكان يقال لهُ السيّد عدوُّ الخير فرفعوا
اليهِ دعواهم وكان مضمونها ان هذين الرجلين ممن
يقاومون التجارة ويعيبونها وانهما قد احدثا سجسًا
وانشقاقًا في المدينة واجتذبا جماعةً من الشعب الى
آرائهما المهلكة مزدرِيين بشريعة ملكهم [1] فقال الامين

(١) ان هذه الدعوى قد ادّعى بها اناسٌ في جميع الاجيال
لاجل اضطهاد المسيحيين بالحق . فكنت ترى الذين بشّروا
ابتداءً بديانة المسيح يُشكى عليهم بانهم قد سجسوا الجماعات واضلّوا

انني لم اقاوم الاَّ من يقاوم العليَّ . واماَّ الشغب فلم افعل شيئاً من اسبابهِ لانني من اهل السلامة . والذين مالوا الينا فقد جذبهم ما رأوهُ من عدلنا وبرارتنا فتمسَّكوا بالافضل . واما الملك الذي تذكرونهُ فلأنهُ هو بعلزبوب عدوُّ ربنا فاني ارفضهُ وازدري بهِ وبجميع ملايكتهِ . فاشتدَّ غضب الجميع من هذا الكلام واطلقوا النداء في شوارع المدينة ان كل من عندهُ شهادة لسيدهِ الملك على هذا الرجل فليحضر بها ويقدّمها في المجلس الشرعي . فحضر ثلثة شهود وهم الحسد والوسوسة والمكر . ولما دخلوا الى المجلس سُئِلوا عن ذلك المسجون هل يعرفونهُ وماذا يشهدون عليهِ . فتقدّم الحسد وقال اني اعرف هذا من زمانٍ طويل . وهو ولو كان لهُ اسمٌ حسنٌ يُعَدُّ من احقر اهل بلد تنا

الشعب . ولا يخفى على من يطالع تواريخ البيعة ان الصالحين في كل جيلٍ كانوا يُقذَفون بانهم محتالون موسوسون للامَّة مسبّبون للفتنة واعداء لقيصر ونحو ذلك من الشكايات

لانهُ لا يعتبر الملك ولا الشريعة ولا العادة بل يحتال بكل ما يمكنهُ حتى يملك الناس ببعض تخييلاتهِ الفاسدة التي يدعوها مبادئ الايمان والقداسة. وقد سمعتهُ يقول ان الافعال المسيحية وعوائد مدينتنا اضدادٌ على الخط المستقيم لا يمكن اتفاقها ابدًا. وبهذا الكلام لا يحكم على افعالنا الحميدة فقط بل علينا ايضًا بفعلنا اياها. فقال القاضي وهل عندك شيءٌ تقولهُ غير هذا. قال يا مولاي اني استطيع ان اقول اكثر ولكنني اخاف ان تضجر المحكمة من كثرة الكلام. اما اذا اقتضى الامر فبعد ان يقدّم هذان الرجلان شهادتهما ازيد على ذلك بقدر ما ينبغي لاثبات الحكم عليهِ. فامرهُ القاضي ان يقف جانبًا ودعا صاحبهُ الذي يُقال لهُ الوسوسة واشار الى ذلك المسجون وقال ما عندك من الشهادة عليهِ. فقال يا سيدي انني لم اعاشر هذا الرجل ولا اريد ان تكون لي معرفةٌ كثيرة

بهِ . واما الشهادة التي عندي فهي انني منذ ايام خاطبتهُ قليلاً فظهر لي انهُ رجل منافق لانني حينئذٍ سمعتهُ يقول ان ديانتنا فاسدة حتي لا يمكن الانسان ان يرضي الله بها اصلاً . ولا يخفى على سيّدي ان الحاصل من ذلك اننا نعبد عبادة باطلة واننا لم نزل بخطايانا واننا سنهلك اخيرًا وهذا هو الذي اشهد بهِ عليهِ . فاوقفهُ القاضي الى جانب صاحبهِ ودعا بالآخر الذي يقال لهُ المكر واستشهدهُ كذلك فقال يا سيّدي انني قد عرفت هذا الرجل من زمان طويل وسمعتهُ يتكلّم بما لا يليق لانهُ شتم رئيسنا الشريف بعلزبوب وهزأ باصحابهِ الكرام الذين يقال لهم الانسان القديم والشهوة الجسدية واللذّة الدنيوية والمجد الباطل والشراهة والطمع وبقية اكابرنا . وقال لو ان الكل يوافقونهُ على ارادتهِ لما كان يُبقي احدًا من هولاء الاشراف في هذه المدينة . وفضلاً عن ذلك قد تجاسر

على شتمك يا مولانا وسمّاك خبيثًا شقيًا وناهيك عن شتائمهِ وطعنهِ في اكثر اشراف مدينتنا

قال ولما فرغ المكرمن تقديم الشهادة التفت القاضي الى المدّعَى عليهِ وقال لهُ هل سمعت ايها المنافق الهرطوقي الخبيث ما شهد بهِ عليك هولاء الاشراف. فقال الامين هل يُؤذن لي ان ادفع عن نفسي بكلماتٍ تبرّرني. قال اخرس ايها الخبيث انك مستوجب القتل حالاً في هذا المجلس ولكن لكي يظهر للجميع حلمنا عنك ناذن لك في الكلام. فقال انني اجيب اولاً عما قالهُ الشاهد الاول انني لم اقل شيئًا غير هذا وهو ان كل السنن والشرايع والعادات والشعوب التي تضاد كلمة الله هي مناقضةٌ للديانة المسيحية. فان كان قولي هذا قبيحًا فاظهروا زللي وانا حاضرٌ ان اقرَّ بهِ لديكم. ثم اجيب ثانيًا عما قالهُ الثاني انني لم اقل شيئًا سوى هذا وهو انهُ لا يمكن لاحدٍ ان يعبد الله بدون

Digitized by Google

ايمان الهي ولا يكون ايمان الهي من دون وحي الهي ينبئ عن مشيَّة الله فلذلك كل ما يدخل في عبادة الله وهو غير موافق للوحي الالهي لا يمكن ان يكون الاَّ من الايمان البشري وهذا الايمان لا يفيد للحيوة الابدية . واما ما شهد بهِ الثالث عليَّ من امر الشتم والمذمَّة فاتركهُ واقول ان ملك هذه المدينة وجميع اعوانهِ الذين ذكرهم هذا الشاهد يستحقون ان يكونوا في جهنم اكثر من ان يكونوا في هذه المدينة . اقول هذا واسال الله الرحمة . فنظر القاضي الى جلسائهِ وقال قد رايتم هذا الرجل الذي حدث بسببهِ ما حدث من الشغب في هذه المدينة وسمعتم ما شهد بهِ عليهِ هولاء الثقات وما اجاب بهِ . فبماذا تقضون عليهِ واي ميتةٍ ينبغي ان يموت . فان فرعون العظيم عبد ملكنا ليلاَّ تكثر اضداد ديانتهِ امر في ايامهِ ان تُطرَح ذكورهم في النهر[1]

(١) خر ١ : ٢٢

وبخنصر المعظَّم خادم ملكنا امر ان كل من لا يسجد لصنمهِ الذهبي يُلقَى في اتون النار المشتعلة[1] وكذلك قد برز امرٌ في ايام داريوس الملك ان كل من طلب طلبةً من الهٍ او انسانٍ غيرهِ الى ثلثين يومًا يُطرَح في جب الأُسُود[2] وقد علمتم ان هذا العاصي قد خالف سنَّة هذه الشرايع قولاً وعملاً. ولا يخفى ان فرعون كان يطرح اعداءَ دينهِ في النهر خوفًا من تشويشٍ يكون منهم في ما بعد فضلاً عن قصاص الذنب الحاضر كما في قضية هذا الخبيث فماذا ترون. فاعتزل ارباب المجلس ناحيةً وهم العمَى وعدم الخير والحقد وحب الشهوة والتراخي والعناد والعظمة والعداوة والكذب والقساوة وبغض النور والرجز وتداولوا سرًّا في امرهِ ثم اجمع رايهم على اثبات الحكم عليهِ امام القاضي. فتقدَّم اوَّلهم العمَى وقال اني ارى

(١) دا ٣:٦ (٢) دا ٦:٧

جليًّا ان هذا الرجل هرطوقي. وقال عدم الخير من كان مثل هذا يباد من الارض. وقال الحقد نعم لاني ابغض منظرهُ. وقال حب الشهوة اني لااقدر احتملهُ. وقال التراخي وانا كذلك لانهُ دايما يعيب اعمالي. وقال العناد اسرعوا في قتلهِ. وقال العظمة من هو هذا الصعلوك حتى يزدري بنا. وقال العداوة ان قلبي يتحرك ضدهُ. وقال الكذب انهُ خاينٌ غشاشٌ. وقال القساوة لو قطَّعناهُ أربًا لما وفينا حق عذابهِ. وقال بغض النور لتخلص منهُ. وقال الرجز لو ملَّكني الدنيا باسرها لم اقدر ان اتَّفق معهُ فلنقضِ اذًا عليهِ بالموت حالاً. وحينئذٍ حكموا بردِّهِ الى المكان الذي اتى منهُ وقتلهِ هناك اشرَّ قتلةٍ. وعلى هذا اخرجوهُ ليفعلوا بهِ حسب سنَّتهم فجلدوهُ اوَّلاً ثم لطموهُ ثم رجموهُ بالحجارة ثم قطَّعوهُ بالسيوف ثم احرقوهُ بالنار حتى صار رمادًا فهكذا انتهت حيوة الامين

قال صاحب الرؤيا ثم رايت اني انظر واذا بمركبةٍ ورآءَ الجموع يجرُّها فرَسان وهي تنتظر الامين الى ان قتلتهُ اعداؤهُ . فما رايتهُ الاَّ وهو قد استوى عليها وللوقت ارتفعت بهِ الى السحاب بصوت البوق آخذةً بهِ في الطريق الاقرب الى الباب السماويّ . واما المسيحي فوقعت فترةٌ في امرهِ وعاد الى السجن فمكث حينًا هناك والله الضابط في يدهِ كل موامراتهم جعل لهُ مخرجًا ونجا من سجنهِ . فاشتدَّ يركض وفي طريقهِ وانشد يقول شعرًا

نِعِمَّا ايها العبد الامينُ ... وفيتَ وان مثلك لا يخونُ
لقد ناديت باسم اللهِ جهرًا ... فانت مباركًا معهُ تكونُ
اذا الكفّار ناحوا في جحيمٍ ... فكن متهللاً ولك اليقينُ
لأنّ تكُ قد قُتِلتَ فانت حيٌّ ... وذكرك في الصحائف مستبينُ

قال ثم رايت المسيحي يركض وفي اثرهِ رجلٌ يقال لهُ الراجي . وكان هذا الرجل قد لاحظ سلوك المسيحي والامين وسمع كلامهما ورأى اهانتهما في السوق

Digitized by Google

وثباتهما على الادب والرصانة. فاعجبهُ ذلك والتصق بالمسيحي وعاهدهُ عهدًا اخويًّا وسالهُ الدخول في صحبتهِ. وهكذا مات الواحد ليشهد للحق وقام من رمادهِ آخر ليكون رفيقًا للمسيحي في سياحتهِ[1] وبينما هما يمشيان قال الراجي للمسيحي يا اخي انهُ يوجد كثيرون ممن في السوق يريدون ان يكون لهم فرصة ليتبعونا. وكان بين ايديهما في الطريق رجلٌ يقال لهُ المداجي ادركاهُ يريدان رفقتهُ وقالا لهُ من اي بلدٍ انت يا صاح والى اين تذهب. فقال قد اتيت من مدينة الفصاحة وانا منطلق الى المدينة السموية ولم يعرّفهما باسمهِ. فقال لهُ المسيحي من مدينة الفصاحة انت وهل يوجد هنا احد صالح. فقال نعم كما ارجو. قال التمس منك يا سيدي ان تعرفني باسمك. فقال انا غريب عندكما

(١) ان دم الشهداء بذارٌ في الكنيسة لان الآلام التي يحتملها مثل هؤلاء بصبرٍ هي من اقوى المواعظ فعلاً واكثرها نفعًا للذين يعتبرونها

وانتما غريبان عندي فان كنتما ذاهبَين في هذه الطريق
فانا اسرُّ جدًّا برافقتكما والاَّ فانا اكتفي بنفسي . قال
قد سمعت بهذه المدينة واظن قد قيل انها غنية . فقال
نعم هي كذلك ولي فيها اقرباء كثيرون اغنياء . قال
اسالك ان تخبرني من هم اقرباؤك ولو كان ذلك
فضولاً مني . فقال ان اكثر اهل المدينة اقرباءي
ولا سيما السيّد متقلِّب والسيّد فصيح والسيّد خادم
الزمان وهو الذي انتسبت المدينة في التسمية الى
جدودهِ واللبّن والمحابي وذو اللسانين وهو كاهن
المدينة وابن خالي . والحق اقول لك اني ذو نسبٍ
جليلٍ الاَّ ان ابي كان قذّافًا ينظر الى جهةٍ ويقذف
الى اخرى وانا قد وصلت الى ما انا عليهِ بهذه المهنة .
قال هل انت متزوّج . فقال نعم وامراتي فاضلة بنت
امراة فاضلة يقال لها المزوّرة وهي من اهل بيتٍ شرفاء
في الغاية ولها اخلاقٌ مرضيَّة تسلك مع كل احدٍ على

حسب حالهِ وهواهُ وهذا هو الصواب. ونحن نفرق في الديانة عمن يتمسكون جدًّا بها في وجهين يسيرين الاول اننا لا نضادُّ الربح في مسيرنا بين الناس والثاني اننا نغار على الديانة حينما تمشي باثوابها البهية ونحب ان نزفَّها في الشوارع اذا كان الزمان صافيًا والناس يتلقَّونها بالكرامة[1] فمال المسيحي الى نحو الراجي منفردًا وقال لهُ يا اخي يلوح لي ان هذا الرجل هو المداجي وان كان كذلك فبئس الرفيق. قال سلهُ عن اسمهِ فانا اظن انهُ لا يستحي بهِ. فعاد اليهِ المسيحي وقال لهُ يا مولاي اني اراك تتكلَّم كانك تعرف اشياءَ لا يعرفها غيرك من جميع الناس فان صدق توسُّمي فقد عرفتك. أَلست الذي يقال لهُ المداجي. فقال

(١) ان المداجي كان يسلك بحسب اقتضاء الوقت وهو رجلٌ دنيوي خالٍ من كل ميلٍ الى جانب الله وقد علَّق قلبهُ بالامور الدنيويَّة كما نرى كثيرًا من الناس الذين لا يريدون ان يخسروا صيتهم او ربحهم او راحتهم الدنيويَّة لاجل محبَّة المسيح.

نعم ليس هذا اسمي ولكن البعض من اعدآءي لقّبني بهِ فيجب عليَّ احتمالهُ كعارٍ لي مثلما احتمل بعض اناس صالحين عارهم قبلي. قال نعم ولكن أما جعلت سبباً للناس حتى يدعوك بهذا الاسم. فقال حاشا وكلاَّ غير انهُ كان نصيبي دايمًا ان يتّفق رآءي مع حالة الزمان الحاضر كيفما كانت وحصل لي من ذلك ربحٌ. ولكن اذا كانت الخيرات تاتيني عفوًا فاحسبها نعمةً فلا يُعيبني الخبثآء بمثل هذا. قال قد اصاب ظني انك الرجل الذي سمعت عنهُ ولاريب ان هذا الاسم يليق بك اكثر مما تريد ان تسلّم بهِ. فقال اذا كنت تعتقد هكذا فليس لي حيلة في دفع هذا الوهم عنك ولعلكما اذا سمحتما لي بمصاحبتكما تجداني نعم الصاحب. قال ان كنت تريد صحبتنا يجب عليك ان تجري ضد الريح خلافًا لرايك وعادتك وتغار على الديانة وهي تمشي في الاثواب البالية كما تغار عليها وهي في الاثواب البهية

وتمشي معها وهي مغلولةٌ بالسلاسل كما تمشي معها وهي مزفوفة في الشوارع. فقال لا ينبغي ان تحكم في ايماني ولا تتسلط عليهِ ولكن دعني على حريتي امشي معكما في الطريق. قال لا تخطو معنا خطوةً واحدة ما لم تفعل في ذلك كما نفعل نحن. فقال انني لا اترك مذهبي القديم ولا انقض عادتي المفيدة. فان كنتما لا تدعانني ارافقكما امشي وحدي كما كنت قبل ان ادركتماني حتى يدركني من تسرُّهُ صحبتي (١)

قال وحينئذٍ رايت المسيحي ورفيقهُ قد سبقاهُ. ثم التفت احدهما الى ورآيهِ فراى ثلثة رجال يتبعون المداجي حتى ادركوهُ فحيَّى بعضهم بعضاً بالسلام. وكان يقال لاحدهم المتمسك بالدنيا وللاخر محبُّ المال وللاخر شديد الطمع. وكان المداجي يعرفهم

(١) انظر كيف ان هذين السابحين سلكا بحكمةٍ مع المداجي الماكر ولم يحكما عليهِ بالخبث الاَّ بعد ان تقرَّر لهما حالهُ بالحقيقة وحينئذٍ وعظاهُ وتركاهُ في الحال كما تقتضي وصيَّة المحبَّة الاخويَّة

قديمًا لانهم كانوا جميعًا في مدرسة واحدة يتعلمون عند استاذٍ يقال لهُ الحرص وهو استاذ مدرسةٍ في بلدٍ يقال لها محبة الربح في معاملة البخل في الجهة الشمالية. وهذا الاستاذ علَّمهم صناعة الربح سواءٌ كان بالاغتصاب ام بالغش ام بالتمليق ام بالكذب ام بالتدليس في الديانة. وهولاءِ الاربعة قد تعلَّموا كثيرًا من صفات معلمهم حتى صار كل واحدٍ منهم قادرًا ان يفتح مثل هذه المدرسة بذاتهِ

قال ولما سلَّم كل واحدٍ منهم على صاحبهِ قال محبُّ المال للداجي مَن هذان الماشيان قدامنا في الطريق. فقال هما رجلان من بلدةٍ بعيدة سايحان سياحة كهواهما. قال تبًّا لهما لماذا لم ينتظرانا حتى كنا نرافقهما لاننا جميعًا منطلقون للسياحة. فقال انهما متصلِّبان جدًّا يتمسكان باوهامهما السخيفة ولا يعتبران آراءَ الغير. فان صحبهما رجلٌ صالحٌ كالملائكة ولم

يوافقهما في تلك الاوهام يمتنعان عن مرافقتهِ. قال شديد الطمع انها طريقة رديَّة ونحن قد قرأنا في الكتب عن اناسٍ يتناهون في العبادة اكثر مما يلزم وذلك التناهي يجعلهم يدينون الجميع ويحكمون على كل من سواهم بالغلط. غير اني اسالك ان تقول لي ما هي الامور التي جرى الخلاف بينكم فيها[1] فقال انهما قد حتما على مقتضى عنوّهما انهُ يجب عليهما ان يعتسفا في سفرهما كل وقتٍ واما انا فاحب ان اجري مع الريح. وهما يخاطران بكل شيءٍ لاجل الله وانا اراعي حفظ حياتي وصلاح حالي. وهما يتمسكان باوهامهما ولو كان العالم كلهُ يضادُّهما وانا اتمسك من الديانة بما يناسب الزمان والمكان. وهما يلازمان الديانة وهي

(١) ان من يحفظ رسوم الديانة كما يجب ويتناهى في ذلك يلومهُ اهل زمانهِ لانهُ يتمسَّك بعوايد مخالفة لعوايدهم. واما من يترك هذه الطريقة فانهُ يسرُّ الناس الدنيويين ولا يلومهُ احدٌ منهم لانهُ يكون من حزبهم

في الثياب البالية تحت اجنحة الظلمة والمذلّة وانا
الازمها وهي في الثياب المزخرفة تحت الوية الضيآء
والابتهاج. فقال المتمسك بالدنيا نعمًا تفعل يا ايها
الرجل الحاذق لاني لا احسب من لهُ الحرّية في حفظ
ما يملك وهو يذهب ويبدّدهُ بجهلهِ الاّ احمق فلنكن
حكمآء كالحيّات. والافضل ان نجتني الزهر في اعتدال
الربيع. وانت ترى كيف تستريح النحلة كل الشتآء
وتهتمُّ حينما تستطيع ان تجتني بلذةٍ. فان الله يرسل
احيانًا مطرًا واحيانًا صحوًا. وان كان هذان الرجلان
في هذا المقدار من الجهل حتى يسيران تحت المطر
فسبيلنا نحن ان نسير عند الصحو. ومن جهتي فاني
افضّل الديانة القائمة مع الامن والخصب لان الله ما
افاض علينا مواهب الحيوة الاّ وهو يريد ان نحفظها
حبًّا بهِ. ولا يخفى ان ابرهيم وسليمان قد استغنيا مع حسن
الديانة. وايوب يقول ان الرجل الصالح يجمع الذهب

Digitized by Google

كمثل التراب. ولكن لا يصح قولهُ هذا على مثل هذين الرجلين اذا كانا كما اخبرتَ عنهما. فقال شديد الطمع اننا كلنا سوآء في هذا الحكم فلا احتياج الى زيادة الكلام عنهُ. وقال محب المال نعم اننا لا نحتاج الى كثرة التقرير في ذلك لان من لا يومن بالكتاب ولا بالبراهين كما نومن نحن لا يعرف حرّيّتهُ ولا يطلب نجاتهُ. فقال المداحي يا اخوتي اننا سائلون جميعاً كما تعلمون ولكي نلتهي عن الامور السمجة استاذنكم في بسط هذه المسئلة لديكم. قالوا قل ما بدا لك. فقال اذا فرضنا ان رجلاً عالميًّا او قسيسًا وجد بين يديهِ فرصةً بها يكتسب بركات هذه الحيوة وكان ذلك الاكتساب لا يتم الاَّ إن يصير غيورًا اكثر من العادة في ما لم يكن يمارسهُ قبلاً من امور الديانة فهل لا يصح لهُ ان يستعمل هذه الواسطة ليحصل بها على مرادهِ ويكون مع ذلك صالحًا في الحقيقة. فقال محب المال

قد عرفت ما تُبنَى عليهِ مسألتك وانا استاذن هولآء
الاشراف الصالحين في الكلام. اما بخصوص القسّيس
فلنفرض ان قسّيسًا صالحًا ليس لهُ سوى محصولٍ
قليلٍ في مكانهِ وهو يرى ان لهُ محصولاً اكثر في مكانٍ
اخر ولهُ فرصةٌ في تحصيلهِ الاَّ انهُ لا يكون الاَّ بازديادٍ
منهُ في الغيرة والوعظ وتغيّرٍ في بعض مباديهِ بحسب
هوى الشعب فعلى ما ارى انهُ يباح لهُ ذلك بل
اكثر ويكون مع استعمالهِ رجلاً صدّيقًا. لان رغبتهُ في
تلك الفايدة غير محرَّمة عليهِ لان تلك الفائِدة قد
وُضِعت امامهُ بعناية الهية. ولا ريب ان هذه الرغبة
تجعلهُ اشدَّ همّةً واجدَّ نشاطاً في مواظبة الدرس
والوعظ فيصير رجلاً افضل مما كان الامر الذي
يرضي الله. واما جريهُ على هوى الشعب في ترك بعض
مباديهِ المالوفة لاجل خدمتهِ لهم على الوجه المقبول
عندهم فذلك دليلٌ على انكارهِ لهوى نفسهِ وعلى حسن

تصرّفهِ المحمود وهكذا على لياقتهِ لوظيفتهِ . واذا كان قد ترك القليل في طلب الكثير لا يحكم عليهِ بالطمع ولكن باعتبار انهُ يصلح شانهُ بذلك ويتقدَّم في حسن سلوكهِ بحُسب كمن يهذّب وظيفتهُ ويجتهد في القيام بحقها . واما من جهة الرجل العالمي فلنفرض ان رجلاً ليس لهُ الاَّ محصولٌ يسيرٌ من حرفةٍ دنيّة تورَّع في دينهِ وكان ذلك وسيلةً لهُ الى التقدُّم في رواج حرفتهِ او الى الاتصال ببعض الاغنياء فيمدّهُ بمالهِ فعلى ما اري ان لا مانع لهُ في ذلك . لان التورُّع في الديانة هو فضيلةٌ على اي وجهٍ كان والانسان لا يحرم عليهِ زيادة الربح في حانوتهِ ولا الاتصال بالاغنياء . ولعلهُ بذلك التعمُّق في الصلاح يكون عشيرًا للصالحين فيكون قد جمع الصلاح في المال والحال وذلك من المقاصد الجيدة المفيدة[1] ولما فرغ

(١) هنا يظهر ما هي الفطنة الدنيوية والاحتجاجات الجهنمية

هذا القائِل من كلامهِ ملأَ بهِ مسامع اصحابهِ وقلوبهم واجمعوا على صحنهِ وسلامتهِ من كل عيبٍ واعتراضٍ وعوّلوا على انهم يدركون المسيحي والراجي ويصادمونهما بهِ. وكانوا لم يزالوا بالقرب منهما فاستوقفوهما حتّى وصلوا اليهما. وكانوا قد علموا بالمنافرة التي وقعت بينهما وبين المداجي فاستحسنوا ان يكون الخطاب من المتمسّك بالدنيا لعلمهما بجيبانهِ عن رضى. فتقدّم اليهما بتلك المسألة وطلب الجواب عنها. فقال المسيحي ان الصبيّ يقدر ان يجيب عن الوف مسائل مثل هذه لانهُ اذا كان لا يجوز اتّباع المسيح لاجل الخبز[1] فكم

وحيل المحّال وخداعهِ. ولا يخفى اننا نسمع ذلك كل يوم من افواه محبّي المال الذين ليس لهم قوّة الايمان ولا براهين التقوى. ولكن اسمع ما يقولهُ الروح القدس مضادًّا لهولآء ان محبة المال هي اصل كل شهوةٍ ١ تي ٦: ١٠ وقولهُ ايضًا والبخل الذي هو عبادة الاوثان كو ٣: ٥

(١) يو ٦: ٢٦

Digitized by Google

بالحري يكون مرذولاً جعل الديانة واسطةً لنوال الاشياء الدنيوية والتمتُّع بها. ونحن لانجد احدًا على هذا الراي الا عبَّاد الوثن والمرائين والشياطين والسحرة. اما عباد الوثن فيشهد لنا على ذلك منهم عمل حمور وشخيم اللذَين لما ارادا ان ياخذا ابنة يعقوب ومواشيهُ لم يجدا حيلةً لبلوغ اربهما الاَّ ان يختتنا. لانهما قالا لاصحابهما اذا اختتن كل ذكرٍ منَّا مثلما اختتنوا هم فكل ما يملكونهُ يكون لنا. فقد كان المقصود عندهما البنات والمواشي وكانت الواسطة لذلك هي الديانة[1] واما المراؤُون فان الفريسيين كانوا يطوّلون صلواتهم ليأكلوا بيوت الارامل[2] واما الشياطين فان يهوذا الاسخريوطي كان يتورّع في الديانة لكي يُستأمَن على الصندوق طمعاً في ما كان موضوعًا فيهِ وسمَّاهُ المسيح شياطانًا وابن الهلاك. واما السحرة فان سيمون الساحر

(١) تك ٣٤: ٢٠ الى ٢٤ (٢) لو ٢٠: ٤٦ و٤٧

اراد ان ينال الروح القدس لكي يقدر ان يربح اموالاً بواسطتهِ. وانت تعلم الكلام الذي قالهُ لهُ بطرس[1] فقد تقرَّران من يمسك الدين لاجل الدنيا يتركهُ لاجلها ثم يخسرهما جميعاً كما اصاب يهوذا. ومن اجاب عن هذه المسألة باثباتها وقبولها كما هي عندكم فيكون جوابهُ وثنيًّا شيطانيًّا ومرائيًّا. واعلموا انكم سوف تجازون حسب اعمالكم الخبيثة لان الله لا يقبل الرياء ولا يحابي بالوجوه. ولما فرغ المسيحي من كلامهِ اخذ كل منهم ينظر الى صاحبهِ ولم يكن لهم ما يجيبون بهِ. واردف الراجي على تصحيح جواب المسيحي وتأييدهِ. فما زادهم الاَّ حيرةً وخجلاً فتاخَّروا حتَّى سبقهم المسيحي وصاحبهُ. وحينئذٍ قال المسيحي للراجي ان كان هولاء لم يستطيعوا الثبات قدَّام حكم الناس فكيف يثبتون قدَّام حكم الله. وان كان قد ابكمهم كلامنا نحن آنية

(١) اع ٨: ١٨ الى ٢٣

الفخّار فاذا يفعلون عند ما يُبخّون بلهيب تلك النار الجهنّمية. قال وبعد ذلك تقدّم المسيحي وصاحبهُ حتّى وصلا الى سهلةٍ طيّبةٍ يقال لها الراحة. فسارا فيها مبتهجين وكانت قصيرة المساحة فتجاوزاها سريعًا. وكان في جانب هذه السهلة تلّةٌ يقال لها الربح فيها معدنٌ من الفضة وكان كثيرون من عابري تلك الطريق يميلون اليهِ للتفرّج على بهجتهِ حتّى يشرفوا على طرف تلك الحفرة فتسقط من تحت اقدامهم ويهبطون فيُقتَلون. وربّما سلم بعضهم من الموت لكنهُ يتخلّع فلا يُشفَى الى الممات[1]

(١) لا شيء اكثر ضررًا للنفس من الغنى العالمي. فانهُ فخ يضعهُ الشرير في طريقها وما اكثر الذين اغتروا بالحطام الدنيويّة وارتدّوا عن سبيل الله بعد ان قطعوا مسافةً طويلة منهُ وكابدوا شدائد كثيرة. ولا ريب ان من كان عندهُ المال يصعب عليهِ تركهُ ويتعلّق قلبهُ بهِ اشدّ تعلّقٍ كما يشير الروح الى ذلك بقولهِ ان محبّة المال هي اصل كل الشرور وكثيرون ممن رغبوا في المال ضلوا بهِ عن الايمان ورشقوا انفسهم بسهام

قال صاحب الرؤيا وحينئذٍ رايت ان رجلاً يقال لهُ ديماس كان جالساً بالقرب من الطريق الى جانب معدن الفضة يدعو ابناء السبيل الى التفرُّج عليهِ. فلما دنا المسيحي وصاحبهُ قال لهما عرِّجا الي هنا لاريكما منظراً عجيباً. فقال المسيحي ما يكون هذا المنظر الذي يستحق ان نعدل عن الطريق من اجلهِ. قال هو معدن عظيم من الفضة والان فيهِ اناسٌ يحتفرون في طلب ما فيهِ من المنفعة فان شئتما فهلمَّا اليهِ لانكما تستطيعان ان تستغنيا منهُ بتعبٍ يسير. فقال الراعي للمسيحي يا اخي دعنا نذهب اليهِ وننظر. فقال حاشا للهِ اني سمعت قبل الان عن هذا المكان وعلمت ان كثيرين قُتِلوا فيهِ وفضلاً عن ذلك ان هذا المعدن فخٌّ لمن يطلبونهُ يمسكهم عن سياحتهم[1] والتفت الى

كثيرة من الاحزان والمصايب ١ تي ٦ : ١٠

(١) انهُ ينفعنا جدًّا ان يكون لنا صديق امين ولكن ما اقل الاصدقاء الامناء الذين يجتهدون ان يمنعوا غيرهم عن الانهماك

ديماس وقال لهُ اليس هذا المكان خَطِرًا كما اقول وأما منع كثيرين عن سياحتهم. فقال ليس فيهِ خطر كثير الاَّ على الغافلين. الاَّ انهُ تلوَّن عند كلامهِ. فقال المسيحي للراجي معاذ الله ان نخطو خطوةً نحوهُ ولكن دعنا نلزم طريقنا. فقال اصبت ولكن لا اشكُّ ان المداجي اذا وصل الى هنا ودُعي اليهِ كما دُعينا يركض اليهِ ولا يتوقف. قال لا شك في ذلك لان عقيدتهُ تقودهُ الى هذا الطريق والارجح انهُ يموت هناك. وبينما هما في هذا الكلام ناداهما ديماس وقال لهما ألا تريدان المجيء الى هنا. فقال المسيحي يا ديماس انك عدوٌّ لرب هذا السبيل المستقيم وقد صرت تحت دينونة جلالهِ لاجل انحرافك عنها[1] فلماذا تجتهد ان تجلب علينا

في تحصيل الاموال الفانية واقل منهم الذين يحذرون البخل كانهُ عبادة الاوثان. فليضع هولاء بازاء اعينهم ما وعظهم بهِ السيد لهُ المجد بقولهِ انظروا وتحفَّظوا من كل البخل لو ١٢: ١٥

(١) ٢ تي ٤: ٩

هذه الدينونة لاننا اذا ملنا عن الطريق يعلم سيدنا الملك فيخزينا حينما نريد ان نقف قدّامهُ بالقبول. فقال لاباس اني من اصحابكما فاصبرا قليلاً حتّى آتي وارافقكما. قال ما اسمك يا صاح أما انت دياس كما دعوتك. فقال بَلَى وانا ابن ابرهيم. فقال انا اعرفك ان حجزي كان جدك ويهوذا اباك وانت سلكت في اثرهما. واما الحيلة التي تستعملها فما هي الاّ حيلة شيطانية. وابوك مات شنقًا لاجل الخيانة وانت لاتستأهل مجازاة احسن[1] واعلم اننا في حال وصولنا الى الملك نخبرهُ عن عملك هذا وهو اولى بمكافاتك. وهكذا انطلقا في طريقهما وما ابعدا حتّى نظرا المداجي واصحابهُ قد وصلوا الى تلك السهلة وناداهم دياس فانعطفوا اليهِ ولااعلم ماذا اصابهم ولكني اعرف انني لم انظرهم بعد ذلك في الطريق. ولما خلا المسيحي بنفسهِ في تلك

(١) ٤ مل ٥: ٢٠ الى ٢٧ مت ٢٦: ١٤ و ١٥ و ٢٧: ٣ الى ٥

البرية تهلّل بنجاتهِ من تلك الفخاخ وانشد يقول

ان المداجي والفتى دياماسا توافقا بخاتلان الناسا
ذلك يدعو من يرى اختلاسا وذا يجيبُ لا يرى احتراسا
يريد في قبولهِ الوسواسا شركةَ ربحٍ يملأُ الاكياسا
قد شربا من خير ارضٍ كاسا وتركا الاخرى فقل لا باسا
ان المجازي يحسب الانفاسا

قال صاحب الرؤيا ثم رايت المسيحي والراجي قد انطلقا في الجانب الاخر من السهلة ووصلا الى مكانٍ فيهِ عمود قديم بالقرب من الطريق فبهتا من رويتهِ لاجل منظرهِ الغريب لانهُ كان يترآءى لهما كانَّ امرأة تحوَّلت الى شكل عمود. فجعلا يتفرَّسان فيهِ ولا يعلمان جليَّة امرهِ. وبينما الراجي يقلّب بصرهُ فيهِ راى على راسهِ كتابةً غريبةً لم يعرف ان يقراها فدعا المسيحي لانهُ كان مطَّلعًا في الدرس والقرآءة اكثر منهُ واراهُ اياها فتاملها واذا هي اذكر امراة لوط. فقراها للراجي وحكما ان ذلك هو عمود الملح الذي استحالت اليهِ

امراة لوط لاجل التفاتها الى ورآيها بقلبٍ رغيب. عند ما خرجت من سادوم[1] فقال المسيحي سبحان الله يا اخي ان هذا المنظر قد طابق المكان والزمان. فاننا لو كنا التفتنا الى المعدن الذي دعانا اليهِ دياس لكنا جعلنا انفسنا منظرًا يعتبر بهِ من ياتي بعدنا. قال الراجي انني متأسفٌ يا مولاي على جهالتي السابقة ومتعجبٌ من حلم الله الذي لم يمسخني كامرأة لوط. لانها التفتت الى ورآيها فقط واما انا فاشتهيت ان اقصد ذلك المكان وارى ما فيهِ. فلتكن نعمة الله مباركةً ولتخذل جميع افكاري الباطلة وشهواتي الشريرة. قال المسيحيُّ فلنعتبر اذًا ما راياهُ هنا ليكون لنا عونًا في ما ياتي. ان هذه المرأة قد سلمت من حكمٍ واحدٍ لانها لم تهلك مع اهل سادوم الاَّ انها هلكت بحكمٍ اخر لاننا نرى انها قد صارت عمود ملح. فقال نعم انهُ يمكننا ان

(١) تك ١٩ : ٢٦

Digitized by Google

نعتبر بها فلنحذر على انفسنا حتى نجتنب ان نسقط في ما سقطت فيهِ. واما الذين لا يعتبرون فتجب عليهم تلك الدينونة كما اصاب قورح وداثان وابيرم والمايتين وخمسين رجلاً الذين هلكوا بخطيتهم (١) وصاروا عبرةً للاخرين ليحتفظوا على انفسهم. وفوق ذلك اني اتعجّب كيف يطمأنُّ دياس واصحابهُ على الوقوف حتى يفتّشوا على ذهب ذلك المعدن الذي تحولت هذه المرأة حجرًا بسبب التفاتها الى مثلهِ من غير ان تخرج عن مكانها. ولا سيَّما ان القضاء قد نزل عليها حتى جعلها عبرةً تراها العين من المكان الذي هم فيهِ لانهم لو رفعوا الحاظهم نحوها لرأوها من غير ان يتحوَّلوا عن ذلك الموقف. فقال ان هذا يدلُّ على ان قلوبهم قد خدرت فلا يعتبرون حيث يجب الاعتبار ولا يحذرون في مقام الحذر. فهم اشبه بمن

(١) عد ١٦: ٢١ الى ٢٣ و ٢٦: ٩ و ١٠

يسرق بحضرة القاضي او يقتل تحت سيف الجلاد. وقد استُعظمت خطيَّة اهل سادوم لانهم كانوا هكذا قدام الرب كافرين بنعمتهِ التي اعطاهم اياها وهذا الذي حرَّك انتقام الله حتى احرقهم بالنار في الدنيا قبل الاخرة. ولا ريب ان من يمشي في هذه الطريق المهلكة ولا يبالي بالعبَر المنصوبة امامهُ كهولاء فلا بد ان يشاركهم في دينونتهم المريعة. قال صدقت يا اخي فيا لها من رحمةٍ عظيمة اننا لم نصر عبرةً للناس وهذا يجعلنا نشكر الله ونتذكَّر امرأة لوط دايمًا

قال ثم رأيتهما قد جدَّا في طريقهما حتى وصلا الى نهرٍ عظيم دعاهُ داود الملك نهر الله[1] ودعاهُ يوحنا

(١) مز ٦٤: ٩ (٢) رؤ ٢٢: ١ وكذا حز ٤٧: ١ و ٩ ان النهر كنايةٌ عن عمق محبَّة الله. والينابيع التي تفرّح مدينة الله كناية عن الغفران والتبني والتبرير والتقديس وكل البركات التي تصدر من العناية الالهية والظفر الى الابد بالحيوة العلوية. والقناة التي تجري فيها هذه الينابيع كنايةٌ عن الرب يسوع الذي تصدر منهُ كل البركات الروحية المفاضة على المومنين

نهر ماء الحيوة[٢] وكانت طريقهما على جانب ذلك النهر فمشيا بابتهاج عظيم وشربا من مائهِ الشهي الذي يروي عطش الانفس. وكان على جانبيهِ اشجار خضر حافلة بالثمار المختلفة وعليها ورقٌ يشفي من جميع الامراض التي تعرض من مَشَقَّة السفر. وهناك ايضاً روضةٌ مكلَّلةٌ بالسوسن البهيج لا تذبل على توالي الفصول فاضطجعا في تلك الروضة وناما لانهما يستطيعان ان يستريحا فيها بالامان[١] ولما استيقظا نهضا يجتنيان من تلك الثمار اللذيذة ويشربان من ذلك الماء العذب ثم رقصا ايضاً. وطاب لهما ذلك المكان فاقاما فيهِ اياماً يشكران الله ويتناشدان الاشعار بتسبيحهِ قائلين

قفوا انظروا يا قوم كيف تجري كنضةٍ مياه هذا النهرِ
فهي تسلّي سايحًا في القفرِ راويةً ظمأهُ وقت الحرِّ
يحفُّها من الرياض الخضرِ كجنَّةٍ عابقةٍ بالعطرِ

(١) مز ٢٣: ٢ اش ١٤: ٣٠

تجمع بين ثمرٍ وزهرٍ لشبع الجوف ورُحبْ الصدرِ
فقلت اعجابًا بها من يدريـ قيمة هذا المنزل الأغرِّ
فبـاع ما في برّهِ والبحرِ ثم اشتراهُ لم يكن في خسرِ

هذا وان المسيحي وصاحبهُ لما عزما على الخروج من ذلك المكان لاتمام سياحتهما قطفا شيئًا من تلك الثمار فاكلا وشربا من ذلك الماء وخرجا يمشيان في تلك القفار الى حيثما شاء الله

قال صاحب الرويا وبعد ما مشيا قليلاً اخذت بهما الطريق في انحرافٍ عن النهر حتى فارقاهُ فحزنا لذلك جدًّا الاَّ انهما لم يجسرا ان يخرجا عن الطريق فاتبَّعاها . وكانت تلك الارض خشنة وارجلهما لينة من المشي تكربت انفسهما في الطريق[1] وانطلقا في مشيهما يلتمسان طريقًا احسن فما لبثا ان وجدا امامهما على جانب الطريق الايسر روضةً يقال لها روضة المعاجيل وهي مُحاطة بسورٍ لهُ بابٌ صغير. فقال

(١) عد ٢١ : ٤

Digitized by Google

المسيحي لصاحبهِ ان هذه الروضة في جانب طريقنا فهلمَّ اليها . وتقدَّم الى ذلك الباب واذا بمسلكٍ على الجانب الاخر من الحايط . فقال ان المشي هنا ايسر علينا فلنسلك فيهِ . قال فاذا اوصلنا هذا المسلك الى خارج الطريق فاذا نصنع . فقال ان هذا لا يكون ألا تراهُ على جانب الطريق[1] فوثق الراجي بذلك والتحق بهِ داخلاً في الباب حتى وصلا الى ذلك المسلك . فوجداهُ سهلاً لينًا في الغاية فاخذا فيهِ . وبينما هما كذلك نظرا رجلاً ماشيًا مثلهما يقال لهُ الثقة الباطلة فناداهُ وسالاهُ الى اين تؤدّي هذه الطريق . فقال الى الباب السماوي . فقال المسيحي لصاحبهِ ألم اقل لك هكذا فاعلم اننا مهتديان ان شاء الله . وانطلقا

(١) قد يكون الانحراف عن الطريق المستقيم في اوّل الامر قليلاً . ثم يزداد شيئًا فشيئًا حتى نضلّ ولا يعود لنا من ذاتنا سبيل الى الهداية . لان من تهاون بالصغائر يسقط رويدًا رويدًا في الكبائر

يتبعان ذلك الرجل وهو يتقدَّمهما الى ان اقبل الليل وخيَّم الظلام حتى سترهُ عن ابصارها وستر الطريق عن بصرهِ ايضًا. فسقط في حفرةٍ عميقةٍ هناك قد جعلها ملك تلك الارض ليصطاد بها الاغبياء اصحاب المجد الباطل فتهشَّم عند سقوطهِ[1] ولما سقط هذا الرجل شعر المسيحي وصاحبهُ بسقوطهِ فناداياهُ ليسألاهُ عن امرهِ فلم يكن من يجيبهما الاَّ انهما سمعا عويلاً في تلك الهاوية. فقال الراجي اين نحن الان. فسكت المسيحي خجلاً واسفًا لان تلك الضلالة كانت برايهِ. وبينما هما على هذه الحالة واذا قد دمدمت الرعود ولمعت البروق وانصبَّت الامطار حتى طفحت الارض بالمياه. فتنهَّد الراجي وقال اواه ياليتني لم افارق الطريق. فقال المسيحي من كان يعلم ان ذلك الشرود عنها يضلنا هذا الضلال. قال انني كنت خائفًا من

(١) اش ٩:١٦

الاوّل واذلك نبّهتك ذلك التنبيه اللطيف ولم اتجاسر على اكثر منهُ لانك اكبر مني. فقال لا تغضب يا اخي فانني اشدُّ منك حزنًا لانني اضللتك عن الطريق واطلب منك المسامحة لانني ما اردت الاَّ خيرًا وانت تعلم ذلك لاني شريكٌ لك في كل ما يصيبنا من الشدَّة والرخآء. قال لا باس انني قد سامحتك ولعلَّ ذلك يكون خيرًا لنا. فقال الحمد لله الذي جعل لي رفيقًا يرفق بي ويعذرني ان زللت. واما الان فالأَولى بنا ان نرجع من حيث اتينا. قال نعم ولكن دعني امشي امامك. فقال لا بل انا اتقدَّم حتى اذا عرض لنا خطرٌ اتلقَّاهُ دونك واكون نذيرًا لك منهُ لانني كنت سببًا لاضاعة الطريق. قال لا يحسن ذلك لاني لا افضّل نفسي عليك واخشى ان تكون قد ذهلت غيظًا وندمًا فتضلُّ عن الطريق مرةً اخرى. وبينما هما في هذه المحاورة سمعا لاجل تشجيعهما هاتفًا يقول

اهدِ قلبك في الطريق المستقيم الذي سلكت فيهِ[1]
وكانت المياه في ذلك الوقت قد قامت على ساقٍ
وقدمٍ في تلك البطاح فصارت طريق الرجوع خطرة
جدًّا. ولكن لما لم يكن لهما بدٌّ من ذلك تشجعا ورجعا
يخوضان في تلك المياه تحت ذلك الظلام. وكانا
يُشرِفان على الغرق مرارًا كثيرةً ولم يستطيعا الوصول
الى الباب كل تلك الليلة. الّا انهما اخيرًا وجدا سترةً
صغيرةً فجلسا تحتها وغلبهما النعاس تعبًا فناما. وكان
بالقرب منهما قلعةٌ يقال لها قلعة الشك لرجلٍ جبّارٍ
يقال لهُ الاياس وهو صاحب الارض التي ناما بها.
ولما اصبح الرجل خرج يتمشّى في نواحي القلعة فرأهما
نائمَين فناداهما بصوتهِ الغليظ حتى انتبها. وقال لهما من
اين اتيتما والى اين تذهبان وماذا ادخلكما الى ارضي.
فقالا اننا سائحان ضللنا عن الطريق. فقال قد

(١) ار ٢١: ٢١

تعدّيتما حقوقي بتجاوزكما ارضي فاذهبا معي. واستاقهما قدّامهُ الى تلك القلعة والقاهما في سجنٍ مظلمٍ منتن الرائحة. فاقاما فيهِ من صباح الاربعاء الى مساء السبت لا يذوقان طعاماً ولا شراباً ولا يريان ضوءًا ولا يسأل عنهما احدٌ. وضاقت صدورهما من ذلك النتن فضلاً عن تلك الشدائد. فكانا في حالةٍ يُرثَى لها بعيدَين عن الاصدقاء والمعارف[1] وكان اشدّهما حزنًا المسيحي لان تلك البلية قد نزلت بهما من سوء رايهِ[2] وكان لذلك الجبار زوجةٌ يقال لها الموسوسة وفي ذلك المساء حدثها بقصتهما وقال ماذا ترَين ان اصنع بهما. فقالت اذا نهضت غدًا من مضجعك

(١) مز٨٨: ١٧ (٢) لو هرب السائحان عند ما سقطا الى الملجا الحقيقي الذي هو السيد المسيح لما اصابهما ما اصابهما من شدة اليأس والخوف. فلنطلب من الرب ان يعلّمنا ان نهرب اليهِ عند وقوعنا في الخطية ونتّكل على دمهِ الذي يطهّرنا ونتذكر كل حينٍ ذاك الذي يشفع فينا عند الآب وهو وحدهُ كفّارة لخطايانا

فادخل عليهما واجلدهما جلدًا عنيفًا. ولما انتبه في الغد اخذ بيدهِ سوعصا ودخل الى السجن وجعل يشتمهما شتمًا غليظًا وهما يتذلَّلان لديهِ. ثم اهوى عليهما بالعصا حتى كاد يرض عظامهما ولم يعودا يقدران ان يتحركا ولا ينقلبا من جنبٍ الى اخر. ولمَّا كلَّت يدهُ من الضرب تركهما وخرج الى منزلهِ وهما يندبان شقآءهما واصرفا كل ذلك النهار بالبكآء والتنهُّد. وفي تلك الليلة تحدَّث الجبار مع زوجتهِ في امرهما واخبرها بالضرب الذي ضربهما اياهُ. فقالت انهما لاشكَّ يموتان من شدة العذاب فالافضل لهما ان يقتلا انفسهما ويستريحا. ولما كان الصباح دخل الجبار عليهما وهو عابسٌ حنِقٌ فرآهما قد كثرت جراحهما من ذلك الضرب الذي نالهما. فقال لهما انهُ من المحال ان تخرجا من هذا السجن وستموتان فيهِ عذابًا. فارى ان تقتلا انفسكما بواسطة من الوسائِط وتستريحا من

قريبٍ لان الموت افضل لكما من بقية هذه الحيوة المرَّة.
فقالا نعم ياسيدنا الاَّ إن تفضلت علينا بالاطلاق.
فلما سمع ذلك الكلام عبس واحتدَّ غضبهُ وهجم عليهما.
وكان قد استولى عليهِ مرضٌ يزعجهُ نهارًا منذ طلوع
الشمس حتى ترتخي اعصابهُ. ولما وثب عليهما تلك
الوثبة كانت الشمس قد طلعت وسرى المرض في
اعصابهِ فانحلَّت يداهُ عن الضرب وتركهما ليتبصَّرا في
ما يفعلان. ولما خرج عنهما قال المسيحي لصاحبهِ
ماذا نصنع يا اخي ان الحيوة التي نحن الان فيها كما
ترى. اما انا فلا اعلم هل الافضل ان اعيش هكذا ام
اقبل الموت حالاً وقد اخترت نفسي الموت على الحيوة
والقبر اهون عليَّ من هذا الحبس[1] فماذا تقول هل
نقبل مشورة هذا الجبَّار[2] فقال لا ريب ان حالتنا هذه

(١) اي ٧: ١٥ (٢) هوذا المسيحي قد وقع في تجربة عظيمة
لكي يهلك نفسهُ. وكان ينبغي لهُ ان يثق بما كتبهُ الرسول القائل
ولا يدركم من التجارب الا البشري والله امين لا يهملكم ان

شقيَّةٌ والموت افضل من هذه الشدائِد التي نكابدها. غير انهُ يجب علينا ان نعتبر اولاً ان رب المدينة التي نحن ذاهبان اليها قد قال في وصيتهِ لا تقتل. فان كان ينهينا عن قتل غيرنا فكم بالحريّ عن قتل انفسنا الذي هو اعظم شرًّا لان من يقتل غيرهُ لا يمكنهُ ان يقتل سوى جسدهِ واما من يقتل ذاتهُ فانهُ يقتل الجسد والنفس معًا ويلقيهما في جهنَّم النار المعدَّة للقاتلين. لانهُ قيل ان القاتلين ليس لهم الحيوة الابدية. ولعلك نسيت هذا حتى اخترت راحة القبر. ويجب ان نعتبر ثانيًا ان الامر ليس كلهُ في يد هذا الجبَّار. فاني اعلم انهُ قد قبض على اناسٍ قبلنا ثم افلتوا من يدهِ وما ادراك ان الله يميتهُ او يهيج عليهِ مرضهُ فتخمل اعضاءهُ او يغفل مرةً فلا يقفل الباب. وانا قد

تجرَّبوا باكثر مما تطيقون بل يجعل لكم مع التجارب قوةً لكي تستطيعوا الاحتمال ١كو ١٠: ١٣

Digitized by Google

عزمت ان وقعت لي فرصةٌ من ذلك ان احتال في خلاصنا من سجنهِ وندمت على ترك هذا السعي من اول الامر. واما الان فلنصبر قليلاً ونحتمل لعل الله يجعل لنا فرجًا فنخلص بالسلامة ولا نكون قد قتلنا انفسنا وخسرنا الدنيا والاخرة. وكان يطيّب الراجي قلب المسيحي بمثل هذا الكلام ويسكّن بعض ما بهِ وعلى ذلك قطعا ذلك النهار وهما بين الخوف والرجاء[1] ولما كان المساء نزل الجبّار الى السجن ليرى هل عملا برايهِ ام لا. فوجدهما حيّين الاّ انهما قد سقطت قواهما من الجوع والالم ولم يبقَ فيهما الاّ قليل رمق من الحيوة. فغضب من مخالفتهما رأيهُ وقال

(١) ان البراهين التي قدّمها الراجي للمسيحي لما نهاهُ عن قتل نفسهِ هي سديدةٌ زاهنةٌ. ولا يخفى ان كثيرين يرتكبون هذا الاثم الفظيع ولا يلتفتون الى ما تقولهُ الكتب الالهية عن العقاب والثواب المعدّين للانسان في العالم الآتي او بالحري لا يصدّقون ذلك

الافضل لكما ان لا تكونا ولدتما هلاَّ قبلتما ما اشرت بهِ عليكما واسترحتما من هذه الحالة . فاخذتهما رعدة الخوف وغلب الامر على المسيحي حتى كان يُرى انهُ مغشيٌّ عليهِ . ولما عاد الى رشدهِ تاوَّه وقال ما اراها الاَّ نصيحةً لنا من هذا الرجل . فقال الراجي اين شجاعتك الاولى تلك الشجاعة التي لقيت بها ابوليون والاهوال التي رايتها وسمعتها في وادي ظلال الموت فضلاً عن بقيَّة المخاوف وكل ذلك لم يقدر ان يسحق نفسك ولا يكسر عزمك . وانت تعلم انني اضعف منك طبعًا واقصر همةً وانا معك في هذا المكان تحت الشدائد التي كابدتها والبلاء علينا جميعًا لا يفرق فيهِ احدنا عن الاخر . وها انا لم اخَفْ من الشدَّة ولم اقطع رجاءي من الفرج . فعليك بالصبر الجميل والثقة برحمة الله انهُ يجعل لك مخرجًا من هذا السجن كما اخرجك من قفص سوق الاباطيل التي بنعمتهِ غلبت اهلها ولم

ترهب القيود ولا القفص ولا الموت . فلنصبر اذًا ونحتمل فنسلم اقلَّهُ من العار الذي لا يليق بشان المسيحي[1] هذا وان الجبَّار في تلك الليلة لما جلس مع زوجتهِ سالتهُ عنهما . فقال اراهما قد تصلَّبا لاحتمال العذاب ولم يجسرا على قتل انفسهما . فقالت لعلهما يطمعان في السلامة فاذا اصبحت فخذهما الى دار القلعة وأَرِهما عظام القتلى وجماجمهم وانذرهما بانك قبل تمام الاسبوع تمزّق اجسادهما كما فعلت باولئك قبلهما[2] قال نعم ولما اصبح فعل كذلك وقال لهما ان اصحاب هذه العظام

(١) يلزمنا ان نتذكر ما عرض لنا في ما مضى من المصائب لان ذلك مما يجعلنا نلقي على الرب كل اتكالنا في ما يعرض لنا ايضًا وهو قد وعدنا بانهُ لا يهملنا . وبناءً على ذلك كان الراجي يذكّر المسيحي بغلبتهِ على ابوليون وبما اظهرهُ من الشجاعة في سوق الاباطيل لعلمهِ ان ذلك مما يقوّي عزمهُ ويشدّد فتورهُ

(٢) ان الذين سلكوا سلوكًا حسنًا الى زمانٍ ثم غلبهم العالم والخطية فتأخَّروا الى الورآء يكون مثالهم حجر عثرةٍ لمن ياتون بعدهم

كانوا قد مرُّوا في سياحتهما بارضي فاخذتهم اسارى الى ان اردت قتلهم فمزقتهم أَرَبًا أَرَبًا وهكذا سافعل بكما بعد عشرة ايامٍ فارجعا الى سجنكما. ثم ساقهما الى السجن وهو يضربهما حتى وصلا اليهِ وقضيا يوم ذلك السبت في اشرّ حالٍ. ولما كان المساء جلس الحبَّار مع زوجتهِ يتحدثان في امرهما وهو يعجب من سلامتهما. فقالت اخشى ان تطول حياتهما فياتي احدٌ ويخلّصهما او يعالجا الاقفال بمفاتيح او غيرها ويخرجا. فقال انا انظر في ذلك غدًا وارى هل لهما حيلةٌ او معهما مفاتيح. واما هما فانهما كانا يصلّيان عند انتصاف الليل ويطلبان من الله تعالى ان يمدَّهما بنعمة الخلاص وما زالا كذلك الى اواخر الليل[1] وقبل شق الفجر بقليلٍ

(١) لا يوجد شيءٌ يقدر على انهاض المساقطين الاَّ الصلوة بحرارةٍ ولجاجةٍ ومواظبة اكثر من العادة المالوفة. لان الاجتهاد المعتاد لا يكفي لقضاء مثل هذه الحاجة. ولا ريب ان من طلب راحة الجسد في مواقيت الصلوة يلتزم ان يسهر ويصلي والناس

Digitized by Google

انتبه المسيحي وقال ويلي قد لبثنا هذه الأيّام في هذا السجن تحت هذه الشدائِد وغفلت عن مفتاح الموعد الذي معي وهو كما ارجو يفتح كل قفلٍ في هذه القلعة. فابتهج الراجي بذلك وقال انها نعم البشارة فلنجرّب يا اخي عسى الله ان ياتينا بالفرج. فاخرج المسيحي ذلك المفتاح واخذ يعالج بهِ باب السجن حتى ادارهُ في القفل واذا بهِ قد انفتح بسهولةٍ فخرجا وهما يكادان يصفّقان من الفرح[1] وكان قدامهما قبل الوصول الى دار القلعة بابٌ اخر فعمد اليهِ المسيحي بمفتاحهِ فكان اسهل فتحًا. وكان للقلعة باب حديديٌ صعب المرام

نيام ويواظب على رفع الابتهالات المتتابعة الى عرش النعمة حتى ينال الاجابة

(١) ان موعد الخلاص مجانًا بالمسيح هو المفتاح الوحيد الذي يدخل اقفال ضعف الايمان وقطع الرجاء ويفتحها. والايمان هو اليد التي تدير مفتاح الموعد في القفل وتفتح الباب للمسجونين المتضايقين لكي ينجوا من سجنهم

ولم يكن لهما مجازٌ الاَّ منهُ. فاناهُ المسيحي باسم الله فلم يمتنع عليهِ فطرب وجذبهُ جذبًا عنيفًا ليسرع خروجهما منهُ. فصرف صريفًا شديدًا ايقظ الحبَّار من نومهِ فثار اليهما. ولكن اتَّفق في ذلك الوقت ان يراجعهُ مرضهُ المعتاد عليهِ وانحلَّت رجلاهُ فلم يدركهما. وما زالا يشتدَّان في ركضهما حتى خرجا من ارضهِ ورجعا الى الطريق السلطاني الذي كانا قد اضاعاهُ. فطابت انفسهما وشكرا الله على هذه العناية الباهرة وارتجز المسيحي يقول

الحمد لله على الفرارِ من يد هذا الظالم الجبَّارِ
حبسٌ وصوم الليل والنهارِ والضرب والتهديد في الاسحارِ
وما بنا هذا القضاء الجاري وما لقيناهُ من الاخطارِ
ولا فراق العالم الغرَّارِ ولا ارتكاب ذلَّةٍ وعارِ
لو لم يعوّقنا عن الاسفارِ الى طريق باب تلك الدارِ
لكنَّ ما كان من الاضرارِ لعلَّهُ ينفع بالتذكارِ
لما يكون من عذاب النارِ

وكانا لما مرَّا بباب الحديقة الذي اضلَّها قالا هذا الذي طغانا حتى وقعنا في هذا البلاء فلنجعل عليهِ ما ينذر الناس بعدنا من هذه المهلكة. وكان هناك عمودٌ فنصباهُ عَلَمًا ونقشا عليهِ ان هذا الباب يؤدّي الى قلعة الجبار الذي يقال لهُ الاياس وهو عدوُّ ملك المدينة السموية ومهلك السايحين اليها. وكان كثيرون بعد ذلك من اهل السياحة اذا دفعتهم الطريق الى ذلك الباب يقرأون ذلك الخط ويرجعون الى طريق السلامة[1] وقال الراجي في ذلك شعرًا

(١) ان الايمان الذي خلّص السايحين من قلعة الاياس ردها حالاً الى طريق الطاعة فسلكا فيها بانتباهٍ ولم يتذمرا من صعوبتها. وزِدْ على ذلك انهما رسما تذكرةً تنذر من ياتي بعدها من الوقوع في يد الجبّار بخلاف الايمان الميت والثقة الباطلة فانهما يزيلان كل شكٍّ وخوفٍ حتى في الارض المحرمة وتحت اكناف قلعة الشك. فيقع الذي خدعاهُ في الاسر بغتةً ولا يعود لهُ سبيل الى النجاة -

قد ضللنا عن الطريق فجزنا
في اراضٍ بها العذاب نقاسي
فاحذروا الان ان تصيروا اسارى
قلعة الشك تحت حكم الاياسِ

قال واخذ المسيحي وصاحبهُ بعد ذلك في تلك الطريق حتى وصلا الى الجبال المبهجة وهي في ملك رب الجبل الذي تقدَّم ذكرهُ[1] فصعدا اليها واكلا من ثمارها وشربا واغتسلا من اوساخ السفر. وكان على تلك الجبال رعاة يرعون مواشيهم وهم قد جلسوا على

(١) ان الجبال المبهجة كنايةٌ عن اوقات الراحة والتعزية التي يحصل عليها المومنون بالحق مرارًا كثيرة في ايام شيخوختهم. فانهم يكونون قد تجاوزوا ايام الشباب التي يكون فيها عنفوان الالام الشهوانية. وتموا جهادهم في البلايا والمصائب التي عرضت لهم في ما مضى. وبذلك حصلوا على الثبات في بساطة الاتكال على الله والطاعة لهُ وعلى المعرفة بخدَّامهِ تعالى وشعبهِ وباصحاب كثيرين من افاضل الناس يحترمونهم ويحبونهم. ومرارًا كثيرة يتفاوضون مع اصحابهم في محبَّة الرب وجودتهِ وحقهِ حتى تمسي قلوبهم محترقة فيهم. لو ٢٤: ٣٢

قارعة الطريق. فاتياهم ووقفا امامهم وكل واحدٍ منهما متّكئٌ على عصاهُ كما يفعل اهل السياحة. وقالا لهم حيّاكم الله لمن هذه الجبال والمواشي التي ترعى فيها. فقالوا هي لعمانوئيل في مقابلة مدينتهِ تحت نظرهِ وهذه الغنم غنمهُ التي بذل نفسهُ عنها[1] قالا اهذه طريق المدينة السموية. فقالوا انكما في طريقها. قالا كم تبعد من هنا. فقالوا هي بعيدةٌ الاّ على الواصلين اليها بالحق. قالا وهل في الطريق خطرٌ. فقالوا هي امينة والصدّيقون يسلكون فيها ولكن المعتدّين يسقطون[2] قالا وهل يوجد مكانٌ هنا لراحة الغرباء السائحين. فقالوا ان ربَّ هذه الجبال اوصانا بان لا ننسى محبَّة الغرباء[3] وهذه خيرات المكان قدّامكما فتمتّعا بما شئتما منها

قال صاحب الرويا ثم رأيت ان اولئك الرعاة

(١) يو ١٠: ١١ و ١٥ (٢) هو ١٤: ٩ (٣) عب ١٣: ٢

لما علموا انهما من اهل السياحة قالوا لهما من اين اتيتما وكيف دخلتما في الطريق وباي واسطةٍ ثبتمُّا فيها حتى وصلتما الى هذه الجبال التي لا يصل اليها الاَّ قليلٌ من ابناء هذا السبيل. فاجاباهم كما كانا يجيبان في ما مضى. وكانت تلك الرعاة اربعة انفارٍ وهم العارف والمختبر والمستيقظ والصادق[1] فنظروا اليهما بعين المحبَّة ورحبوا بهما واخذوهما الى خيامهم وقدَّموا لهما ما حضر من الطعام فاكلا وطابت انفسهما. ثم قالوا لهما انكما قد تعبتما من السفر فلا باس بالراحة هنا لتمكين المعرفة بيننا وبينكما والتنزُّه في هذه الجبال أيَّاماً. فقالا نعم وكان قد صار وقت المنام فاخذوهما الى مضجعٍ وناما هناك الى الصباح. ولما نهضا من منامهما

(١) ان اسماء الرعاة تشير الى الخصائل الضرورية لخدَّام المسيح. وهي ان يكونوا ذوي معرفةٍ بتعاليم الانجيل واختبارٍ لقوَّتها. ومستيقظين على الخراف المسلمة اليهم. وصادقين في تعليمهم ما قبلوهُ من الرب

دعتهما الرعاة الى النزهة على تلك الجبال. فخرجا يتمشيان معهم ويتفرجان على تلك المناظر البهيجة حتى انتهوا بهما الى راس جبلٍ يقال لهُ جبل الضلالة. وقالوا لهما انظرا الى اسفل هذا الجبل. فنظرا واذا باناسٍ قد سقطوا من ذلك الجبل وتطرَّحوا في جوانب ذلك الوادي فتقطعت اعضاؤهم قطعًا شتَّى. فقال المسيحي ما هولاء الذين نراهم. فقالوا أما سمعت باوليك الذين ضلوا لانهم سمعوا لهيمانا وسوفيلاطس عمَّا يخصُّ قيامة الاجساد[1] فقال بلى. فقالوا هولاء هم وقد تُرِكوا على وجه الارض ولم يسمهم البلى ليكونوا عبرةً للصاعدين الى الاعالي والذين يدنون من نواحي هذا الجبل[2] قال ثم تحوَّلوا بهما الى

(١) ٢تي ٢: ١٧ و١٨ (٢) لاريب ان كل ضلالٍ مضرٌّ غير ان البعض منهُ خطرٌ والبعض مهلكٌ. وهذا هو الذي ارادهُ المؤلِّف هنا. لانهُ يبيِّن في هذا المقام حال المرتدين الذين يسقطون واخيرًا يهلكون هلاكًا ابديًّا

قمة جبلٍ اخر يقال لهُ جبل الاحتراز واشاروا الى بقعةٍ بعيدةٍ ينظران اليها . فنظرا واذا اناسٌ كثيرون يجولون بين قبورٍ هناك . وكانوا يتعثَّرون بحجارةٍ على تلك القبور ولا يهتدون ان يخرجوا من المكان كأنهم عميانٌ . فقال المسيحي وما هولاءِ . فقالوا أما رأيت في اسفل هذه الجبال باباً يؤدّي الى روضةٍ على الجانب الايسر من هذه الطريق . قال قد رأيتهُ . فقالوا وهذا الباب يتفرَّع منهُ طريقٌ تؤدّي على خطٍّ مستقيمٍ الى قلعةٍ يقال لها قلعة الشك فيها جبَّارٌ يقال لهُ الاياس وهولاءِ الذين تراهم قد اتوا قديماً يطلبون السياحة مثلكما حتى وصلوا الى هذا الباب ورأوا خشونة الطريق الاعظم في ما يليهِ فعدلوا الى ذلك الطريق المؤدّي الى الروضة وهناك قبض عليهم الجبَّار وحبسهم أيَّاماً ثم قلع اعينهم واقتادهم الى هذه التربة فاقاموا بها يطوفون بين القبور ولا

Digitized by Google

يهتدون الى الخروج حتى اليوم ليتمّ ما قالهُ الحكيم ان الرجل الذي يضلُّ عن طريق التعليم فهو يسكن مع جماعة الموتى[1] فنظر المسيحي والراجي كلٌّ منهما الى صاحبهِ وقد دمعت اعينهما الاَّ انهما لم يذكرا للرعاة شيئًا من امرهما

قال ثم رأيت ان الرعاة اخذوهما الى مكانٍ منخفضٍ وكان هناك بابٌ الى جانب جبلٍ ففتحوهُ وقالوا لهما انظرا الى داخلٍ. فنظرا واذا هو مكانٌ مظلمٌ قد تكاثف فيهِ الدخان. وسمعا فيهِ صوتًا كزفير النار وعويلًا كصراخ المعذَّبين واشتمَّا رايحةً كرايحة الكبريت. فقال المسيحي وما هذا. فقالوا هذه ثغرةٌ من الطريق توَدّي الى جهنم يسلك فيها المرآؤون وهم الذين يبيعون بكوريتهم مثل العيس او معلّمهم مثل يهوذا والذين يجدّفون على الانجيل مثل

(١) ام ٢١: ١٦

الاسكندر او يكذبون ويغدرون مثل حنانيا وامراتهُ سفيرا. فقال الراجي ارى ان القوم من اهل السياحة مثلنا. قالوا نعم وقد تمادوا على ذلك زماناً طويلاً. فقال وكم سافر كل واحدٍ منهم. قالوا بعضهم فات هذه الجبال والبعض لم يصل اليها. فقال كلٌ منهما لصاحبهِ انهُ يلزمنا ان نطلب من القويّ قوَّةً. قالت الرعاة نعم ويلزمكما ان تستعملاها بعد نوالها[1]

قال وبعد ذلك اخذت السائحَين رغبةٌ في التقدُّم في سياحتهما وكان ذلك مرغوب الرعاة ايضاً فاخذوا يمشون معًا نحو طرف الجبل. ثم قال لهما الرعاة نريد ان نريكما باب المدينة السموية ان كنتما

(١) هكذا نقرأ عن الذين استنارُوا مرَّةً واحدة ونالوا العطية السموية وقبلوا نعمة الروح وذاقوا كلمة الله الطيّبة. عب ٦: ٤ و٥ ثم ينكلون اخيرًا ويعدمون الميراث الابدي. وهذا مما ينهضنا الى الاجتهاد والتواضع والاحتراز ويجعلنا ننظر كل حين الى يسوع ملتمسين منهُ ان يحفظنا من السقوط

تحسنان النظر بهذه النظّارة . فقالا حبّذا ذلك .
فاخذوهما الى راس جبلٍ عالٍ يقال لهُ الصافي
واعطوهما تلك النظّارة فاخذاها . وكان قد اثّر الرعب
في قلبهما من المنظر الجهنّي الذي رأياهُ اخيرًا حتى لم
يكن منهما من يملك نفسهُ . فلم يقدر احدهما ان يضبط
النظّارة بيدهِ حتى يستقيم لهُ النظر بها . لكن ترآءى
لهما شيءٌ كانهُ باب المدينة وتجلّى عليهما طَرَفٌ من بهجة
المكان[1] فقالا نترك لذة العيان الى ان تنالها العين
ان شآء الله . واستودعا الرعاة فاعطاهما احدهم صحيفة
تُنبي عن الطريق . وقال الاخر احذرا من المِلّق .
وقال الاخر ايّاكما ان تناما في ارضٍ مستّها اعمال
الشيطان . وقال الاخر قد اوصيناكما خيرًا فاذهبا
بسلام الله وامانهِ . فودعاهم وانصرفا ينشدان شعرًا

(١) ان الايمان ياخذ نظّارة الموعد وينظر بها الى ما ورآء
الارض البعيدة . واذا كان حاذقًا يرى جيدًا ما يريد ان يراهُ
ويفرح منهللًا برجآء مجد الله . واما اذا كان سخيفًا فلا يتمكن من

ان الخفايا الغامضات كشفت بواسطة الرعاة
فمن اشتهى كشف الخفا فالى جبال الله ياتي

قال صاحب الرويا وكانت قد اثرت في جنبي خشونة ذلك المضجع فتحوّلت الى الجانب الاخر فانتبهت واذا انا في تلك المغارة لا اسمع فيها ولا ارى. فابتهجت بذلك الحلم وقلت لعلي انام فارى كيف يتمّ امر هذين السائحين. والقى الله عليَّ سبات النوم فنمت ايضًا واذا انا اراهما بجانب تلك الجبال منطلقين في الطريق المستقيمة نحو المدينة السماوية. وكان بقرب هذه الجبال على الجهة اليسرى قريةٌ يقال لها التيه تتفرّع منها شعبةٌ عوجاء تتصل بالطريق التي كان السائحان يسلكان فيها. ولما وصلا الى هناك التقيا بفتى خارج من القرية يقال لهُ الجهل. فقال لهُ المسيحي من اين اقبلت يا فتى والى اين تذهب[1] فقال قد

رؤيا الامور السموية لاجل ما ياخذهُ من الارتعاش

(١) ان الجهل رمزٌ عن الذين يرجون نوال الملكوت

Digitized by Google

اتيت يامولاي من قريتنا هذه التي تراها على الجانب
الايسر واناذاهب الى المدينة السماوية. قال ان دون
ذلك اهوالاً فكيف تظن ان تدخلها. فقال افعل
كما يفعل غيري ممن يركب هذه الطريق. قال وبماذا
تعالج ذلك الباب ليُفتَح لك. قال انا اعلم مشيئة
سيّدي وقد سرت سيرة حسنة اعطي كل ذي حقٍّ
حقهُ واصلّي واصوم واعشر مالي واتصدَّق على
الفقراء وقد تركت وطني لاجل هذه الغاية التي انا
ذاهبٌ اليها. قال انك قد جيت من هذه الشعبة
العوجاء ولم تدخل من الباب الضيق الذي عند
راس هذه الطريق ولذلك اخشى ان يُحكَم عليك يوم
الدينونة بانك لصٌّ وسارقٌ عوض ان يُحكَم لك
بالدخول الى المدينة. فقال ياأَخَوَيَّ انتما غريبان

السموية جزاء عن اعمالهم الصالحة ولا يشعرون بقصورهم عن
استيفاء الصالحات ولا يعلمون كم يلتزمون بالرجوع الى الله
بالايمان بيسوع المسيح الذي لا تنفعهم اعمالهم بدونهِ

لا اعرفكما فاتبعا مذهب قومكما وانا اتبع مذهب قومي وعسى كلٌّ من ذلك يكون صالحًا. واما الباب الضيق فانهُ بعيدٌ بعدًا قاصيًا عن مدينتنا واظن ان ليس احدٌ من اهل كل هذه الاطراف يعرف الطريق المؤدّية اليهِ. على انهم لا يبالون أعرفوهُ ام لم يعرفوهُ لان لنا طريقًا سهلاً مختصرًا يؤدّي من مدينتنا الى هذه الطريق في اقرب وقت. فلما راى المسيحي هذا الرجل يدّعي الحكمة وهو بريٌّ منها قال للراجي سرًّا ان للجاهل رجاءً اكثر من هذا الرجل[1] فكيف ترى أنخوض معهُ في الحديث ام نسبقهُ وندعهُ يراجع رايهُ في ما سمع منا ثم ننتظرهُ الى ان يدركنا ونرى كيف ثبت عزمهُ فلعلنا نقدر ان نصنع معهُ خيرًا. فقال الراجي ارتجالاً

خَلِّ الفتى متفكّرًا في قولنا عن طُرقهِ

(١) ام ٢٦: ١٢

فعساهُ يقبل نصحنا ويرى منافع صدقهِ
قد قال ربُّكَ ان من لا فهمَ فيهِ لحقّهِ
لا يستتمُّ خلاصهُ وَلِئِنْ يكن من خلقهِ

ثم قال ارى انهُ لا يحسن ان نتكلم معهُ دفعةً واحدةً عن كل شيء ولكن ان شئت فليكن ذلك شيئًا فشيئًا على قدر ما يمكنهُ احتمالهُ. فقال المسيحي نعم واسترسلا في جريهما حتى سبقاهُ وهو يتبعهما. وما ابعدا الاَّ قليلًا حتى دخلا في زقاقٍ مظلمٍ جدًّا واذا برجلٍ قد اوثقهُ سبعةٌ من الابالسة بسبعة حبالٍ متينة وكانوا يحملونهُ ليرجعوا بهِ الى الباب الذي رأياهُ في جانب الجبل[1] فارتاعا من ذلك المنظر وتفرَّس المسيحي في ذلك الرجل ليرى هل يعرفهُ فغلب على ظنّهِ انهُ ربما يكون هو الذي يقال لهُ المرتد من مدينة التقلُّب لكنهُ لم يُثبِت معرفتهُ لانهُ لم يقدر ان يُثبِت رؤية وجههِ لكونهِ كان قد احنى راسهُ كما تفعل

(١) مت ١٢: ٤٥ وام ٥: ٢٢

اللصوص حينما يُمسَكون غير ان الراجي رأى عليهِ صحيفة قد كُتِب فيها هذا مسيحي فاسق ومدلّس ملعون[1] وحينئذٍ ذكر المسيحي قصّةً فيها شيءٌ مثل هذا الحديث. فقال لصاحبهِ قد ذكرت الان حديث رجلٍ في هذه النواحي يقال لهُ قليل الايمان قال وكيف ذلك. فقال ان هذا المشار اليهِ كان رجلاً صالحًا من قرية يقال لها الصدق وكان ممن يمارسون السياحة. فلما انتهى في سياحتهِ الى معبر هذا الطريق استظلّ بزقاقٍ يتفرّع من الباب الواسع يقال لهُ زقاق الموت لكثرة ما يحدث فيهِ من القتل فنام هناك واتفق

(١) ان حالة المرتدّين عن سبيل الله حالةٌ يُرثَى لها لان عقابهم يكون اشدّ وقلوبهم اقسى وحيانهم اشرّ ممّا لو لم يعرفوا طريق البر اولاً. وهم يصلبون ابن الله ثانيةً ويفترون عليهِ ويزدرون بروح النعمة ولهذا يسلّمهم الله الى ضميرٍ فاسدٍ والى قوّة ابليس المحال فينقلبون من الرديّ الى الاردى حتى يقعوا في يد الله الحي ولا يفلتون الى الابد

في ذلك الوقت ان ثلثةً من اشدّاء الرجال خرجوا من الباب الواسع واخذوا في ذلك الزقاق وكانوا اخوةً يقال لاحدهم الجبانة وللاخر الريب وللاخر الذنب. ولما انتهوا الى ذلك المكان كان الرجل قد نهض من منامهِ واراد المسير. فوثبوا عليهِ وصاحوا بهِ ان يقف فوقف مرتعدًا لا يقدر ان يدافع عن نفسهِ ولا ينهزم. فقال لهُ الجبانة هات ما معك من المال. فابطأ فتقدّم اليهِ الريب ومدّ يدهُ الى جيبهِ واخرج منهُ صرّة فضّة. فصرخ الرجل يا لِلُّصوص. ففاجاهُ الذنب بضربةٍ على راسهِ فالقاهُ على الارض مضرّجًا بدمايهِ[1]. واتّفق

(١) ذكر المؤلّف هنا ما حدث لقليل الايمان من المصائب لكي ينفع بذلك الضعفاء من المسيحيين. لان ذلك ممّا يقوّي عزائمهم على الثبات ولعلهم يتهيّبون ما يقال عن المرائين والمرتدّين فلا يتورّطون في هذه الطريق الملتوية. ولا يخفى ان كثيرين ممن يُظَن انهم من اهل التقوى قد يعرض لهم اضطهادٌ فيرتدُّون عن طريقهِ تعالى الى طريق الشيطان. وهكذا يقتل هذا المحّال

ان اولئك اللصوص سمعوا صوت مشاةٍ على الطريق وكان في تلك الاطراف رجلٌ مهيبٌ يقال لهُ عظيم النعمة من مدينة يقال لها الثقة وكان كثير الجولان في كشف ظلامات الضعفاء ولهُ وقايع مع هولاء اللصوص. فاحتسبوا ان يكون من جملة العابرين فتركوا الرجل وانصرفوا. فلبث كذلك برهةً الى ان سكن روعهُ فقام وسار في طريقهِ. فتأوَّه الراجي لمصابهِ وقال هذا مسافرٌ يحتاج الى النفقة في سفرهِ فهل سلبوا منهُ كل ما كان معهُ ام بقي لهُ شيءٌ ينفقهُ في الطريق. فقال قد سلبوا منهُ ما وقع في ايديهم من الفضَّة ولكن كان معهُ جواهر لم يصلوا اليها وربَّما بقي لهُ شيءٌ من الفضَّة غير انهُ لا يقوم بنفقة طريقهِ. فقيل انهُ كان يتسوَّل في سفرهِ ولم يرِد ان يبيع جواهرهُ. فكان يحتمل

انفس الناس بوعيدهِ لهم بقتل اجسادهم وهذا هو زقاق الموت الذي يفضي الى الطريق الرحبة المؤدِّية الى الهلاك

الجوع اكثر بقيَّة الطريق[1] قال لعلّهم لم يسلبوا منهُ صحيفتهُ المختومة التي يجب ان تكون وسيلةً لهُ الى دخول المدينة السماوية وغفلتهم عنها كانت بلطفٍ من الله. فقال لاشك في ذلك لانهُ لما غشيَهُ الخوف ذهل عن نفسهِ فلم يفطن لتخبيئةٍ وفضلاً عن ذلك لم تكن لهُ فرصةٌ لادنى حركةٍ من ذلك. فكان تغافلهم عن تلك الصحيفة من العناية الالهية اكثر من اجتهادهِ[2] قال انها نعمةٌ عظيمةٌ يتعزَّى بها عمَّا فقد منهُ. فقال نعم لو انهُ تصرَّف بها كما ينبغي ولكن بلغني انهُ غفل ايضاً عنها من دهشتهِ في مسافةٍ طويلةٍ من بقيَّة الطريق. ثم لما انتبه لها كان يتذكر مع بقائها

(١) ١ بط ٤: ١٨ ان قليل الايمان بلغ السماء اخيرًا ولكن بجهدٍ عنيفٍ لانهُ كان قد اضاع تلك الذخاير التي معهُ الاَّ الجواهر التي حفظتها قوة الله حسب وعدهِ بان يحفظ المومن من الهلاك الى الابد (٢) ٢ تي ١: ١٢ الى ١٤ و ١ بط ١: ٥ الى ٩

فقد الفضةَ فيتجدَّد الاسف في قلبهِ ويغلب على السلوى والتعزية . قال الويل لهُ ان قلبهُ بيت الاوجاع ليس فيهِ موضع لغير الكآبة ولو تواردت عليهِ اسباب السرور . فقال نعم وقد بلغني انهُ قطع اكثر ما تبقَّى من طريقهِ بالشكوى والتظلُّم وكان يخبر بقصتهِ كل من لقي في الطريق من غير ان يُسأَل . قال تلك خصلةٌ عجيبةٌ في بعض الناس واعجب منها فيهِ انهُ لم يبع تلك الجواهر او يرهنها عند الضرورة . فقال اراك تهذي كالاطفال . من تراهُ يشتريها او يسترهنها من اهل تلك الديار وهي عندهم كالهباء المنثور ليس لها قيمةٌ ولا ثمن . ولئن سلَّمنا ذلك فهو لا يقبل ذلك الامداد الذي ينالهُ من هناك لانهُ لا يرضيهِ . وزد على ذلك انهُ كان يعلم جيدًا انها اذا لم تكن معهُ عند وصولهِ الى باب المدينة السماوية لا يؤذَن لهُ بالدخول[1] قال الاَّ

(١) هذه الجواهر رمزٌ عن الايمان بالمسيح والولادة الثانية فان

Digitized by Google

تلين يا اخي في هذه المسئلة . فان العيس باع بكوريتهُ باكلةٍ واحدة[1] وتلك البكورية كانت هي جوهرتهُ العظمى . وان كان ذاك قد فعل كذلك افلا يمكن ان هذا يفعل مثلهُ . فقال نعم ان العيس باع بكوريتهُ واحرم نفسهُ البركات السموية كما يفعل كثيرون من امثالهِ . لكنهُ كان رجلاً جاهلياً ليس لهُ حظٌ من الايمان وكان من اصحاب الشهوات الذين الهتهم بطونهم . فلم يكن يهتمُّ الاَّ في اتمام شهواتهِ حيث قال هوذا انا اموت فاذا تنفعني البكورية[2] ولم يكن لتلك البكورية قيمةٌ عندهُ لانهُ لا يعتبر ما فيها من السريرة . فلا يُنكَر عليهِ ان يبيع شيطان الحجيم نفسهُ فضلاً عن بكوريتهِ كما يكون في من يتسلَّط جسدهُ على نفسهِ وليس لهُ ايمانٌ يردعهُ . فيكون كحمار وحشٍ متى استنشق

الاول يجعل لنا حقًّا في ميراث الملكوت والثاني يؤهّلنا للتمتُّع بهِ وبدون هذين الامرين لا يقدر احدٌ ان يدخل ملكوت الله

(١) عب ١٢ : ١٦ (٢) تك ٢٥ : ٣٢

ريح هواهُ لا يستطيع احدٌ ان يردَّهُ[1] واما هذا فان لهُ ولو قليلاً من الايمان وليس من ارباب النهم والشهوات. لان فكرهُ يميل الى الالهيات وحياتهُ مبنية على الروحيات السموية وهو يعرف قيمة جواهرهِ ولا يرضى بما يعتاض عنها من الدنايا الباطلة. كما ان اليمامة لا تغتذي بالفرائس كالغراب فمن كان قلبهُ خاليًا من الايمان الحقيقي قد يُرهِن او يبيع كل ما عندهُ ونفسهُ ايضًا لاجل شهواتهِ ولكن صاحب الايمان لا يفعل ذلك ولو كان ايمانهُ قليلاً. قال انا اسلّم بهذا لكني اتعجَّب ان هولاء اللصوص لما سمعوا صوت ماشٍ على الطريق هربوا فظهر انهم لم يكونوا من اهل البأس والجسارة وبحسب ذلك كان الاولى بهِ ان يقاومهم حتى يُغلَب ثم يستسلم لهم فكيف سلَّم نفسهُ بايديهم عفوًا. فقال قد اتهمهم كثيرون بالجبانة امَّا عند

(١) ار ٣:٢٤

الامتحان فقليلٌ من وجدهم كذلك . واما هذا الرجل فانهُ ضعيف القلب لايجسر على المقاومة . وكانك ترى الآن انك لو كنت مكانهُ لقدَّمت المقاومة على التسليم . وهذا وهمٌ منك فانهم لو وثبوا عليك مثلهُ لاثنى هذا العزم الذي تجدهُ الآن[1] . على ان هولاء اللصوص اعوانٌ لملك بير العمق الذي لو احتاجوا الى نجدةٍ لاتاهم بنفسهِ وهو يزأر كالاسد[2] وانا قد وقعت في يدهم مرةً كما وقع قليل الايمان فان هولاء الثلاثة وثبوا عليَّ وعندما تصلَّبت للمقاومة صرخوا صوتًا واحدًا واذا بسيّدهم قد اقبل ولو لم اكن متسلحًا بسلاح

(١) ما اهون التكلُّم في غيبة الاعداء ولكنهُ لا يجدي نفعًا . وما اجهل الذي يعتدُّ بنفسهِ ويفتخر بقوَّتهِ ولا يخضع بين يدي الله الجبَّار عالمًا انهُ ليس بشيءٍ من تلقاء ذاتهِ . ولا يخفى ان المسيح يوبِّخ مثل هذا كما فعل بولس مرارًا كثيرةً وذلك لاجل غيرتهِ على مجد الله وشدَّة محبَّتهِ للحقّ الذي هو يسوع المسيح

(٢) ١ بط ٥ : ٨

الحق كما شاء الله تعالى لسلّمتهم نفسي على انني مع ذلك السلاح ما كدت ادفعهم عني الاّ بجهدٍ عنيف. ولا يقدر احد ان يصف ما يصيبنا من الاهوال في تلك المعركة الاّ من اختبرها بنفسهِ. قال هذا لا يبعد ان يكون ولكن لمّا ترآءى لهم ان عظيم النعمة مُقبِلٌ هل كانوا يثبتون ام يهربون. فقال وهذا لا يُنكَر لانهم كانوا مرارًا كثيرة يهربون هم وسيّدهم من لقاء عظيم النعمة. ولا عجب من ذلك لان هذا الرجل بطل ملك المجد[1] واما بقية رعاياهُ فليس هم في طبقة هذا البطل من الثبات والاقدام. وفضلاً عن ذلك انت تعلم ان بعض القضايا قد يجري على غير القياس فمن كان

(١) من هنا نطّلع جليًّا على مقصود صاحب هذا الكتاب بعظيم النعمة الذي يذكرهُ مرارًا. فان الكتاب الالهي يخبرنا بان الرسل شهدوا بقيامة المسيح بقوّةٍ عظيمة لان نعمة عظيمة كانت معهم اجمعين (اع ٤: ٣٣) ومن ذلك يتّضح ان كلّ شيء من ابتداء الخلاص الى انتهائهِ هو من النعمة. فنتقرّر اننا مهما عملنا من الصلاح لاجل المسيح يجب ان ننسبهُ الى نعمة ربنا العظيمة لا الى انفسنا

Digitized by Google

يظن ان غلامًا صغيرًا يقتل جليات الجبَّار كما فعل داود . ولا يخفى ان الناس درجات فمنهم اقوياء ومنهم ضعفاء وهذا الرجل الذي سلبتهُ اللصوص كان من الضعفاء فغلبهُ من هو اقوى منهُ . قال اشتهي ان عظيم النعمة كان مكان هذا الرجل . فقال ولو كان كذلك لكانوا اتعبوهُ كثيرًا لانهُ وان كان حاذقًا في استعمال الاسلحة فانهُ ينجح ما دام قادرًا ان يدفع اعداءهُ عنهُ . واما اذا انعكفوا عليهِ من كل جانب فانهم ربما يصرعونهُ على الارض ويتمكنون منهُ وهو لا يستطيع ان يأتي بادنى حركة . ومن تفرَّس في وجههِ يرى فيهِ اثر الجراحات فيتَّضح لهُ صدق هذا الكلام . وقد سمعتهُ يقول في ايام جهادهِ انهُ قد يئِس حتَّى من الحيوة والاَّ فكيف هولاء الانفار واصحابهم جعلوا داود بإنٌ متنهِّدًا صارخًا[1] وكذا حزقيا وان

(١) مز ٨٨

كان بطلاً في عصرهِ فقد ضايقوهُ حتَّى ارتبك في جهادهِ ولم يفلت الاَّ وقد مزَّقوا ثيابهُ . وبطرس الرسول لما اراد ان يختبر قوَّتهُ معهم تغلَّبوا عليهِ وامسكوهُ حتَّى جعلوهُ اخيرًا يخاف من جارية صغيرة . وفضلاً عن ذلك ان ملكهم مستعدٌّ دايمًا لاستماع صراخهم وهو لا يتغافل عنهم ابدًا . فاذا حدث ان يتضايقوا بعض الاوقات يبادر اليهم بكل مكنتهِ ويكشف عنهم ذلك الضيق . ويقال عنهُ انهُ اذا ادركهُ السيف لا يوثر فيهِ ولا الرمح ولا السهم . والحديد يحسبهُ مثل التبن والنحاس مثل الخشب الذي يخرهُ السوس لا يهرب من القوس ويعدُّ الحجارة بالمقلاع مثل الهشيم ومثل اليبس يحسب المطرقة ويضحك على المزاريق[1] فاذا عسى الانسان ان يفعل في مثل هذه الواقعة الاَّ اذا كان راكبًا فرس ايوب الذي

(١) اي ٤١ : ٢٦ الى ٢٩

تلبس عنقهُ صهيلاً وهو يحفر التراب بحافرهِ ويخرج للقاء المتسلّحين ويضحك على الخوف ولا يخاف ولا يرجع من وجه السيف ولا يجفل من صوت البوق ومن بعيدٍ يستروح القتال واغراء القوّاد وضجيج الجيش (١) واما انا وانت الراجلين فلا يليق بنا ان نشتهي مصادفة الاعداء ومصادمتهم. ولا تخدعنا حميّة الفتوّة في الآمال والمطامع لان من كان على هذه الحال لا بدّ ان يكون قاصرًا عند امتحانهِ كما علمت من امر بطرس الرسول الذي ادّعى لنفسهِ بالشجاعة والثبات وهيّأ لهُ ضميرهُ الباطل ان يقول خيرًا ويفعل حسنًا ويثبت مع سيدهِ اكثر من بقية اصحابهِ ولما مسّت الحاجة هرب وسقط دون الجميع. وبناء على هذا ينبغي لنا اذا بلغنا ان في طرقنا لصوصًا ان نتخذ اتراسًا نتقّي بها حراب الاعداء وسلاحًا نخيفهم بهِ من الاقدام علينا.

(١) اي ٣٩: ١٩ الى ٢٥

واذا خلونا من ذلك فانهم يطمعون فينا ولا يخافون منا. ولذلك نبّهنا الرسول على اتّخاذ ما نتّقي بهِ سطوة العدو بقولهِ خذوا ترس الايمان في كل شيء الذي بهِ تقوون على اطفاء جميع سهام الخبيث المتقدة[1] والافضل من ذلك ان نطلب من الملك انهُ اذا لم يمكن ان يذهب معنا بنفسهِ يرسل معنا جنودًا يحفظوننا في ساير طرقنا. وهذا قد جعل داود يطمأن وهو في وادي ظلال الموت. وموسى اختار ان يموت اكثر من ان يذهب خطوةً واحدةً بدون الهٰهِ[2] واذا حصل لنا هذا المطلوب لانخاف من ربوات الشعوب المحيطين بنا[3] وبدونهِ نقع في الاسر ونسقط بين المقتولين[4] وانا يا اخي قد جرّبت القتال قبل الآن ولئن كنت قد سلمت فانني لا اتجاسر ان افتخر بشجاعتي لان نجاتي كانت بيدٍ عالية. واحبُّ اليَّ لوكنا لا

(١) اف ٦: ١٦ (٢) خر ٣٣: ١٥ (٣) مز ٣: ٥ الى ٨
(٤) اش ١٠: ٤

نصادف شيئًا من ذلك بعد فاني اخاف ان نكون لم نتجاوز كل الخطر في طريقنا ولكن اذ إنَّ الاسد والدب ما ابتلعاني فانا اثق بالله انهُ سوف ينقذنا من يد الفلسطيني الاغلف ايضًا. وانشد يقول شعرًا

يا قليل الايمان ماذا رماكا بين قومٍ من اللصوص هناكا
فتذكَّر يا مومنًا ذاك واطلب ان يزيد الايمان في احشاكا
وبهِ تغلب الالوف فان فا تَ فهيهات ذاك او بعض ذاكا

قال ولما فرغ المسيحي من انشادهِ انطلق بصاحبهِ والجهل يتبعهما حتى وصلا الى مكانٍ فيهِ طريق اخرى ظهرت انها مستقيمة نظير طريقهما فلم يعلما أيَّتهما يتسلَّمان[1] فوقفا هناك يتبصَّران. واذا برجلٍ اسود

(١) هذه الطريق التي ظهرت مستقيمة كالاخرى تشير الى الضلال شيئًا فشيئًا عن استقامة الانجيل في التعليم والعمل. وهي التي وصفها الحكيم بقولهِ قد يكون طريقٌ تُرَى للانسان انها مستوية وآخرها يفضي الى الموت ام ١٤: ١٢

عليهِ ثوبٌ ابيض قد استقبلها وقال ما بالكما واقفَين
هنا. فقالا اننا ذاهبان الى المدينة السموية وقد اشكلت
علينا هاتان الطريقان فلم نعلم أيَّتهما طريقنا. فقال انا
ماضٍ الى هناك فاتبعاني. فتبعاهُ واخذ بهما في تلك
الطريق التي بدت لهما. وما ابعدوا الاَّ قليلاً حتَّى
اخذت تلتوي وتُدبِر بهم عن المدينة التي كانا
طالبيها الى ان صارت وراءهم. وهما لا ينتبهان حتى
وصلا الى مكانٍ قد نُصِبَت فيهِ حبائل خفيَّة فما شعرا
الاَّ وقد اشتبكت في ارجلهما فامسكتهما عن العبور.
وعند ذلك سقط الثوب الابيض عن ذلك الرجل
الاسود فظهر لهما المكان الذي هما فيهِ وعرفا اين هما
فلم يعلما ماذا يصنعان وجعلا يبكيان على سوء حالهما.
فقال المسيحي لصاحبهِ انظر يا اخي هذه الغفلة. أَما
حذَّرتنا الرعاة من الملّق. فقد تمَّ بنا قول الحكيم القائل
ان الانسان الذي يكلّم صديقهُ كلامًا لطيفًا بالمكر فهو

يبسط شباكهُ لخطواتهِ[1] فقال صاحبهُ بلى وقد اعطونا كتابةً ترشِدنا في الطريق ايضًا فلم نفطن لها حتى وقعنا في هذه التهلكة

قال وبينما هما كذلك ابصرا رجلًا لامعًا قد اقبل عليهما وفي يدهِ سوطٌ من حبلٍ. فلما دنا منهما قال من اين اتيتما والى اين تذهبان وما تصنعان هنا. فقالا نحن سائحان منطلقان الى جبل صهيون اضلَّنا عن الطريق رجلٌ اسود عليهِ لباسٌ ابيض حتى علقنا بهذه الاشراك كما تري. فقال هذا ملّقٌ ورسولٌ كاذبٌ قد تشبَّه بملاك النور[2] ثم قطع تلك الحبايل

(١) ام ٢٩ : ٥ فلنحذر من الملَق والعُجب ومديح الناس والتعاليم التي توافق آراءنا الصادرة من مجرَّد حكمتنا وقوَّتنا لاننا متى شعرنا بافتقارنا الى الله وتأمَّلنا في ما علَّمنا اياهُ نكون في امان وطمانينةٍ بخلاف ما اذا نسينا ذلك وتغافلنا عنهُ فانهُ لا يبقى لنا شيءٌ من السلامة

(٢) دا ١١ : ٢٢ و٢ كو ١١ : ١٣ و١٤

واطلقهما وقال لهما اتبعاني حتى اردّكما الى الطريق الاولى. وتقدَّمهما وهما يتبعانهِ حتى وصلا اليها. فقال لهما اين بتمُّا البارحة. فقالا عند الرعاة على الجبال المبهجة. قال أَما اعطوكما صحيفة ترشدكما في الطريق فقالا بلى ولكن ذهلنا عنها. قال وأَلم يحذّروكما من الملّق. فقالا قد حذَّرونا ولكن لم نظنُّ ان ذلك الانسان صاحب الكلمات الطيّبة هو الملّق[1]

قال صاحب الرؤيا وحينئذٍ رأَيت انهُ اضجعهما وجلدها جلدًا عنيفًا ليعلّمها كيف يمشيان في الطريق المستقيمة[2] وبينما هو يضربهما قال لهما اني من احبُّهُ اوبخهُ واودبهُ فغارا الان غيرةً وتوبا[3] ثم كفَّ الضرب

(١) رو ١٦: ١٧ و١٨ (٢) تث ٥: ٢ و ١٢ اي ٦: ٢٧

(٣) رؤ ٣: ١٩ ان الله وان كان لايحرم بنيهِ الميراث فانهُ مع ذلك ينفقد خطاياهم بالعصي واثامهم بالسياط لاجل محبتهِ الابويَّة لهم. وحينما يعبس بوجوههم لا يغيّر محبتهُ اياهم وانما يغيّر طريقة معاملتهِ لهم. ولاريب انه يقصد بتاديبهم ان يجعل الخطية

Digitized by Google

عنهما وقال لهما سيرا في طريقكما واحفظا وصيّة الرعاة فشكراهُ على تاديبهِ واسرعا في الطريق المستقيمة ينشدان شعرًا

يا ايها السائِرون هلًّا ○ تقدّمون الغداة رحلا
لتنظروا ما جرى احتيالًا ○ للسائحَين اللذَين ضلًّا
صادفهما للعدى حبالٌ ○ اذ نَسِيا مَن اشار قبلا
والله نجّاهما ولكن ○ قد جُلِدا للقصاص عدلا
فاتخّذوا عبرةً بهذا ○ نقي ضلال المسير جهلا

ونظرا في اثناء ذلك فلاح لهما رجلٌ عن بعدٍ قد اقبل يركض في الطريق منفردًا. فقال المسيحي لصاحبهِ هذا رجلٌ راجعٌ من صهيون قد اقبل علينا. فقال صاحبهُ اني اراهُ فلنحترز منهُ لئلّا يكون مملقًا ايضًا. وكان الرجل يتقدّم شيئًا فشيئًا حتى وصل اليهما وكان يقال لهُ المُلحِد. فقال حيّاكما الله يا صاحبيَّ الى اين تذهبان. فقالا الى جبل صهيون فلما سمع المُلحِد ذلك

مكروهة عندهم ويزيدهم مماثلةً لصورتهِ القدوسة المحبوبة عندهُ

غاص في الضحك فقال لهُ المسيحي ما اضحكك يا صاح. فقال اراكما تتكلفان سفرًا طويلاً ولا تحصلان منهُ الاَّ على المشقَّة. قال ولماذا. فقال ان هذا المكان لا يوجد في جميع هذا العالم وانا قد سمعت بهِ لما كنت في بلدتي وخرجت في طلبهِ كما خرجتما وقد مضى عليَّ عشرون سنةً وانا التمسهُ وابحث عنهُ وما وجدت في كل هذه المدة اكثر مما وجدت في اول يومٍ خرجت فيهِ[1] قال اننا قد سمعنا بهِ ونصدّق بوجودهِ ايضًا. فقال وانا قد سمعت اولاً وصدَّقت ولولا ذلك لم اخرج من وطني حتى وصلت الى هنا واذ لم اجدهُ علمت انهُ اسمٌ لا مسمَّى لهُ لاني سعيت في طلبهِ اكثر منكما حتى تجاوزت الحد الذي وصلتما اليهِ كما تريان فلو كان موجودًا لوجدتهُ. ولذلك انا راجع الى وطني لكي امتّع نفسي بالتنعُّمات التي كنت اجتنبها طمعًا في

(١) جا ١٠: ١٥ وار ١٧: ١٥

ما علمت الان انهُ لا يوجد[1] فقال المسيحي لصاحبهِ
اترى هذا الرجل صادقًا في ما يقول. فقال الراجي
احذر منهُ لانهُ احد المملّقين. وتذكّر ما سلف لنا قبل
الآن في استماعنا لمثلهِ. وكيف لا يوجد جبل صهيون.
أما راينا باب المدينة ونحن على الجبال المبهجة.
وفضلاً عن ذلك اننا بالايمان نسعى لا بالعيان[2]
فدَعهُ وهلمَّ بنا ليلاً يدركنا ثانيةً صاحب السوط[3]

(١) اننا لا نخلو من اعداء مختلفين يحيطون بنا. فان المسيحي وصاحبهُ الراجي لم يفارقا المملّق المبرّر لنفسهِ حتى اتاهما المزدري الدنس الشهواني. وهو كان قد سبقهما في طريق السياحة غير انهُ رجع على اعقابهِ خاسرًا بعد ما استمرَّ عشرين سنة في طلب المنهج السموي. والان قد فقد كل نوعٍ من الايمان والرجاء وهو يزدري بهما ضاحكًا. ولكن ما اعظم رحمة الله التي يتعطف بها على الذين يحفظهم الى النهاية في طريق الايمان فلا يعثرون بحجر العثرة الذي يلقيهِ في سبيلهم المرتدون مثل هذا المزدري الفاسد (٢) ٢ كو ٥: ٧

(٢) ان النموذجات التي يقدمها الله لشعبهِ من جودتهِ ومجدهِ

وقد كان يجب عليك ان تعلّمني هذه المقالة التي ارشدك بها. فكفَّ اذًا ولا تزل تسمع التعليم ولا تكن غير عالمٍ باقوال العلم[1] ودعنا نؤمن بخلاص النفس[2] فقال المسيحي يا اخي انني لم اسألك كانني مشكّك في صدق ايماننا ولكن اردت ان امتحنك واجتني ثمرة خلوص قلبك. وانا اعلم ان هذا الرجل قد اعماهُ اله هذا العالم فلنذهب الآن عارفين ان لنا ديانة الحق وان كل كذبٍ ليس هو من الحق[3] فقال الراجي انني اسرُّ الان برجاء مجد الله فلننطلق عليهِ. وتركا الرجل فانطلق ايضًا في طريقهِ وهو يضحك عليهما

قال ثم رايت انهما مشيا حتى وصلا الى ارضٍ هواؤها رطبٌ يجلب النعاس على الغرباء الذين لم

العتيد ان يستعلن هي نافعة جدًّا للاحتراز من الضلالات المهلكة. وبهذا يقدرون ان يقاوموا اقوال المتعنتين الكفرة ويدحضوا جميع حججهم الباطلة

(١) ام ١٩: ٢٧ (٢) عب ١٠: ٣٩ (٣) ١ يو ٢: ٢١

يعتادوهُ. فدبَّ النعاس في اجفان الراجي حتى ثقلت وكاد لا يتمالك ان يفتح عينيهِ فقال للمسيحي قد غلب عليَّ النعاس فان شئت فلنرقد قليلاً ههنا. فقال معاذ الله من ذلك. قال لماذا يا اخي فان النوم طيّبٌ ولاسيما للتعبان فانهُ يعطي راحةً تعين على السفر. فقال نعم ولكن اذا نمنا هنا لا نعود نستيقظ ابدًا. اما تذكر ان احد الرعاة حذَّرنا من الارض التي مسَّتها اعمال الشيطان. وعَنَى بذلك اننا نحترز من النوم. فلا نرقد الان كسائر الناس ولكن فلنكن متيقظَين صاحيَين[1] قال آجرَك الله يا اخي فانني قد غفلت عن هذا. ولو كنت وحدي لنزل عليَّ الموت

(١) ١ تس ٥: ٦ الارض التي مسَّتها اعمال الشيطان كنايةٌ عن حال النجاة من التجارب والنجاح الدنيوي. وعلى الخصوص انهُ ينجح المسيحي في الامور الخارجية بغتةً وتتيسَّر حوايجهُ من غير عائق ولا مانع. وهذه الحال لا يوجد حالٌ تقتضي انتباهًا عظيمًا مثلها

في صورة النوم . وقد صدق ما قالهُ الحكيم أَن يكون اثنان معًا خيرٌ من ان يكون واحد[1] فقال انت تعلم ان الحديث مما يصرف النعاس فهل لك فيهِ . فقال حبذا ما تقول فانني مشتاق اليهِ جدًّا . قال بماذا ترى نفتتح الحديث . فقال حيث فتح الله علينا . قال قد حضرتني هذه الابيات فاريد ان انشدك اياها اولاً ثم اعود الى الحديث . وانشد

قل لمن يغلب النعاس عليهِ ◎ سائرًا في طريقهِ المستقيمِ
قف بنا واستمع تخاطُبَ ذين ال ◎ سائحين المفيد للتعليمِ
وتعلَّم حفظ العيون الثقيلا ◎ ت نعاسًا من ربقة التهويمِ
انما عثرة الفتاة اذا ما ◎ أُخلِصَت من نقيّ قلبٍ سليمِ
تحفظ العينَ في تيقُّظها وال ◎ قلبَ رغمًا عن انف اهل الجحيمِ

ولما فرغ المسيحي من انشادهِ التفت الى صاحبهِ وقال يا اخي كيف كنت قبل السياحة وماذا حملك عليها . فقال اني بقيت زمانًا مديدًا في التنعُّم بالاشياء التي

(١) جا ٤ : ٩

كانت تُرى وتباع في سوقنا وانا اعتقد الآن انني لو بقيت منعكفًا عليها لكانت غرَّقتني في لجَّة الهلاك. قال وما هي هذه الاشياء. فقال هي ذخائر هذا العالم وغناهُ التي كنت اتمتَّع بها وكنت التذُّ جدًّا بالملاهي والشراهة والسكر والحلف والكذب ومخالفة يوم الرب واشباه ذلك مما يقود الى الهلاك. غير اني وجدت اخيرًا باستماعي الامور الالهية التي سمعتها منك ومن صاحبك الامين الذي قُتِل في سوق الاباطيل ان غاية هذه الاشياء هي الموت[1] وانهُ من اجل هذه الاشياء ياتي رجز الله على ابناء المعصية[2] قال فهل أثَّرت فيك حالًا هذه الاقوال. فقال لا لاني ما اردت حالًا ان اعرف شرَّ الخطيَّة ولا الدينونة التي تجب على الذين يرتكبونها. لكنني كنت اجتهد عند ما يهيج ضميري بكلمةٍ ان اغمّض عيني لئلَّا ارى نورها.

(١) رو ٦: ٢١ الى ٢٢ (٢) اف ٥: ٦

قال ماذا كان يجعلك تفعل ضدَّ ما كان يفعلهُ فيك روح الله القدوس. فقال لم اكن اعلم ان ذلك فعل الله لان نفسي لم تكن تحدّثني ان الله يبتدئُ في ارجاع الخاطي عن اثمهِ بتنبيههِ اياهُ على الخطيَّة. وكانت الخطية لذيذةً عندي حتى لا اطيق تركها ولا افراق احبائي الذين كانوا شركائي فيها. فكنت لا اطيق التوبيخ عنها وامقت الذين يوبّخوني والزمان الذي أُوبَّخ فيهِ[1] قال أَما خلا قلبك حينًا ما من هموم الآخرة. فقال نعم ولكن كانت تتردَّد اليَّ فاكون اشقى مما كنت قبلاً. قال فاذا كان يردّدها اليك. فقال كنت اذكرها اذا

(١) ان الخاطي عند ما يكون منهمكًا في الخطيَّة بطمانينةٍ ومهتمًّا في تمتيع حواسهِ باللذات الباطلة ينبههُ الروح الالهي بقوَّتهِ الفعَّالة على ان هذه الاباطيل خيالٌ يزول سريعًا وان لا شيء ثابت الاَّ ما كان ابديًّا. وعند ذلك ياخذ في عمل التوبة وتهذيب السيرة. ولكن البلايا التي تعرض لهُ مرارًا كثيرة تعرّفهُ بضعفهِ فيكلُّ من الجهاد الفارغ ويبأس من نوال بغيتهِ ويرجع الى المسيح المستعلن لهُ من الروح ويفرح متهللاً بهِ وببرهِ ومجدهِ

لقيت رجلاً صالحًا او سمعت قراءة الكتاب المقدس
او مرضت او سمعت بمريضٍ او ميتٍ لاسيما اذا مات
بغتةً او افتكرت باني ساموت وعلى الخصوص باني
سانطلق الى الدينونة . قال وعند ذلك أما كنت
تستطيع ان تلقي عنك بسهولةٍ ثقل الخطية . فقال لا بل
كان يغلبني هوى الطبيعة ولو كان عقلي يخالفهُ فربما
تمكَّنت الاخواف في ضميري باكثر مما كانت . قال
فكيف صنعت بعد ذلك . فقال قد جرَّدت فكري
لاعتبار انهُ يجب عليَّ الاجتهاد في اصلاح حياتي والاَّ
فلا بدَّ من وقوعي تحت الدينونة الصارمة . قال ثم
ماذا . فقال وهربت من الخطايا واسبابها ومجالسها
والزمت نفسي الصلوة والقرآءة والبكآء والصدق
وهلمَّ جرًّا . قال وهل شعرت في نفسك حينئذٍ
بالراحة . فقال نعم وذلك في برهةٍ يسيرة الاَّ ان ذلك
الاضطراب راجعني بعد ذلك وتغلَّب على كل ما

فعلت من الصلاح. قال وكيف ذلك. فقال بينما كنت منعكفًا على قراءة الكتاب المقدس عثرت على قولهِ انهُ باعمال سنَّة الناموس لا يتبرَّر احدٌ[1] وقولهِ اذا فعلتم كل ما أُمِرتم بهِ فقولوا اننا عبيد بطالون[2] وعبارات اخر كثيرة مثل هذه مما يضعِّف رجاء الخلاص. فقلت في نفسي اذا كان ذلك كذلك فالطمع في الخلاص بواسطة سنَّة الناموس جهالة. ثم التفتُّ الى تلك الحالة التي كنت عليها قبل ذلك فقلت احسب انني اقتصرت الآن عنها فما انا الاَّ كمن عليهِ دينٌ لتاجرٍ لا يزال يشتري منهُ ايضًا وليس في يدهِ ما يقوم بوفاء الدين والثمن. فهو يعطيهِ اثمان الحوائج التي يشتريها منهُ واما الدين فباقٍ عليهِ يستحق التاجر ان يطالبهُ بهِ ويقدر ان يحبسهُ حتى يدفعهُ اليهِ. قال وكيف ذلك. فقال اني قد سجَّلت عليَّ ديونًا باهظة في

(١) غل ٢:١٦ (٢) لو ١٧:١٠

دفتر العدل الالهي بسبب خطاياي واعمالي الصالحة
الآن لا تفي تلك الديون ولذلك لا ازال مع كل
صلاحي الحاضر افتكر كيف انجو من العقاب الذي
القيت نفسي في خطرهِ بسبب مخالفتي القديمة. قال
احسنت واجملت ثم ماذا. قال قد ازعجني شيءٌ اخر
من اوّل شروعي في اصلاح سيرتي وهو انني اذا
امعنت النظر في احسن ما يكون من افعالي ارى
خطية جديدة ممتزجة فيهِ ولذلك التزمت ان
اعتقد انني مع كل تهذيب اعمالي ارتكب كل يوم
خطايا كافية للهلاك ولو كانت حياتي السابقة بريةً
من الذنوب. قال فماذا فعلت حينئذٍ. فقال اني لم
اكن اقدر ان اعرف ماذا افعل ولكن كان لي اتّصالٌ
مع الامين فكاشفتهُ بذلك فقال ان لم تمتلك برَّ
انسانٍ لم يخطئ قط لا يقدر برُّك ولا برُّ كل العالم ان
يخلّصك. قال وكيف رأيت كلامهُ. فقال لو قال لي

ذلك وانا مصرٌّ على الاكتفاءِ بمجرَّد اعمالي الخلاصية لحسبتهُ جاهلاً ولكن بعد ما رأَيت ضعفي وملابسة الخطية لاحسن اعمالي سلَّمت الى رايهِ. قال وهل سلَّمت بوجود انسانٍ لم يخطئ قط كما ذكر. فقال انني استغربت ذلك اولاً ولكن بعد ما تقدَّمنا شيئًا في الحديث سلَّمت. قال كانَّك سأَلتهُ من هو وكيف تتبرَّر بهِ. فقال نعم قد سأَلتهُ. فقال انهُ الرب يسوع الجالس عن يمين العظمة العليا[1] وقال يجب عليك ان تتبرَّر بهِ بالاتكال على ما فعلهُ بذاتهِ لمَّا تأَنَّس وتألَّم وعُلِّق على الخشبة[2] فقلت لهُ كيف يمكن ان يكفي برهُ لتبرير الآخرين قدَّام الله. فقال ان لهُ قدرةً باهرةً على كل شي وهو قد فعل ما فعل واقتبل الموت لا من اجل ذاتهِ بل لاجلك فكل اعمالهِ وكل

(١) عب ١٠: ١٢ الى ٢١ (٢) رو ٤: ٥ وكو ١: ١٤ وا بط ١: ١٩

Digitized by Google

استحقاقاتها تحسب لك اذا آمنت بهِ. قال فماذا فعلت حينئذٍ. فقال قلت لهُ اخاف ان يطردني. قال فماذا قال لك. فقال قال لي امضِ اليهِ وانظر. فقلت تلك جسارةٌ لا اقدم عليها. فقال لا فانني انا قد دُعيت لان امضي[1] ثم اعطاني كتاباً قد كتبهُ يسوع يريد ان يُشجّعني على المضيّ واخبرني عن ذلك الكتاب وقال لي ان السماء والارض تزولان وكلامهُ لا يزول[2] فسألتهُ ماذا افعل اذا مضيت اليهِ. قال تتضرَّع اليهِ جاثياً على ركبتيك[3] من كل قلبك ونفسك[4] حتى يظهرهُ لك الآب. قلت وكيف اتضرَّع اليهِ واين القاهُ. قال اذهب اليهِ فتجدهُ على عرش الرحمة حيث يجلس على الدوام ليمنح العفو والمغفرة لكل من ياتي اليهِ[5] قلت لا اعلم ماذا اقول اذا اتيت اليهِ. قال قل

(١) مت ١١: ٢٨ (٢) مت ٢٤: ٣٥ (٣) مز ٩٤: ٦ ودا ٦: ١١ (٤) ار ٢٩: ١٢ و١٣ (٥) خر ٢٥: ٢٢ ولا ١٦: ٢ وعد ٧: ٨٩ وعب ٤: ١٦

ارحمني اللهمّ انا الخاطئ واجعلني اعرف يسوع المسيح واومن بهِ لانني ارى اني لولا برُّهُ او اذا لم اومن ببرّهِ أُطرَح خارجًا لامحالة. يا رب اني قد سمعت انك الهٌ رحوم وانك قد جعلت ابنك يسوع المسيح مخلّصًا للعالم وانك تشاء ان تفيض نعمتهُ على الخطاة وانا خاطئٌ بالحقيقة فاسأَلك ان تعظّم هذه النعمة بخلاص نفسي لاجلهِ وحبًّا بهِ. قال المسيحي فهل عملت كما امرك الامين. فقال نعم قد فعلت كذلك مرارًا كثيرة. قال فهل اظهر الاب لك الآبن. فقال قد طلبت ذلك الى ست مراتٍ فلم اجدهُ. قال وماذا عملت بعد ذلك فقال لم اعلم ماذا اعمل. قال أَما خطر لك ان تترك الصلوة. فقال بَلَى ولكنني أَبيتُ. قال ولماذا. فقال لاني اعتقدت ان كل ما قيل لي حقٌّ فوثقت بان العالم كلهُ لا يقدر ان يخلّصني بدون برّ المسيح وانني اذا تركتهُ اموت. ثم ذكرت قول القائل انهُ ان

كان يستأخر فاصبر عليهِ فانهُ سيجيء ولا يُبطِئ[1] وبناءً على ذلك لم ازل اصلي حتى اظهر الآب لي ابنهُ. قال فكيف اظهرهُ لك. فقال اني لم ارَهُ بعينيَّ الحسيتين ولكن باعين فهمي[2] وذلك انني كنت لا ازال اجدّد النظر في سماجة خطاياي واتأمَّل شناعتها المريعة الى ان كنت ذات يومٍ كذلك فحكمت على نفسي بالعقاب الابديّ وغشيتني هنالك وحشةٌ لم اجدها قبل ذلك قط وبينما انا على تلك الحالة اذ ترآءى لي ان يسوع ينظر اليَّ من السماء ويقول آمِن بالرب يسوع فتخلص[3] فقلت يارب انا خاطي وخطاياي عظيمة جدًا. فقال تكفيك نعمتي[4] فقلت يا سيّدي ما هو الايمان. فسمعتهُ يقول من يُقبِل اليَّ فلا يجوع والذي يومن بي لا يعطش[5] فظهر لي ان الايمان بهِ والاقبال اليهِ شيءٌ واحدٌ وان الذي يُقبِل اي الذي ينعطف قلبهُ نحو

(١) حب ٢:٣ (٢) اف ١:١٨ و١٩ (٣) اع ١٦:٣١
(٤) ٢كو ١٢:٩ (٥) يو ٦:٣٥

الخلاص الذي بالمسيح هو المؤمن بالمسيح حقًّا.
ففاضت عيناي بالدموع فقلت يا سيّدي هل
يستطاع لمن كان عظيم الخطايا مثلي ان ينال نعمة منك
ويخلص بك. فسمعتهُ يقول من يُقبِل اليَّ فلا اطرحهُ
خارجًا(١) فقلت وماذا يجب على عبدك ان يعتبر اذا
اقبل اليك ليكون ايمانهُ مستقيمًا. فسمعتهُ يقول ان
خلاصة الايمان هي ان يسوع المسيح انما جاء الى الدنيا
لكيما يخلّص الخطاة(٢) وهو غاية سنَّة التوراة برًّا لكل
من يومن وهو أُسلِم من اجل خطايانا وقام ليبرّرنا(٣)
واحبَّنا وغسلنا من خطايانا بدمهِ(٤) وهو الوسيط بيننا
وبين الله(٥) وهو حيٌّ في كل حين يشفع فينا(٦) فنتج لي
من هذه العبارات انهُ يجب عليَّ ان اطلب البرَّ منهُ
وان غفران خطاياي بدمهِ وان ما فعلهُ بطاعتهِ

(١) يو٦: ٣٧ (٢) اتي ١: ١٥ (٣) رو ١٠: ٤
و٤: ٢٥ (٤) رؤ ١: ٥ (٥) اتي ٢: ٥ (٦) عب ٧: ٢٥

Digitized by Google

لشريعة ابيهِ وخضوعهِ لقصاصها لم يكن لاجل ذاتهِ بل لاجل من يقبلهُ بالشكر كخلاصهِ . وحينئذٍ امتلأ قلبي سرورًا وعيناي دموعًا وفاضت عواطف قلبي بالمحبة لاسم يسوع المسيح وشعبهِ وطرقهِ . قال المسيحي ان هذا هو ظهور المسيح لنفسك بالحقيقة فماذا اثر في قلبك هذا الظهور . فقال جعلني ارى ان كل العالم مع كل برّهِ تحت حكم القصاص وان الله الآب يقدر ان يبرّر الخاطئ ولا ينثلم عدلهُ لان ابنهُ الحبيب قد فداهُ بدمهِ الكريم . وصيّرني اخزى جدًّا من سماجة سيرتي السابقة واحب الحيوة المقدَّسة وافعل ما استطيع ان افعلهُ لاكرام اسم الرب يسوع ومجدهِ واريد ان اسفك دمي على آخر نقطةٍ لاجلهِ[1]

(١) ان الايمان بالمسيح كما تعلّمنا الكتب الالهية يكشف لانفسنا عن ذات الله ويقدّمهُ لها كالهٍ عادلٍ مخلّصٍ . ولا شك ان مثل هذا الايمان يجعل صاحبهُ يحزن من جرَى خطاياهُ ولا سيما الخطايا التي غفرها الله لهُ ويكشف لهُ عن منظر عمانوئيل

قال صاحب الرؤيا ثم رأيت ان الراجي التفت الى خلفهِ فرأى الجهل الذي كانا قد تركاهُ وهو يتبعهما. فقال للمسيحي انظر صاحبنا كيف يتمشّى ورآءنا عن بعدٍ. فقال انا انظرهُ واعلم انهُ لا يرغب في مرافقتنا. فقال نعم ولكن لو كان مشى معنا الى هنا لكان انتفع بصحبتنا. قال قد قلت الحق ولكنني اظنُّ انهُ يعتقد خلاف ذلك. فقال اظنُّ هذا ولكن فلننتظرهُ حتى يصل الينا. قال فانتظراهُ ولمَّا دنا منهما قال لهُ المسيحي لماذا تخلَّفت ورآءنا يا صاح. فقال احبُّ الانفراد في المشي اكثر من الرفقة الَّا اذا كانت كما اهوى. فقال المسيحي للراجي سرًّا أما قلت لك انهُ لا يحبُّ مرافقتنا. ثم التفت الى الجهل وقال لهُ هلمَّ يا اخي نتحدَّث في هذه الطريق فلعلك تجد في صحبتنا ما يسرُّك. اخبرني كيف انت وما حال نفسك مع الله الآن. فقال خيرٌ

البديع ورتبة وظايفهِ السامية ويجعل في قلبهِ محبةً ورغبةً حارة لتمجيدهِ

وسلامةٌ كما اظنُّ لاني دايمًا ممتلئٌ افكارًا صالحة تعزّيني وانا ماشٍ في الطريق. قال حيّاك الله فما هي هذه الافكار الصالحة. فقال هي الافكار عن الله وعن السمآء. قال ليس هذا مما نحن فيهِ لان ارواح الشياطين وانفس الهالكين تستعمل هذه الافكار. فقال نعم ولكن انا افتكر بذلك واشتهيهِ. قال وهكذا يفعل كثيرون ممَّن لا يحصلون عليهِ فقد قال سليمان الحكيم ان نفس الكسلان ترغب وتشتهي ولكنها لا تحوز شيئًا[1] فقال انا اشتهيهِ واترك كل شيءٍ لاجلهِ قال انني اشكُّ في هذا لان ترك كل شيءٍ امر صعب اكثر ممَّا يظنُّ كثيرون من الناس وفضلاً عن ذلك فكيف علمت انك قد تركت كلَّ شيءٍ لاجل الله والسمآء. فقال ان قلبي يقول لي هكذا. قال ان الحكيم يقول من يتكل على قلبهِ فهو جاهلٌ[2] فقال ذلك قيل عن القلب الردي واما

(١) ام ١٣: ٤ (٢) ام ٢٨: ٢٦

قلبي فصالحٌ. قال فكيف تثبّت ذلك. فقال انهُ يعزّيني برجآء الخلاص. قال يمكن ان يكون ذلك غشًّا منهُ لان القلب قد يجلب تعزياتٍ في ما لا يحقُّ الرجآء فيهِ. فقال ان قلبي يطابق حياتي في الصلاح والسلامة وذلك يدلُّ على ان رجآءي ثابتٌ. قال من يشهد لك بهذه المطابقة. فقال قلبي يشهد لي بها. قال ان لم تشهد كلة الله في مثل هذا فالشهادات الاخر لا يُعتَدُّ بها. فقال اليس القلب ذو الافكار الصالحة صالحًا واليست العيشة المطابقة لوصايا الله جيّدة. قال نعم ولكن امتلاكهما بالحقيقة شيءٌ والافتكار بهما شيءٌ آخر. فقال افدني ما هي الافكار التي تحسبها صالحة والعيشة التي تعدُّها مطابقة لوصايا الله. قال ان الافكار الصالحة تكون على انواع فمنها ما يلاحظ ذواتنا ومنها ما يلاحظ الله وبعضها يلاحظ المسيح وبعضها يلاحظ اشياءَ اخر. فقال ما هي الافكار

الصالحة التي تلاحظ ذواتنا. قال هي التي توافق كلمة الله. قال فمتى توافقها. فقال حينما نحكم على ذواتنا بما تحكم بهِ فانها تقول ليس بارًّا ولا واحد ولا من يعمل صلاحًا[١] وان كل فكر البشر مائل الى السوء في كل اوان[٢] وان فكر قلب الانسان مائلٌ الى الشرّ منذ صبائهِ[٣] فمتى حكمنا على ذواتنا هكذا شاعرين بذلك تكون افكارنا صالحة موافقة لكلمة الله. قال لا اصدّق ان قلبي ردي بهذا المقدار[٤] فقال هذا يدلُّ على انهُ لم يكن لك قط فكرٌ صالح بخصوص ذاتك طول أيّام حياتك. ثم ان الكلمة تحكم على طرقنا ايضًا كما

(١) رو ٣: ١٠ (٢) تك ٦: ٥ (٣) تك ٨: ٢١

(٤) هذا يشير الى ان النور السموي لم يشرق على قلبهِ ليرى شدّة ردآءتهِ وبالنتيجة يدلُّ على ان القلب يغشُّ الجهال من المسيحيين لانهُ يجعلهم يتوهمون انهم قد امتلكوا الصلاح التام ويمنعهم من الاتكال المحض على كفارة المسيح لاجل الغفران وعلى برهِ فقط لاجل التبرُّر والحيوة

تحكم على قلوبنا ومتى اتفقت افكار قلوبنا وطرقنا مع حكم الكلمة عليها تكون قلوبنا وطرقنا صالحة. قال اوضح لي معناك يا اخي. فقال ان كلمة الله تقول ان سبل الانسان معوجَّة ومناهجهُ مذمومة شريرة وتقول ايضًا انهم بالطبيعة بعيدون عن الطريق الصالحة غير عارفين بها[1] فحينما يفتكر الانسان هكذا في سبلهِ بصحة فكرٍ وتواضع قلبٍ تكون حينئذٍ افكارهُ بطرقهِ صالحة لانها تكون مطابقة حكم كلمة الله. قال وما هي الافكار الصالحة عن الله. فقال كما قلت سابقًا بخصوص افكارنا عن ذواتنا هكذا اقول بخصوص افكارنا عن الله ايضًا انها تكون صالحة عند ما تكون مطابقة لما تقولهُ الكلمة اي عند ما نفتكر عن وجودهِ وصفاتهِ كما علَّمتنا الكلمة. وانا لا اقدر الآن ان استوفي الكلام عن ذلك ولكن فلنتكلم عنهُ تعالى في ما

(١) مز ١٢٤: ٥ وام ٢: ١٥ ورو ٣: ١١

يتعلّق بنا فنقول ان افكارنا تكون مستقيمة عن الله عند ما نفتكر انهُ يعرفنا احسن مما نعرف ذواتنا ويقدر ان يرى الخطية فينا حينما او حيثما لا نراها. وعند ما نفتكر انهُ يعرف افكارنا الباطنة وان قلوبنا مع كل اعماقها مبسوطة دائمًا امام عينيهِ. وعند ما نفتكر ان كل برنا يسبح في حضرتهِ وانهُ لا يطيق ان يرانا واقفين قدامهُ بالاتكال ولو على احسن اعمالنا. قال اتظنُّ انني جاهل بهذا المقدار حتى افتكر ان الله لا يقدر ان يرى اكثر مني او انني اقدر ان اتمّ وصاياهُ بافضل اعمالي الصالحة. فقال وكيف تفتكر في شان هذه القضية. قال انا اقول بالاختصار انني افتكر انهُ يجب عليَّ ان اومن بالمسيح للتبرير. فقال يا للعجب كيف تفتكر انهُ يجب عليك ان تومن بالمسيح وانت لا ترى احتياجك اليهِ ولا خطاياك الاصلية او الفعلية لكنك تثق بنفسك وبعملك كأنك لا ترى لزوم برّ

المسيح الشخصي لكي يبرّرك قدام الله. فكيف تقول انك تومن بالمسيح. قال اني اومن مع كل ذلك بالحقيقة. فقال كيف تومن. قال اني اومن ان المسيح مات لاجل الخطاة واني اتبرَّر امام الله من اللعنة بقبولهِ مني الطاعة لشريعتهِ. او ان المسيح يجعل واجباتي الدينية مقبولةً من ابيهِ بواسطة قوَّة استحقاقاتهِ وهكذا اتبرَّر[1] فقال اريد ان اجيبك عن ايمانك هذا. فاقول اولًا انك تومن ايمانًا وهميًّا لان هذا الايمان غير مذكور قطعًا في كلمة الله. ثانيا انك تومن ايمانًا كاذبًا لانك تاخذ التبرير من برّ المسيح الشخصي وتضيفهُ الى برّك. ثالثًا ان هذا الايمان لا يجعل المسيح مبرّرًا لك بل مبرّرًا لافعالك ومبرّرًا لك لاجل افعالك وهذا باطل. رابعًا ان هذا

(١) ان كلام الجهل يطابق تعليم كثيرين من المسيحيين بالاسم الذين لا ينكرون برّ المسيح بالفاظٍ صريحة ولكن بسبب الشروط التي يضعونها يجعلونهُ عادم التاثير اصلًا

Digitized by Google

الايمان غاش حتى انهُ سيلقيك تحت الغضب في يوم
الله الرهيب. لان الايمان المبرّر يجعل النفس عند ما
تشعر بحالتها الهلكة بواسطة الشريعة تلتجئ الى برّ
المسيح وهذا البرُّ ليس هو فعل نعمةٍ يجعل طاعتك
مقبولة عند الله لاجل التبرير لكنهُ اطاعة المسيح
الشخصية للناموس بعملهِ واحتمالهِ لاجلنا ما يطلبهُ
الناموس منا. فاقول ان هذا البرَّ يقبلهُ الايمان الحقيقي
ويترسهِ بحامي عن النفس ويحضرها قدام الله من غير
عيب مقبولة ومعتقة من العقاب. قال يا للعجب هل
تريد ان نتكل على ما فعلهُ المسيح بنفسهِ من دوننا.
ان هذا الراي يطلق عنان شهواتنا ويأذن لنا ان نعيش
كما نريد. لاننا اذا كنا نقدر ان نتبرَّر ببرّ المسيح الشخصي
من كل عيب بواسطة ايماننا بهِ فماذا يضرُّنا كيفما عملنا.
فقال صدق الذي سماك الجهل وجوابك هذا يثبت
صدقهُ. وانت تجهل ماهية البرّ المبرّر ولا تعلم كيف

تحفظ نفسك بالايمان بهِ من غضب الله وتجهل ايضًا تاثيرات الايمان ببر المسيح الحقيقية التي تخضع القلب وتميلهُ الى الله بالمسيح ليحبَّ اسمهُ وكلمتهُ وطرقهُ وشعبهُ لا كما تتوهَّم انت بجهلك . فقال الراجي سَلْهُ هل استعلن لهُ المسيح من السماء حينًا ما . قال الجهل انت رجلٌ تطلب الاستعلان وانا ارى ان كل ما تقولهُ انت ويقولهُ غيرك في شان هذه القضية ليس الاَّ نتائج جنون . فقال الراجي لماذا تقول هكذا ايُّها الرجل ان المسيح محجوب عن ادراك كل الطبيعة البشرية ولا يمكن ان يعرفهُ احد مطلقًا الاَّ من اظهرهُ الآب لهُ . قال الجهل ان هذا ايمانكما لا ايماني ولكنني لا ارتاب في ان ايماني جيدٌ كايمانكما ولو كان راسي خاليًا من التخيُّلات بخلاف راسيكما . فقال المسيحي للراجي يا اخي دعني اكملهُ كلمة اخرى . والتفت الى الجاهل وقال لهُ انهُ لا يليق بك ان تتكلَّم في شان هذه

القضية مستخفًّا بها لانني اثبت بجرآءةٍ كما فعل رفيقي الصالح انهُ لاحد يقدر ان يعرف يسوع المسيح الاَّ بالاستعلان من الآب حتى ان الايمان الذي بهِ نتمسك النفس بالمسيح اذا كان مستقيمًا يجب ان يكون من فعل قوَّتهِ الفائقة الجلال[1] فاني اراك ايها الجهل المسكين جاهلاً عمل هذا الايمان فاستيقظ اذًا وانظر شقاوتك واهرب الى الرب يسوع فتخلص من العقاب ببرّهِ الذي هو برّ الله لانهُ هو الله. فقال الجهل هذا بحث طويل واراكما تستعجلان في مسيركما وانا لا اقدر ان ارافقكما فاسبقاني

قال فتركاهُ وجعلا يترنمان قائلَين شعرًا

يا ايها الجهلُ أتبقى في الحمق وترفض النصح الذي منا صدق
ان لم تزل ترفضهُ كما سبق فسترى الشرَّ قريبًا قد طرق
اذكر ولا تجزع فقول الحق حق ينجيك فاسمعهُ وثق كمن وثق
واعلم لئن ظَلِلتَ تمشي في الغسق فانت مدفوعٌ به الى الغرق
في بحر نارٍ طبقًا على طبق

(١) مت ١ ٢١:٢٧ و ١ كو ١٢ :٣ و اف ١ :١٧ الى ١٩

قال صاحب الرويا ورايت المسيحي والراجي بعد ذلك تقدَّما وحدهما وكان الجهل يمشي ورآءهما متباطئًا. فقال المسيحي لرفيقهِ اني اشفق كثيرًا على هذا الرجل المسكين لان عاقبتهُ ردية. فقال الويل لهُ وانهُ يوجد ايضًا في بلدنا اناس كثيرون على هذه الحال عيالاً كاملة واسواقًا بتمامها حتى من السائحين ايضًا. واذا كان في بلدنا يوجد اناسٌ كثيرون هكذا فكم تظن انهُ يكون في بلدهِ. قال حقًّا ان الكلمة قالت اغمض عيونهم لئلَّا يبصروا[1] ولكن حيث اننا الان وحدنا نتحدَّث في هذه القضية فاذا تفتكر عن اناس مثل هولاء. أتظن ليس لهم ابدًا ألَم الخطية ولا خوف خطرها. فقال الجواب اليك عن هذه المسئلة لانك اكبر مني سنًّا. قال اذًا اقول اني اظنُّهم يشعرون احيانًا ولكن لانهم جهالٌ طبعًا لا يفهمون ان مثل

(١) يو ١٢: ٤٠

Digitized by Google

هذا الألَم يحدث لاجل اصلاحهم ولذلك يطلبون بحماقةٍ ان يخمدوهُ ويواظبون على مخادعة نفوسهم في طريق شهوات قلوبهم. فقال انا ارى كما تقول اي ان الخوف يؤول كثيرًا لخير الناس ويجعلهم مستقيمين في اول سياحتهم. قال نعم انهُ يفعل ذلك من غير شكّ اذا كان حقيقيًّا. لان الكلمة تقول بدء الحكمة مخافة الرب[1] فقال كيف تميّز الخوف الحقيقي. قال ان الخوف الحقيقي يُبيَّن بثلثة امور. الاوَّل ببدايتهِ فانهُ يصدر من آلامٍ للخطية ثابتة مثمرة الخلاص. الثاني باماتتهِ النفس الى التمسك بالمسيح لاجل الخلاص. الثالث بتوليدهِ في النفس على الدوام احترامًا عظيمًا لله وكلمتهِ وطرقهِ وبحفظهِ لها منسحقة وجعلهِ اياها تخاف ان ترجع عنهُ يمينًا او شمالًا الى الاشياء التي تهينهُ وتعدم سلامتها وتحزن الروح او تجعل العدو يتكلَّم

(١) اي ٢٨: ٢٨ ومز ١١١: ١٠ وام ١: ٧ و٩: ١٠

بالهزء. قال قد اصبت ولكن اسالك هل قربنا من
الخروج عن الارض المسحورة. فقال وما بالك تسال
عن هذا العلّك ضجرت من هذا الخطاب. قال كلّا
ولكن اريد ان اعرف اين نحن. فقال قد بقي لنا
ميلان حتى نخرج منها. ولكن دعنا نرجع الى
موضوعنا. فنقول ان الجهال لايعلمون ان هذه الالام
التي تحدث لتخويفهم هي لاجل منفعتهم ولذلك
يطلبون تخفيفها. قال وكيف يطلبون ذلك. فقال
اولًا ان هذه التخويفات ولو كانت صادرة من الله فانهم
يظنّون انها صادرة من الشيطان ويضادّونها كأنها
تؤدّي الى هلاكهم. ثانيًا يظنّون ان هذه التخويفات
تحدث لتسلب ايمانهم حينما لايكون عندهم ايمان
بالكلية. ولذلك يقسّون قلوبهم عليها. ثالثًا يزعمون
انهُ لايجب ان يخافوا ولذلك يطمأنّون في فعل
الشرور. رابعًا يرون ان تلك التخويفات تعرض

لتسلب منهم برارتهم القديمة الوهمية ولذلك يقاومونها بكل استطاعتهم. قال انا اعرف بعضًا من هذه الامور لاني قبل ان عرفت ذاتي كنت على تلك الحالة. فقال المسيحي لنترك الان قريبنا الجهل جانبًا ونتكلّم في بحث اخر مفيد. قال اني ارغب ذلك من كل قلبي ولكن اريد ان تبتدئ انت في الكلام. فقال نعم هل عرفت منذ عشر سنواتٍ رجلاً يقال لهُ الفاني يسكن في نواحيكم وكان يتظاهر بحفظ الديانة. قال نعم اعرفهُ وهو كان ساكنًا في دارٍ بجانب بيت رجلٍ يقال لهُ المرتد في قريةٍ يقال لها الخالية من النعمة تبعد نحو ثلثة اميال عن مدينة يقال لها الصدق. فقال صدقت وان هذا الرجل انتبه مرةً من غفلتهِ ونظر شيئًا من شرّ خطاياهُ ومن الاجرة التي تستحقها. قال ان رايي يوافق رايك في ذلك لانهُ اذ كان بيتي لم يبعد عنهُ الانحو ثلثة اميالٍ كان ياتي اليَّ مرارًا كثيرة

بدموعٍ غزيرة وكنت اشفق عليهِ ولا ايأس منهُ بالكلية. ولكن قد يسوغ للانسان ان يقول ليس كلُّ من يقول يا رب يا رب يدخل ملكوت السموات[1] فقال انهُ قال لي مرَّةً انهُ عزم على السياحة كما نحن الآن الاَّ انهُ تعرَّف بغتةً برجلٍ يقال لهُ مخلّص ذاتهِ وحينئذٍ صار غريبًا مني. قال اذ قد اخذنا في الكلام عنهُ فلنبحث قليلاً عن سبب سقوطهِ بغتةً وسقوط من هو مثلهُ. فقال عسى ذلك ان يكون نافعًا فقل ما بدا لك. قال ان عندي لذلك اربعة اسبابٍ الاول ان ضمائر الناس الذين على هذه الصفة ولو كانت متيقّظة الاَّ ان عقولهم غير متغيرة ولذلك حينما يعدمون ألَم الخطية يفقد ما يحركهم الى الديانة ومن ثمَّ لا بدَّ ان يرتدُّوا الى حالتهم القديمة كما نرى مثل ذلك في الكلب الذي ياخذهُ الغثيان لفساد

(١) مت ٧: ٢١

الطعام في معدتهِ فيغلب عليهِ القيءُ ما دام كذلك حتى يستفرغ كلَّ ما في جوفهِ كرهًا فاذا ذهب الغثيان وسكنت معدتهُ يرجع الى قيهِ فيلحسهُ كلهُ لان القيءَ لم يجعل تلك الشهوة تفارقهُ. ومن ثَمَّ صدق ما قيل في مثلهِ انهُ كالكلب الذي عاد الى قيهِ[1] وهكذا اقول ان هؤلاء اذ كانت الحرارة تهيج فيهم لاجل السماء بقوَّة الحواس والخوف من عذابات جهنَّم كانوا كما ان حاستهم بجهنَّم تفتر وخوفهم من العقاب يبرد كذلك يفتر شوقهم الى السماء وتبرد رغبتهم في الخلاص. والحاصل من ذلك انهم عند ما يزول ألَمهم ويذهب خوفهم تموت رغبتهم في السماء والسعادة ثم يرجعون الى حالتهم القديمة. السبب الثاني ان لهم تخويفات بشرية تستولي عليهم وهي التي تعرض لهم من الناس. لان من يخاف الانسان يسقط سريعًا[2] فاذًا ولو ظهر

(١) ٢بط٢: ٢٢ (٢) ام ٢٩: ٢٥

انهم مشتاقون الى السماء وذلك ما دام لهيب النار
حول اذانهم فانهم مع ذلك متى خمد ذلك الخوف
يميلون بانفسهم الى افكار حديثة قائلين انهُ يحسن بنا
ان نكون حكماء ولا نستعجل مطوّحين انفسنا في خطر
خسارة كلّ شيء لاجل ما لا نعلم ما هو. او اقل ما يكون
نجلب على انفسنا انزعاجًا فارغًا لا يلزمنا. وبمثل هذه
الافكار يلقون انفسهم مع الغالم ثانيةً. السبب الثالث
ان العار الملازم للديانة موضوع كحجر عثرةٍ في طريقهم
وبما انهم متكبّرون والديانة عندهم دنية فمتي عدموا
حاستهم بجهنّم والغضب الاتي يرجعون ثانيةً الى
حالتهم القديمة. السبب الرابع ان الحس بالخطية
والخوف من قصاصها ثقيلان عندهم فلا يريدون ان
يروا سوء حالهم قبل ان يصلوا اليهِ. مع انهم لو احبُّوا
ذلك النظر اوّلًا لربما كان جعلهم يهربون الى ملجأ
الابرار فيخلصون. ولكن بما انهم يهربون من الافتكار

بالخطية والخوف من عواقبها متى سلموا من ذلك يختارون لهم طرقًا تقسّي قلوبهم. فقال قد اصبت في ما قلتهُ وكل ذلك ناتج من عدم تغيير عقولهم وارادتهم. ولذلك ليس هم الاَّ كالمذنب الواقف بين يدي الحاكم وهو يرتعد ويتراءى انهُ تائبٌ من كل قلبهِ. ولكن كلُّ ذلك لاجل الخوف من القصاص لا لاجل كراهة الذنب الذي ثبت عليهِ. لانهُ اذا أُطلِق يرجع الى الشرّ الذي أُخِذ بهِ. ولكنهُ لو غيَّر ضميرهُ لم يكن كذلك. فقال نعم وانا قد بينت لك اسباب رجوعهم فبيّن انت كيفيتهُ. قال حبًّا وكرامةً. انهم اولاً يجتهدون في ابعاد افكارهم عن ذكر الله والموت ويوم الدينونة. ثانيًا يطرحون عنهم بالتدريج الواجبات الخصوصية كالصلوة السرّية وضبط الشهوات والسهر والحزن لاجل الخطية وما اشبه ذلك. ثالثًا يبعدون عن معاشرة المسيحيين الغيورين.

Digitized by Google

رابعًا يفترون في استعمال الواجبات المشتهرة كالسماع والقرآءة والمفاوضة التقويّة وغير ذلك. خامسًا يصيرون يثلبون البعض من الصلحآء على طريقة شيطانية حتى يكون لهم عذر في طرح الديانة الى ورآئهم بسبب بعض عثرات تظهر في سلوك اولئك الصالحين[1]. سادسًا يصاحبون المتراخين في البدخ والشهوات الخبيثة. سابعًا يفتحون ابوابًا للمخاطبات الشهوانية سرًّا ويفرحون اذا وجدوا نظير هذه الاشيآء في احدٍ من كرام الناس لكي يتجرأوا على فعلها متمثلين بهِ. ثامنًا ياخذون في ارتكاب بعض هفوات

(١) من كان قلبهُ شريرًا عوض ان يتواضع ويندب نفسهُ لاجل عيوبهِ يلتفت الى عيوب الناس ويلومهم عليها بصرامةٍ. خلافًا لمن كان قلبهُ صالحًا فانهُ يرى في نفسهِ ما يشغلهُ عن دينونة غيرهِ ومتى راى في الاخرين ذنوبًا مهما كانت عظيمة فانهُ يتعلَّم مما يخبرهُ في نفسهِ ان يترآف عليهم ويرثي لحالهم ويرجو ان يرى منهم ما هو احسن ويعذرهم لاجل شدَّة التجربة وضعف الطبيعة

Digitized by Google

علانيةً. تاسعًا واخيرًا عند ما تنفسّت قلوبهم يظهرون ذواتهم كما هم. وهكذا يستغرقون في الرذائل وينهمكون بها. فان لم تداركهم النعمة الالهية وتنتشلهم يهلكوا في غباوتهم وانخداعهم[1]

قال ثم رايت ان المسيحي والراجي خرجا من الارض المسحورة ودخلا في ارض معمورة[2] وكانت تلك الارض حسنة المنظر لطيفة النسيم والطريق في وسطها. فمكثا فيها ايّامًا يتنزّهان وكانا كل يومٍ ينظران فيها زهرًا حديثًا ينبت في رياضها ويسمعان تغريد الطيور المختلفة الانواع. وكانت الشمس تشرق على تلك الارض نهارًا وليلًا لانها كانت بعيدة عن

(١) انظر كيف يرتد العصاة شيئًا فشيئًا الى ورآيهم. فانهم يبتدئون بضعف الايمان في قلوبهم وينتهون الى الخطايا الظاهرة. وقد نبهت الكتب الالهية عن محبّة هذا العالم ودعت البخل عبادة الاوثان. لان كل ما يُبعِد قلب الانسان عن خالقهِ ويصدُّهُ عن المشاركة معهُ تكون عاقبتهُ الارتداد عن طريقهِ

(٢) اش ٦٢: ٤ الى ١٢

وادي ظلال الموت وقلعة الشك التي يتسلط عليها الجبار المعروف بالاياس ولم تكن القلعة تُرى من هناك. ولكن كانت تظهر لها المدينة المنطلقان اليها فيريانها ويتشوقان الى الوصول اليها. وكان يلقاها البعض من اهل تلك الارض وكانوا يلبسون النور مثل الثوب ويترددون في تلك الارض البهجة لانها كانت متصلة بالسماء. وفي هذه الارض عُقِد اتفاق جديد بين العروس والعريس. وكما ان العريس يفرح بعروسهِ هكذا الله يفرح باهلها. وفي هذه الارض لم يحتاجا حنطة ولا خمرًا بل وجدا اشياء كثيرة من كل ما كانا يطلبانهِ. وفي سياحتهما فيها سمعا اصواتًا عالية خارجة من المدينة تقول قولوا لابنة صهيون ها هوذا مخلّصك ها ان اجرهُ معهُ وكان يدعوهما كل اهل البلدة شعبًا مفتدى من الرب الاله[1]

(١) اش ٦٢: ١١ و١٢ الارض المعمورة رمزٌ عن الثقة والسلامة اللتين تحصلان للمسيحي في اخر حياتهِ. ولا ريب ان

قال وبينما كانا سائرَين في تلك الارض وجدا في انفسهما سروراً اكثر من بقيَّة الاماكن الاكثر بعدًا من المملكة التي كانا قاصدَين اليها. وكانت المدينة تظهر لهما على احسن منظرٍ كلما اقتربا اليها. فكانت حجارتها كلها من جواهر ثمينة وشوارعها كلها مطليَّة بذهب ابريز. واما هما فلما لاحت لهما اشعتها الساطعة تحت الشمس غلب عليهما الشوق فمرضا واضطجعا هناك حينًا وجعلا يصرخان قائلَين اذا وجدتم حبيبي فاخبروهُ فاني من المحبَّة ضعيف[1] ثم اخذا

ليس كل واحدٍ من شعب الله يحصل في آخر سياحتهِ على مثل هذه النعمة السامية. واذا كنت تريد ايها العزيز ان تصرف بقيَّة ايامك في ارض معمورة فاعلم ان طريق الواجبات هي طريق السلامة. وعليك بما قد كُتِب لارشادك الى هذه الطريق واجتهد في اثبات دعوتك وانتخابك وصلِّ الى الله كي يمنحك ضميرًا بلا عثرةٍ من نحو الله والناس واطلب منهُ ان يعيطك اسبابًا ترجو بها ان تنال ما حصل لهذَين السائحين من النعمة والعناية

(١) نش ٨:٥ يا لسعادة الانفس التي بمقدار ما تزداد قربًا

يشدّدان انفسهما ويتعلّلان بقرب الوصول حتى انتعشت قوّتهما ونهضا يمشيان في طريقهما متقدّمين قليلاً قليلاً حتى وصلا الى مكانٍ فيهِ بساتين وكروم وحدائق ذات ابواب مفتوحة الى جهة الطريق. ورأيا البستاني جالسًا على الطريق فقالا لهُ حيّاك الله لمن هذه البساتين. فقال هي للملك قد غُرست لاجل تنزههِ ولاجل تسلية السائحين. ثم ادخلهما الى تلك الكروم وقال لهما كلا من هذا العنب ما بدا لكما[1] ثم اراهما مسالك الملك والاشجار التي يتنزه تحتها. فاقاما هناك زمانًا

قال صاحب الرؤيا ثم رأيت انهما لما استيقظا من نومهما طلبا الصعود الى المدينة. الاّ انهما لم يستطيعا ان يحدقا بنظرهما اليها الاّ بالنظّارة من شدّة لمعانها

الى المينا السموية تزداد شوقًا الى ما هنالك وتنعطف بميلٍ صادقٍ الى الاشياء الروحية وتجتهد ان تحصل على الاشتراك مع المسيح في ملكوتهِ

(١) تث ٢٣: ٢٤

Digitized by Google

لان اسوارها كانت مطلية بذهب ابريز والشمس ساطعة عليها[1] قال ثم رأيت انهما بينما هما سائران لقيهما رجلان متسربلان بحللٍ ترهج كالذهب ووجهاهما يضيئان كالمصباح. وقالا لهما من اين انتما فاخبراهما. فقالا اين بتُّما وماذا نالكما من المشقّات وماذا نلتما من الطيّبات فحدثاهما. فقالا انكما لا تصادفان ايضًا الاَّ صعوبتين وبعد ذلك تدخلان الى المدينة[2] فقالا نستعين بالله على ما بقي كما استعنّا في ما مضى. ولكن نريد ان تذهبا معنا. قالا نعم ولكن يجب عليكما ان تحصّلا ذلك بايمانكما. وانطلقوا جميعًا حتى وصلوا الى مقابل الباب

(١) رؤ ٢١: ١٨ و ٢كو ٣: ١٨

(٢) ان صاحب الكتاب ربما اشار هنا الى معرفة البعض قرب اجلهم. وهو ينسب ذلك الى المليكة الذين يحرسون كل مومنٍ. ولا يخفى ان الموت والدخول الى المدينة هما الصعوبتان الوحيدتان اللتان يتوقعهما المسيحي ورفيقهُ الراجي

قال ورأيت نهرًا عميقًا بينهما وبين الباب ولم يكن لهُ جسرٌ فلما وقفا على شاطي النهر ارتبكا في امرهما. وقال لهما الرجلان اللذان اتيا معهما قد رايتما هذا النهر الذي يحول بينكما وبين المدينة واعلما انكما لا تقدران ان تصلا اليها ما لم تقطعاهُ. فانظرا ماذا تصنعان[1] فقالا ألا يوجد طريق اخرى الى هذا الباب. قالا نعم ولكن لم يُؤذَن في سلوكها منذ انشاء العالم ولن يُؤذَن حتى يصرخ البوق الاخير الا لرجلين وهما اخنوخ وايليا. فضعف رجاؤهما لاسيما المسيحي وجعلا ينظران الى هنا وهناك ولا يجدان سبيلاً. فقالا

(١) الموت نهرٌ عميقٌ لا جسر لهُ مانعٌ للمؤمن عن الوصول الى ميراثهِ السموي كما كان نهر الاردن يمنع بني اسرائيل عن ارض الميعاد. ولا ريب ان الانسان بحسب الطبيعة متى نظر هذا النهر يتوقف ولو كان فيهِ ايمانٌ ورجاءٌ ومحبَّة. ولكن متى فقدت منهُ هذه الملكات الثلث يجتمع فيهِ الخوف والحيرة وعدم الرغبة حتى عند مجرَّد الفكر بالعبور فيهِ

لذَينك الرجلَين هل الماءُ عميق على حد سواءٍ في هذا النهر. قالا لا يصح الحكم القاطع في ذلك عندنا فانهُ قد يكون عميقًا او غير عميقٍ على حسب ايمانكما بالملك(١) ولما راى المسيحي وصاحبهُ ذلك عوَّلا على النزول في الماءِ ولما نزلا فيهِ اخذ الماءُ يعلو كلما تقدَّما حتى كاد المسيحي يغرق فصرخ الى صاحبهِ قائلاً انا اغرق في المياه العميقة والامواج قد تعالت فوق راسي(٢) فقال

(١) ان المسيحيين يغلبون عدوهم الاخير الذي هو الموت بكلمة شهادتهم ودم الخروف وتخصيصهم استحقاقات المسيح بانفسهم عن ثقةٍ وايمانٍ صادق. حتى ان هذه الغلبة تكون كثيرة او قليلة بقدر ما يكون ايمانهم قويًّا او ضعيفًا. ولكن بنعمة المسيح يعبر الضعيف ذلك النهر ولو كان باقل تعزية من القوي

(٢) مز ٤١: ٧ ويون ٢: ٤ ان المسيحي ولو كان اكثر اختبارًا وثباتًا فقد قيل انهُ كان اشد انزعاجًا وخوفًا عند الموت. ومن ذلك نتعلَّم انهُ لا ينبغي لنا ان نلقي رجاءنا في ساعة الموت الاَّ على المسيح وبرّهِ وصدقهِ في مواعيدهِ. ومن كان في قلبهِ نور الايمان ولو كان عند موتهِ باقي ظلامًا في طريقهِ فان ذلك الظلام يضمحلُّ ويرجع اليهِ النور فيضيء ما قدامهُ. فلنطلب من الرب

الراجي يا اخي ثق بالله فاني احسُّ بجادٍ مستوٍ تحت الماء. فقال آهٍ يا اخي ان احزان الموت قد احاطت بي ولا اقدر ان اعاين الارض التي تفيض لبنًا وعسلاً. وللوقت غشيت المسيحي ظلمة داجية ونزل عليهِ هول عظيم حتى لم يعد يقدر ان ينظر ما قدامهُ. وذهل عن عقلهِ حتى اختلط كلامهُ. ولكن كل ما كان يتكلم بهِ كان يدلُّ على ظلام ضميرهِ وخوفهِ من ان يموت في ذلك النهر ولا يحصل على الدخول في الباب. وكان يتراءى للواقفين هناك انهُ كان مضطرب الافكار من قِبَل الخطايا التي سقط فيها قبل سياحتهِ ومنذ ابتدائها. وكان يلوح انهُ كان منزعجًا من ظهور الشياطين والارواح الشريرة لهُ. وكل ذلك كان

ان يقوّي ايماننا بمواعيدهِ الصادقة ويجعل شمسنا عند غروبها صافية. ولنصرخ نحوهُ قائلين اعنّا اللهمَّ لكي نقول لتكن مشيتك. وحينما يضعف جسمنا وتخور قوّتنا فكن انت قوّتنا ونصيبنا الى الابد

يشير اليهِ بكلامهِ. واما الراجي فكان يجتهد ان يحفظ راس اخيهِ فوق الماء وكابد في ذلك مشقَّة عظيمة فانهُ كان يعلوهُ الماء احيانًا ثم ينهض وهو بين حيٍّ ومَيتٍ. ولم يكن للراجي همٌّ الا تعزية اخيهِ المسيحي. وكان يقول لهُ يا اخي ها ارى الباب والناس واقفين هناك لاستقبالنا. والمسيحي يقول ليس هم مستعدين لي بل لك لانك ما زلت طويل الرجاء منذ عرفتك. فقال يا اخي وانت كذلك. فقال آه يا اخي لو كنت مستقيمًا لكان مخلّصي يقوم الان ويساعدني. ولكن لاجل خطاياي طرحني في هذا النخ وتركني. قال يا اخي قد نسيت المكتوب عن الاثمة انهم لم يعبأوا بموتهم ولا في شدَّة عذابهم وفي تعب الناس ليس هم ومع البشر لا يجلدون[1] وهذه المشقَّات والمخاطر التي تتكبدها في هذه المياه لا تدل على ان الله قد تركك لكنها أُرسِلَت

(١) مز ٧٣: ٤ و ٥

لتختبرك هل تذكر ما نلتهُ سابقًا من الخيرات التي منَّ عليك بها وهل تتكل عليهِ في شدائدك[1]

قال صاحب الرؤيا ثم رأيت ان المسيحي لبث في تلك المياه متحيرًا وفي اثناء ذلك التفت اليهِ الراعي وقال لهُ طب نفسًا وقرّ عينًا يا ايها المسيحي فان يسوع المسيح يشفيك . وعند ذلك صرخ المسيحي بصوت عظيم قائلًا ها اني اراهُ ايضًا وهو يقول لي اذا جزت في المياه فانا اكون معك والانهار لا تغطّيك[2] فتشجّعا

(١) اذا اردت ان تزور احد المرضى او المشرفين على الموت فاصحب معك كلمة الله في قلبك وفمك . لانك منها فقط ترجو حلول البركة على نفس من تزورهُ . لانهُ بكلمة الله قد دخل اوّلًا في الايمان وبها ينقوّى اخيرًا والمسيح هو كمال الكتب الالهية وجوهرها

(٢) اش ٤٣ : ٢ ان المسيحي ولو كان قد حصل في ضيقة عظيمة فقد نجا من جميع شكوكهِ ومخاوفهِ الصادرة من ضعف ايمانهِ . وذلك بتصديقهِ الموعد الالهي . ولا ريب ان الايمان بالمسيح مجردًا يسكّن اضطراب قلوبنا ويساعدنا في الآلام التي تنالنا وقت الموت . ومتى آمنّا ان المسيح مات وانبعث من الاموات

كلاهما حينئذٍ وللوقت وجد المسيحي تحت قدميهِ ارضًا يقف عليها فتشدَّد وتقدَّما حتى خرجا من النهر. ولما وقفا على الشاطي الاخر رأيا الرجلَين اللامعَين اللذَين كانا ينتظرانهما هناك. فسلَّما عليهما وقالا لهما اننا من الارواح السموية قد أُرسلنا لخدمة المزمعين ان يرثوا الخلاص. فتقدَّما نحو الباب. وكانت المدينة على جبل شامخ فصعدا فيهِ. وكان ذانك الرجلان ياخذان بمناكبهما وينهضانهما. فتقدَّما بسهولةٍ وساعدهما على ذلك انهما كانا قد نزعا ثيابهما البالية في النهر. وصعدا الى نحو تلك المدينة بخفةٍ وسرعةٍ مع ان الاساسات التي وُضِعت عليها كانت اعلى من

لا نعود نخاف من الموت لانهُ لا يعود ياتي الينا بوجهٍ عبوس بل ياتي مبتسمًا كانهُ رسولٌ الينا من اعز احبائنا. لانهُ ولو كانت شوكة الموت هي الخطية وقوَّة الخطية هي الشريعة فان المسيح قد فدانا من لعنة الشريعة اذ صار لعنةً لاجلنا وبذلك قد كسر شوكة الموت وابطل غلبة الجحيم

السحاب. وكانا يصعدان الى فوق على اجنحة الرياح وهما يشكران الله على نجاتهما من ذلك النهر وانطلاقهما الى غايتهما السعيدة مع ذَينك الصاحبَين الكريمَين وكانا يتكلمان معهما عن مجد المكان وجمالهِ. فقالا لهما ان مجدهُ وجمالهُ لا يحصيها الوصف لانهُ يوجد فيهِ جبل صهيون اورشليم السموية وجماعة ربوات المليكة وارواح الابرار الذين كملوا[1] وانتما تذهبان الان الى فردوس الله حيث تنظران شجرة الحيوة وتاكلان من اثمارها الشهيَّة. وحينما تصلان الى هناك تلبسان حللاً بيضًا وتتكلمان وتسيران مع الملك كل يوم الى ابد الابدين[2] ولن تعاينا هناك مثل الاشياء التي رايتماها لمَّا كنتما في المملكة السفلى على الارض كالحزن والمرض والكآبة والموت. لان ما كان قديمًا قد مضى[3] وتجتمعان مع ابرهيم واسحق ويعقوب والانبياء الذين

(١) عب ١٢: ٢٢ الى ٢٤ (٢) رؤ ٢٢: ٧ و٢٢: ٤ و٥ و٢٢: ٥ (٣) اش ٦٥: ١٦ و١٧ ورؤ ٢١: ٤

Digitized by Google

خلّصهم الله من الشر الآتي. وهم الان حالّون في المظالّ السموية وكل واحد منهم سالكٌ في برّهِ. فقال لهما السائحان ماذا ينبغي ان نصنع في المكان المقدّس. فقالا ينبغي ان تنالا التعزية عوض اتعابكما والفرح عوض احزانكما وستحصدان ما قد زرعتماهُ اي اثمار جميع صلواتكما ودموعكما وجهادكما الذي كابدتماهُ في الطريق لاجل الملك[1] وهناك تتوّجان باكاليل ذهبية وتتمتعان بمشاهدة الكلّي القداسة بلا انقطاع لانكما تريانهِ هناك على ما هو عليهِ[2] وهناك ايضاً تخدمان بالتسابيح والتراتيل والشكر بغير انقطاع للذي ارتضيتما ان تخدماهُ في العالم ولهِ بمشقّة عظيمة لاجل ضعف اجسادكما. وهناك ستقرُّ اعينكما بالنظر وتسرُّ آذانكما باستماع حسن صوت الكلي الاقتدار. وتتمتعان مع اصحابكما الذين سبقوكما الى هناك

(١) غل ٦: ٨ و ٩ (٢) ١ يو ٣: ٢

وتقبلان بفرح عظيم الذين يتبعونكما الى المكان المقدَّس وتتسربلان بالمجد والجلال. وتُؤهَّلان لان تركبا وتخرجا مع ملك المجد وستاتيان معهُ حين ياتي بصوت البوق على السحاب كانهُ على اجنحة الرياح وستجلسان بجانبهِ عند ما يجلس على عرش الدينونة. وحينما يحكم على فعلة الاثم ان كانوا مليكةً او بشرًا فانتما ايضًا يكون لكما صوتٌ في ذلك القضاءِ لكونهم اعداءهُ واعداءكما. وعند ما يرجع الى المدينة ترجعان بصوت البوق وتكونان معهُ الى الابد(١)

قال وبينما كانا يقتربان من الباب اذا باجواق السمويين قد خرجوا لاستقبالهما. واما صاحباها اللامعان فقالا لهم ان هذَين هما اللذان احبَّا ربَّنا لما كان في العالم وتركا كل شيءٍ لاجل اسمهِ القدُّوس وهو ارسلنا لكي نحضرهما الى هنا. وها نحن قد

(١) ١تس ٤: ١٣ الى ١٧ ويه ١٤ و١٥ ودا ٧: ٩ و١٠ و١كو ٦: ٢ و٣

احضرناهما ولاحظناهما في سياحتهما المرغوبة لكي يمكنهما الدخول ومشاهدة وجه فاديهما بالحبور. وحينئذٍ هتفت الاجواق السموية قائلةً طوباهم الذين دُعُوا الى وليمة عشاء عرس الخروف[1] وفي ذلك الوقت خرج كثيرون من المرتّلين بالابواب لملاقاتهما لابسين حللاً بيضًا لامعة يترنّمون باصوات شجية عالية حتى كانت السماء ترتجّ من ضجيجهم. وسلّموا على المسيحي وصاحبهِ بالترتيل وصوت البوق قائلين اهلاً وسهلاً ومرحبًا بالزائرَين. ولما تمّ ذلك احاطوا بهما من كل جانب وكان البعض يمشون قدّامهما والبعض خلفهما والبعض عن يمينهما والبعض عن يسارهما لكي يحفظوهما في المصاعد. وكانوا لا يفترون عن الصراخ وهم منطلقون باصواتٍ رخيمة ونغمات رفيعة حتى خُيّل للناظرين ان السماء بنفسها قد نزلت لملاقاتهما.

(١) رؤ ١٩: ٩

وعلى هذه الحال كانوا سائرين جميعاً . وكان اولئك المرتّلون تارةً بالنظر وتارةً بالالحان يظهرون للمسيحي واخيهِ علامات البهجة والسرور . واما هما فاندهشا من نظر اولئك الملئكة وسماع تلك الالحان وما زالا حتى عاينا المدينة بذاتها وحسبا انهما يسمعان كل اهلها يقرعون النواقيس لهما ويترحبون بهما . وايُّ لسانٍ او قلمٍ يقدر ان يصف الفرح العظيم الذي حصل لهما عند افتكارهما انهما يكونان هناك مع جماعة مثل هذه الى ابد الدهور . وهكذا صعدا الى الباب[1] فلما وصلا اليهِ وجدا انهُ مكتوب عليهِ بحروفٍ ذهبيةٍ طوباهم الذين يغسلون ثيابهم بدم الخروف ليكون سلطانهم

(١) لا يقدر احد ان يصف غبطة الذين يحيون في حالةٍ منفصلة عن جسد الموت والخطية . ونحن بعض مراتٍ نرى شيئاً من ذلك بالايمان ونشعر بعذوبتهِ . فاذا كان المسيح لذيذاً بهذا المقدار لمن يحصلون عليهِ بالايمان وهم على الارض فمن يقدر ان يصف مقدار لذتهِ عند الحصول عليهِ في السماء . وهذا مما لا نقدر ان نقف عليهِ الاَّ بعد الموت

Digitized by Google

على شجرة الحيوة ويدخلوا المدينة من الابواب[1]

قال صاحب الرؤيا ثم رأيت ان صاحبيهما اللامعَين امراها ان يقرعا الباب. فقرعاهُ واذا بجماعةٍ قد اشرفوا من فوق الباب وهم اخنوح وموسى وايليا ونظائرهم. فقيل لهم ان هذَين السائحَين قد اتيا من مدينة الهلاك لاجل حبّهما لملك هذا المكان. ثم ان المسيحي واخاهُ اعطياهم شهادتيهما اللتَين اخذاهما في ابتداء سياحتهما. فاخذوهما الى الملك فقراهما وقال اين الرجلان. فقالوا انهما قائمان خارج الباب. فقال افتحوا الباب ليدخل الشعب الصالح حافظ الحق[2]

قال ثم رأيت انهما دخلا من الباب ولما عبراهُ تغيَّرت صورتهما وتسربلا بملابس تلمع كالذهب والتقاهما قوم بالقيثارات والاكاليل وقدموها اليهما. وكانت تلك القيثارات لاجل التسبيح دائمًا والاكاليل

(١) رؤ ٢٢: ١٤ (٢) اش ٢٦: ٢

عنوانًا للشرف. وسمعت جميع النواقيس التي في المدينة تُقرَع لهما وقائلاً يقول ادخلا الى فرح سيّدكما[1] وسمعتهما يرتّلان قائلَين للجالس على الكرسي وللخروف البركة والكرامة والمجد والقدرة الى ابد الابدين[2]

قال ولما فُتِحَت الابواب عند دخولهما نظرت ورآهما الى داخل واذا بالمدينة تضيء كالشمس وكانت ازقّتها مصفّحة بالذهب وفيها اناس كثيرون يمشون والاكاليل على رؤوسهم وفي ايديهم سعف نخلٍ وقيثارات ذهبية يرتّلون بها من غير فتور. وكان للبعض منهم اجنحة وأحدهم يجيب الاخر من غير انقطاعٍ قائلاً قدُّوس قدُّوس قدُّوس ربُّ الصبأوت. ثم اغلقوا الابواب. وامّا انا فلما رأيت ذلك اشتهيت ان اكون بينهم. وبينما كنت كذلك

(١) مت ٢٥: ٢٣ (٢) رؤ ٥: ١٣

التفتُّ الى ورآءي واذا بالجهل قد وصل الى جانب النهر وقطعهُ عاجلاً ولم يمسَّهُ نصف المشقَّة التي مسَّت ذَينك الرجلَين لانهُ صادف هناك رجلاً يقال لهُ الرجآء الباطل وكان بحريًّا فاخذهُ في قاربهِ وعبر بهِ النهر. ورأَيتهُ بعد ذلك صعد على الجبل كما فعل السائحان الاَّ انهُ صعد وحدهُ ولم يستقبلهُ احدٌ وما زال حتى وصل الى الباب فجعل يقرع طامعًا ان يؤذن لهُ بالدخول عاجلاً. فاشرف واحدٌ من فوق الباب وقال لهُ من اين اتيت وماذا تريد. فقال اني اكلت وشربت بحضرة الملك[1] فطلبوا منهُ شهادتهُ لياخذوها الى الملك. فاخذ يفتّش في جيبهِ فلم يجد شيئًا. فقالوا لهُ ألا يوجد شهادة معك فلم يجب بكلمةٍ. فدخلوا الى الملك واخبروهُ فلم يرد ان ينزل ويراهُ لكنهُ امر اللامعَين اللذَين صحبا المسيحي واخاهُ ان

(١) لو ١٣: ٢٦

يذهبا اليهِ ويربطا يديهِ ورجليهِ ويطرحاهُ خارجاً. فخرجا للوقت وفعلا كما امرهما واتيا بهِ الى الباب الذي رأيتهُ على جانب الجبل وزجّاهُ في تلك الهاوية الجهنمية. فحينئذٍ ايقنت انهُ يوجد طريق الى جهنم حتى ومن باب السمآء كما انهُ يوجد من مدينة الهلاك اليها[1] ثم استيقظت واذا كل ما رأيتهُ وسمعتهُ كان

(١) ان هذه الخاتمة مهولةٌ في الغاية لانهُ امرٌ يُرثَى لهُ ان نرى كثيرين يخرجون من العالم بطمانينةٍ وراحةٍ مع انهم لم يعطوا شهادةً البتّة بان لهم رجآءً صالحًا في النعمة اذ كان رجآؤهم الباطل يحفظهم في حال الطمانينة الى ان يفاجيهم الموت. ولكن اذا كان ما كُتِب صادقًا وكان الذين يجهلون برّ المسيح خلوًا من الايمان الذي يصدر عن قوّة الروح القدس يموتون مع ذلك بطمانينةٍ فيكون ذلك لاجل عمى اعينهم وقساوة قلوبهم فهم يهلكون والكذب في يدهم اليمنى. فاحذر يا ايها الحبيب ان تتخذ رسم التقوى بمنزلة القوّة ليلاً يكون نصيبك مع المرائين حيثما ترجو ان تكون مقبولاً في السمآء. وانا اسأل الله تعالى ان يمدّنا بنعمتهِ ويجعلنا اهلاً للسياحة المسيحية في طريق انجيلهِ الالهي التي توصلنا الى المدينة السموية بمنهِ وكرمهِ امين

حلمًا فقلت شعرًا

اني لقد اخبرتكم بحلمي ... فهل تفسّرونهُ عن علمِ
لكن حَذارِ فيهِ عند الحكمِ ... من اعوجاجٍ في الضلال يرمي
فالشرُّ ياتي غالبًا بالوهمِ ... في سوءِ تفسيرٍ وسوءِ فهمِ
ولا تروا ظاهرهُ عن سقمِ ... فتعبثوا بهِ لضعف العزمِ
ولا تعدُّوا ما بهِ من رسمِ ... كضحكةٍ او كخصام الخصمِ
لكن دَعوا ذاك لقوم عُجّمِ ... ليسَ لهم تصرُّفٌ في الحزمِ
وابتدروا كشفَ حجاب الختمِ ... عن سرِّهِ المرموز تحت الكتمِ
ثم اشربوا عصير هذا الكرمِ ... فتجدوا فيهِ الذَّ طعمِ
لذي ضميرٍ ظافرٍ بالسلمِ ... يدفع بالرَّقم سموم الرُّقمِ
وما ثروا من زَغَلٍ في الجُرمِ ... فانتبذوهُ كمشاش العظمِ
واتخذوا الابريز صافي الجسمِ ... فليس يخلو من غبار الردمِ
عند الخروج من تراب الرجمِ ... وليس يُرمَى ثمرٌ للعجمِ
كالعظم لا يوجب رمي اللحمِ ... وان طرحتم منهُ كل قِسْمِ
وهان نثري عندكم ونظمي ... راجعتُ حلمي نائمًا برغمي
اشكو الى الله الرحيم ظلمي

طُبِع في بيروت سنة ١٨٥٩ مسيحية

Digitized by Google

Digitized by Google

Digitized by Google

Digitized by Google

BIBLIOTHÈQUE
de la Faculté de Théologie
DE L'ÉGLISE LIBRE
LAUSANNE
TE 474 B

Digitized by Google



Digitized by Google

Digitized by Google

حلمًا فقلت شعرًا

اني لقد اخبرتكم بحلي ... فهل تفسّرونهُ عن علمِ
لكن حَذارِ فيهِ عند الحكمِ ... من اعوجاجٍ في الضلال برمي
فالشرُّ ياتي غالبًا بالوهمِ ... في سوءِ تفسيرٍ وسوءِ فهمِ
ولا تروا ظاهرهُ عن سقمِ ... فتعبثوا بهِ لضعفِ العزمِ
ولا تعدُّوا ما بهِ من رسمِ ... كضحكةٍ او كخصامِ الخصمِ
لكن دَعوا ذاك لقومٍ عُجّمِ ... ليسَ لهم تصرُّفٌ في الحزمِ
وابتدروا كشفَ حجابِ الختمِ ... عن سرِّهِ المرموزِ تحتَ الكتمِ
ثم اشربوا عصيرَ هذا الكرمِ ... فتجدوا فيهِ الذَّ طعمِ
لذي ضميرٍ ظافرٍ بالسلمِ ... يدفع بالرَّقمِ سمومَ الرُّقمِ
وما ثروا من زَغَلٍ في الجُرمِ ... فانتبذوهُ كمشاشِ العظمِ
واتخذوا الابريزَ صافي الجسمِ ... فليس يخلو من غبارِ الردمِ
عند الخروجِ من تراب الرحمِ ... وليس يُرمَى ثمرٌ للعجمِ
كالعظمِ لا يوجب رمي اللحمِ ... وان طرحتم منهُ كلَّ قِسْمِ
وهان نثري عندكم ونظمي ... راجعتُ حلمي نائمًا برغمي
اشكو الى الله الرحيم ظلمي

طُبِع في بيروت سنة ١٨٥٩ مسيحية

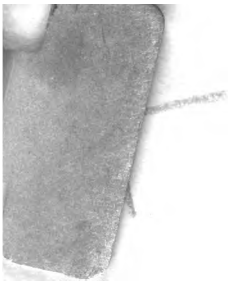
Digitized by Google

Digitized by Google

Digitized by Google

BIBLIOTHÈQUE
de la Faculté de Théologie
DE L'ÉGLISE LIBRE
LAUSANNE
TE 474 B

Digitized by Google



Digitized by Google

BIBLIOTHÈQUE
de la Faculté de Théologie
DE L'ÉGLISE LIBRE
LAUSANNE
TE 474 B

Digitized by Google

Digitized by Google